The British Museum

مدينة عمارة غرب

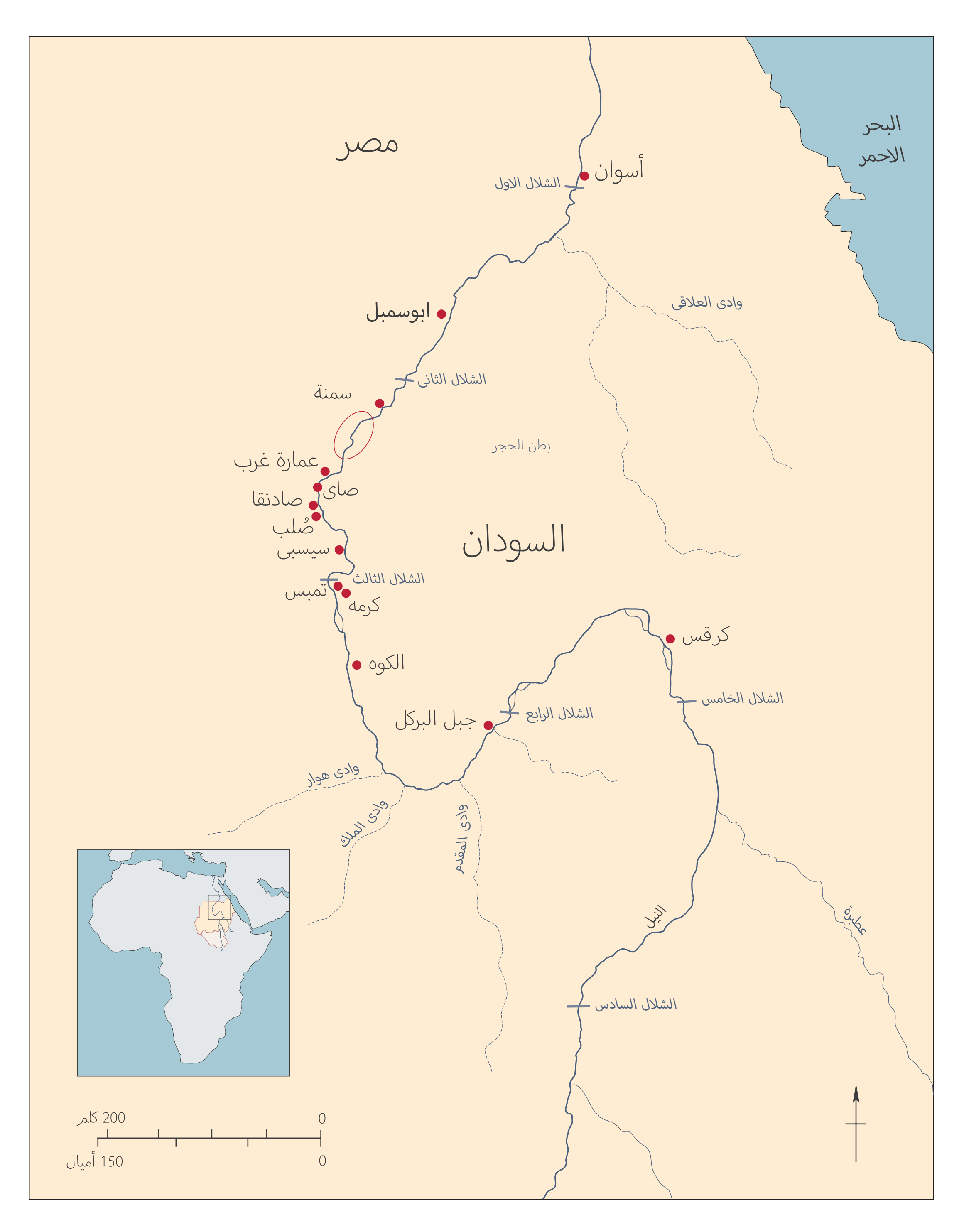
المعيشة في النوبة الفرعونية



نيل سبنسر، آنا ستيفنز، ميكالا بيندر

خريطة النوبة

توضح المواقع الاثرية الموضحة فى الكتاب



مدينة عمارة غرب

المعيشة في النوبة الفرعونية

نيل سبنسر، آنا ستيفنز، ميكالا بيندر

المحتويات





مصر داخل كوش

إنشاء مدينة فرعونية في النوبة

نيل سبنسر



المقدمة التاريخية

الصفحة السابقة
منظر من الجهة الشرقية تجاه انقاض مدينة عمارة غرب القديمة.

عندما توغلت الجيوش الفرعونية في أعالي نهر النيل داخل النوبة حوالي 1550 قبل الميلاد، عابرة بذلك مجموعة من المناظر الطبيعية المثيرة والتي تنوعت ما بين الشلالات والجبال والجزر النيلية والصحاري، أطلقت تلك الجيوش العنان لكتابة الفصول الأخيرة من تاريخ طويل ممتد ما بين صراع وتجارة وهجرة يربط كلا من مصر والنوبة. والنتيجة الواضحة لهذا الاحتكاك هي نشؤ علاقات ثقافية مُتشابِكة، تشمل تبادل وسائل المعيشة، أكثر من مجرد السيطرة العسكرية.

النوبة كمصطلح جغرافي تم إستعماله للمرة الأولى في العصر اليوناني الروماني، وهو يشير عامة إلى الإقليم الذي يمتد ما بين أسوان بجنوب مصر والشلال الرابع في السودان. مثلما شكل نهر النيل محورا هاما في رسم حدود مصر، كان له نفس الدور في رسم ملامح النوبة باستثناء المعوقات الطبيعية لمجرى النهر في بلاد النوبة. فمنطقة الشلالات التي تتناثر بها تلك النتوءات الجرانيتية الممتدة من النهر إلى الأراضي المجاورة جعلت استخدام القوارب للسفر أو استغلال ضفتي النهر في الزراعة أكثر صعوبة. مثل تلك المناطق تعرف في العربية تحت اسم "بطن الحجر". النهر نفسه ينعرج وينعطف في بعض المناطق منسابًا من الجنوب نحو الشمال أو من الغرب إلى الشرق و تتواجد بين مناطق الشلالات سهول واسعة غرينية هي بمثابة مناطق مثالية للزراعة يأتيها دعم من الطمي عالي الخصوبة عند كل فيضان سنويا. بجانب تلك الجزر النيلية الكبيرة التي قدمت لقاطنيها مساحات إضافية لإقامة المزارع، كما تم استخدامها أيضا في أوقات النزاع كملاذ استراتيجي عند الانسحاب. وهذة الجزر تُعدُّ نادرة الوجود في مصر. تتنوع الصحاري التي تحيط بوادي النيل في النوبة بشكل هائل ما بين كثبان رملية متحركة وجبال راسخة أو مسطح مليء بالأحجار المتعرجة.

منظر لمنطقة «بطن الحجر» التي تقع اسفل مجرى النهر من عمارة غرب. يمتلئ نهر النيل فى منطقة النوبة بالنتؤات الصخرية التي تجعل عملية الملاحة صعبة فيه.



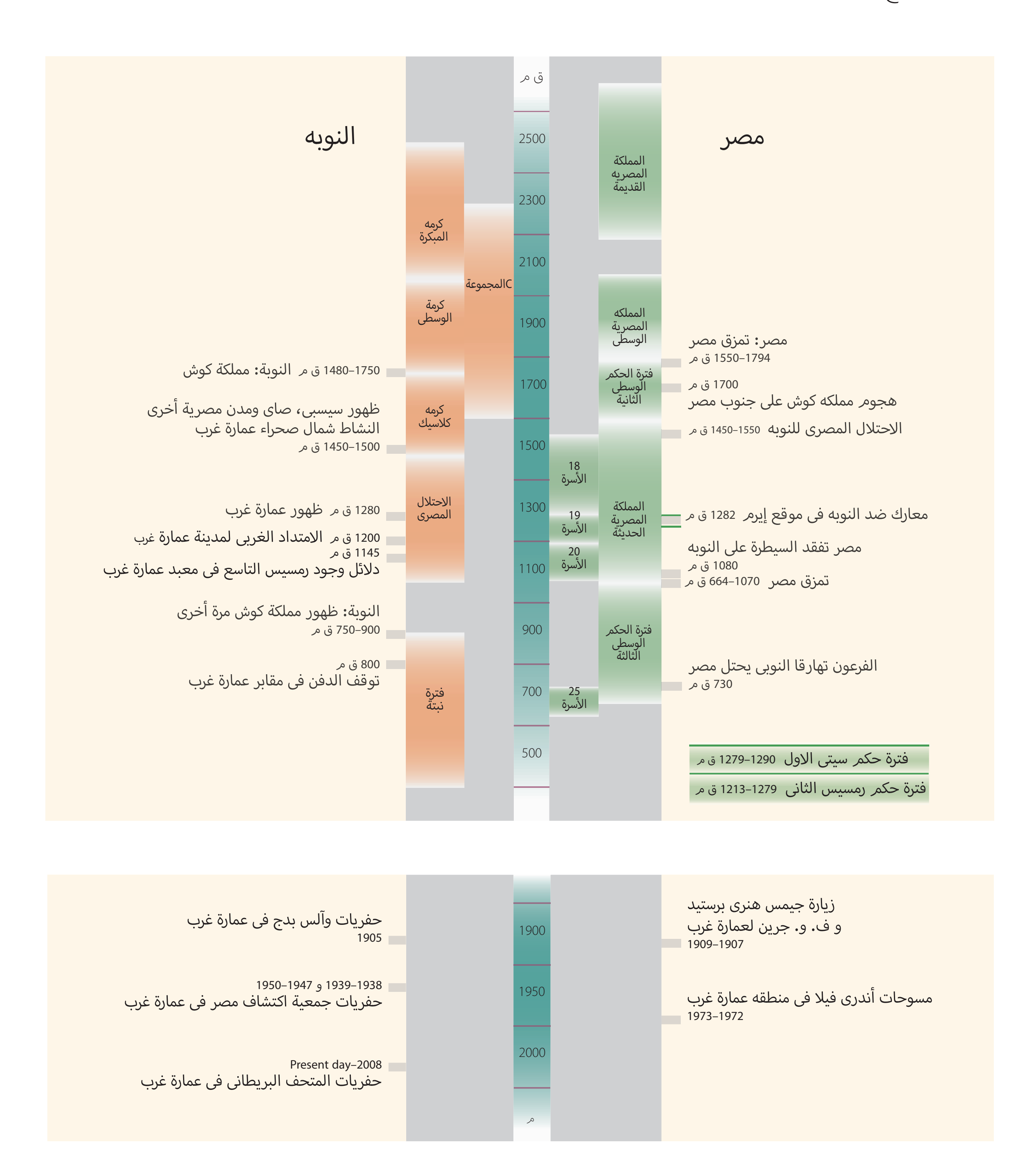
اسـتوطن السـكان المحلييـن كلا مـن وادي النيل وصحـاري النوبة قبل آلاف السـنين من ظهـور مدينة عمـارة غرب فـي المخطط العام للمنطقة. وتُعدُّ المجموعة (أ) أقدم المجموعات البشـرية التي يمكن تمييزها ثقافيـا. تلـك المجموعة التي اسـتوطنت الجزء السـفلي من النوبـة في معظـم الألفية الرابعة. حتـى قبل أن يتـم الاسـتحواذ عليها من قِبَـل الدولة المصريـة المتنامية فـي الجنوب. وعلى مـر القرون المتتابعـة. تم إعادة تشكيل الثقافات المحلية وتنظيمها. ومنذ حوالي 2400 قبل الميلاد تم العثور على ثلاث مجموعات بشرية في تلـك المنطقة. ما يطلق عليهم اسـم المجموعة (ج) بجانـب حضارة كرمه و "البان قريف". ورغم اشـتراك تلك المجموعات في بعض السـمات الثقافية والمناطق الخاضعة لهـم. إلا أن كلا منهن يمكن تمييزها عن الأخرى. فالمجموعة (ج) ترجع بأصولها إلى ثقافات بلاد جنوب الصحراء. وتم التيقن من وجودهم فقط عند منبع الشلال الثانـي لنهر النيل في الجـزء الجنوبي من مصر. ارتبطت شـعوب "البان قريف" في الأغلب بالصحاري الشـرقية. والتسـمية الخاصة بهم مسـتوحاة من مقابرهم التي اسـتخدموها في عملية دفن موتاهم. والتي تتميز بكونها غيـر عميقـة ودائرية. أما ثقافة "كرمـة" فقد ارتكزت على مدينة كرمـه الواقعه عند الشـلال الثالث لنهر النيل. ولكـن المناطق التـي خضعت لنفوذها امتدت من الشـلال الثاني حتى الرابع. وبذلك أصبحـت فيما بعد صاحبة أقوى نفوذ سياسـي فيما بينهـم جميعا. وانبثقت مـن ثقافة كرمه مملكـه "كوش". التي قامـت بتهديد حدود مصـر الجنوبيـة وحملت مبكـرا فراعنة الدولة الحديثـة على تثبيت جيوشـهم أو الدفع بها داخـل النوبة حوالي 1550 قبل الميلاد تقريبا بقرنين من الزمان قبل أن يتم تأسيس مدينة عمارة.

عـادة ما يركـز الباحثون علـى موضوعات الصـدام ما بيـن المصريين القدماء وشـعوب النوبـة لكي يتم تعريف أسـلوب التفاعل الحضاري فيما بينهم. وبلا شـك فإن تاريخ الإقليم اشـتهر بعدد من الصراعات. ولكـن ما الدوافع التي وقفت خلف تلك الصراعات؟ وهل يمكـن للصراع أن يستحوذ على تفاصيل القصة كاملة؟



التسلسل التاريخى لمصر القديمة والنوبه

ويشمل تاريخ عمارة غرب والحفريات الحديثة



علاقات متشابكة عبر آلاف السنين

لقد تم العثور على العديد من الآثار المصرية والتي تم تأريخها بحوالي 3800 قبل الميلاد – وبشكل خاص الأواني الفخارية – في الجزء الشمالي من السودان في مدافن السكان الأصليين الخاصة بثقافة المجموعة (أ). مما يشير إلى التفاعل التجاري والثقافي فيما بينهم. وفي وقت لاحق حوالي 3000 قبل الميلاد، كما توجد بعض النقوش التي خلفها ملوك الأسرة الأولى لمصر المتحدة تسجل بعثات أو حملات عسكرية داخل النوبة. وكثير من النقاش دار حول ما إذا كان غزو أو سيطرة مصر على النوبة يرجع إلى رغبة في التوسع والامتداد لتكوين الإمبراطورية، أو أنه ليس أكثر من تفكير عقلاني منفعي الغرض منه السيطرة على الموارد الطبيعية، مثل الذهب من تلال الصحاري، والمناطق زراعية في السهول الواسعة، بجانب العديد من الأشياء التي يتم الحصول عليها عند التوغل أكثر في الجنوب مثل العاج سواء الخاص بفرس النهر أو الفيل، بيض النعام وريشه، كل هذه الأشياء كانت مطلوبة لدى الدولة الفرعونية بجانب القوى العاملة. رجع حورخوف حاكم الجزء الجنوبي لمصر حوالي 2250 قبل الميلاد من بعثة إلى النوبة بأكثر من 300 حمار مُحمَّل بالبخور والعاج والزيت وجلود النمور وأنياب الأفيال وعصيّ التحطيب وغيرها. وخلال كل من الدولة القديمة (2575–2134 قبل الميلاد) والدولة الوسطى (2040–1640 قبل الميلاد) قامت الدولة الفرعونية ببناء مدن متكاملة التخطيط من وقت لآخر على جانبي نهر النهر النيل في النوبة. البعض منهم تم إنشاؤه على أرض مسطحة للسيطرة على الأراضي الزراعية والبعض الأخر على النتوءات الصخرية لمراقبة التنقل في الصحراء والنهر. توجد مجموعة من البرديات

منظر لموقع الحفريات الخاصة بمدينة «كرمة»، عاصمة الدولة الكوشية.





منظر للملك رمسيس الثاني وهو يحارب فرق عسكرية أجنبية، من بينهم النوبيون في معبده الكائن ببيت الوالي.

والتي تعرف باسم "تقارير مراقبة سمنة" تعكس تفاصيل كثيرة لما يتعلق بتنقل الأفراد حول الصحاري: "دورية الحدود التي رحلت لكي ترصد جانب الصحراء القريب من الحصن... رجعت لكي تخبرني. لقد اقتفينا أثر 32 رجلا وثلاثة حمير".

تم تمثيل العلاقة بين مصر والنوبة في النقوش والرسوم على جدران المعابد الفرعونية على أنها إحدى الثقافات التي خضعت تماما لمصر. فهناك نقش على إحدى اللوحات التي كانت متواجدة على حدود حصن سمنة يقول فيها الملك سنوسرت الثالث عن النوبيين: "إنهم شعوب لا تستحق الحب، فهم أشقياء، ضعاف القلوب". ولكن بالطبع فإن أسلوب تصوير عقيدة الملك الفرعون باستخدام "الخدعة الدعائية" لا يجب أن يسيطر على فهمنا للعلاقة الحيوية المتنامية بين الشعبيين (بشكل لا يسترعي الدهشة!) فهي بالتأكيد لا تمثل انعكاسا حقيقيا للواقع التفاعلي ما بين الشعبيين. فعلاقات الشعوب تختلف عن علاقات الحكام. فالأدوات التي تم صنعها بواسطة أهل النوبة والمنتجات التي كانوا يتاجرون فيها شكلت جزءا كبيرا من حياة المصريين بشكل عام. فقد تم العثور على العديد من أواني الطبخ الفخارية النوبية في مدينة "الفنتين" جنوب مصر (قرب أسوان) والتي يرجع تاريخها على أقل تقدير إلى الدولة القديمة، كذلك تقلد الكثير من الجنود النوبيين العديد من المناصب الهامة وتلقوا ترقيات في الجيش المصري (المدجا). ومن المحتمل أن يكون هؤلاء هم شعوب الصحراء النوبية "البان قريف"، التي تم العثور على مقابرهم المميزة أيضا في مصر حول "الفنتيين" وكذلك في شمال البلاد. اما مقابر المجموعة (ج) النوبية – قاطني وادي النيل النوبي – تم العثور عليهم أيضا حول مدينة طيبة (الأقصر).

تَقَلّب بندول الساعة

كرمه وإعادة الغزو المصري

عند بلوغ دولة "كوش" قمة الازدهار حوالي 1600 قبل الميلاد، اتخذت هذه الدولة الإفريقية الكبرى مدينة "كرمه" كمنطقة تمركُزلها، تلك المدينة التي شُيِّدَت منذ ما يقرب من ألف عام قبل بزوغ كوش. وقد تم إستعمال كوش كمصطلح في النقوش المصرية القديمة ليعني به المصريون النوبة العليا، وفي بعض الأوقات أجزاء من النوبة السفلى والصحاري المجاورة. تواجدت العديد من المظاهر المعمارية المصرية في مدينة كرمة، وذلك أثر اندماج كل من العقيدة والفن مع ثقافة السكان الأصليين. فظهر ذلك في معابدهم المميزة، وقاعات السماع الدائرية، وتحصين أساليب الدفن المتنوعة الخاصة بالحكام (الكوم الترابي).

وعند بوهين في النوبة السفلى، كشفت النقوش التي ترجع إلى 1600 قبل الميلاد أن عددا من المصريين قد اتخذوا حاكم كوش بمثابة زعيمٍ أعلى لهم. عندما انقضت القوات الكوشية على مدن مصر العليا. ومن الجدير بالذكر أن الوجود القديم لمصر الفرعونية في كوش اصبح مهددا بالخطر مع سيطرة حكام الهكسوس (غزاه من الكنعانيين) على مدن مصر الشمالية، وخاصة عندما طلبوا ضم قوات عسكرية من كوش لمهاجمة الدولة الفرعونية المتمركزة في مدينة طيبة.

الملك الفرعون "كاموس" ولاحقه "أحمس" قادا القوات الطيبية تجاه الشمال، وأعادوا توحيد مصر العليا والسفلى مرة أخرى. وتحت قيادة أحمس اتجهت القوات المصرية أيضا نحو منبع النهر، جنوبا بداخل النوبة، وبالتدريج أعاد احتلال كوش مرة ثانية منذ حوالي 1550 قبل الميلاد. استغرقت عملية إعادة الاحتلال بضعة قرون على ما يبدو. حدثت حملات عسكرية أخرى حوالي 1500 قبل الميلاد تحت قيادة كل من الملك "أمنحوتب الأول" و "تحتمس الأول"، ومع ثورة النوبيين ضد حكم الملك "تحتمس الثاني" والملكة "حتشبسوت"، بدأت خمسة قرون من الحكم الفرعوني المتواصل في كوش.

نادرا ما تقوم الحفريات بالكشف عن أي آثار للمعارك التي دارت بالمنطقة، أو على الأصح حصيلة الفوضى التي أعقبتها. في النوبة تم إنشاء مدن مصرية جديدة في أماكن استراتيجية. كرمه نفسها كانت شاهدة على تصميم مدينة مسورة دكي قيل بما حوت من معابد مصرية، وتم إنشاء مدن مصرية أخرى ارتكز تخطيطها على المعابد عند صلب وسيسبي وصاى. وقد تم بناء العديد من تلك المدن المصرية فوق مستوطنات كوشية تم الاستيلاء عليها أو بالقرب منها، حيث تم العثور على الأواني الفخارية الكوشية وأساليب الدفن التي تميزهم عن غيرهم. غير أن البعض من تلك المدن المصرية قد تم بناؤها بالقرب من مصادر المعادن الثمينة، مثل تلك التي تواجدت بالقرب من رواسب كبيرة من صخر الكوارتز الحامل لمعدن الذهب عند سيسبي. وفيما يتعلق بإنشاء آثار مصرية معمارية ضخمة يُمثِّل تصميم المعابد التي تقع أمام الجبل المقدس في منطقة البركل أقصى امتداد للدولة المصرية في الجنوب. ولكن تقدمهم نحو منبع النهر لم يتوقف، فعلى بُعد 1300 كيلو متر من الحصون الجنوبية لمصر عند أسوان تواجدت نقوش كثيرة مؤرخة ما بين حوالي (1500–1425) قبل الميلاد عند منطقة كرقس تدَّعي أن الحدود الإقليمية للنفوذ المصري قد وصل إلى هذه المنطقة بواسطة القوات الخاصة بكل من تحتمس الأول والثالث، كما أن هناك عددا من موظفي رمسيس الثاني قد قاموا بكتابة نصوص أخرى على نفس اللوحة المصنوعة من صخر الكوارتزيت.

ولكي تصبح الإدارة المصرية قادرة على حكم مثل تلك الأقاليم الشاسعة، قام المصريين بتعيين نائب للفرعون من النوبة (عُرف باسم ابن الملك الكوشي). سجلت العديد من الآثار النوبية أسماء هؤلاء النواب بشكل تسلسلي. وتحت قيادة هذا النائب تواجد اثنين من المسؤولين: أحدهما كان يقوم بدور (قائم مقام كوش النوبة العليا) والآخر (قائم مقام واوات النوبة السفلى)، وبالطبع فإنه من المفترض أن يكون كل منهما مسؤول عن التحكم وإدارة المنطقة الخاضعة له. كما أن هناك عددا من المسؤولين الآخرين الذين تقلدوا مناصب هامة، مثل حكام المدن، ناظر الأراضي الجنوبية، وعدد من الوظائف الكهنوتية والعسكرية والإدارية التي تشمل قسما إداريا للكتبة. البيروقراطية الإدارية المصرية تواجدت مع كل المدن الفرعونية التي تم إنشاؤها في النوبة.

حُكم الرعامسة

التغيير في النوبة

عادة ما يصف المؤرخون عصر الدولة الحديثة (1550–1070 قبل الميلاد) على أنه وقت ازدهار الإمبراطورية المصرية، ولكن لم تخلو مصر نفسها من بعض الاضطرابات أيضا خلال تلك الفترة. الفرعون الذي وحَّد بمعبود أوحد المُلقَّب بإخناتون الذي لم تتعدَّ فترة حكمه بضعة أعوام قليلة – ربما يكون هو والد الملك توت عنخ أمون – هو الذي مهد في النهاية لظهور أسرة جديدة من الملوك الفراعنة: رجال من عائلات ذات تاريخ عسكري.

يُعدُّ رمسيس الثاني أشهر ملوك تلك الأسرة. ولكن أباه ستي الأول هو من قام بتحفيز السياسة المصرية للتدخل في النوبة.

ففي العام الثامن من حكم ستي الأول (حوالي 1299 قبل الميلاد)، قام جيش الفرعون بحملة عسكرية استغرقت سبعة أيام ضد النوبة في تلك المنطقة التي عرفت قديما باسم "أيرم" والتي تقع حول ست آبار صحراوية. أقامت تلك الحملة العسكرية في عماره غرب لوحة تذكارية سجلت ذلك النصر، ووصفت كيف كانت "قوات الأرض الأجنبية "أيرم" تدبر للثورة. فهل كانت المعركة مجرد مناوشة خفيفة أو قمع لانبعاث ثورة مضادة؟ فقد تم أسر 45 رجلا و 49 طفلا و 66 خادما و 420 رأسا من المواشي. وعلى كل حال فخلال تلك الفترة تم إنشاء مدن جديدة في عكشه وعماره غرب، فيما بين الشلال الثالث ودال. وفي فترة حكم ابن الملك ستي الأول رمسيس الثاني التغييرات المتلاحقة أصبحت ملحوظة في النوبة السفلى مع بداية إنشاء عدد من المعابد الضخمة التي أُقيمت بغرض تدعيم الحكم الفرعوني على النوبة. ويعتبر معبد أبو سمبل أعظم تلك التغييرات الواضحة. معظم المعابد الأخرى تقبع الآن تحت مياه بحيرة النوبة. وعلى النقيض فإن المائتي عام اللاحقة شهدت نشاطا محدودا في المدن المصرية الأقدم مثل سيسبي وصلب وصاي. الدوافع خلف ذلك التحول في السياسة الملكية تجاه الحدود الجنوبية ليست واضحة، ولكن يمكن ملاحظة سياسة التغيير أيضا في الحدود عند ليبيا وبلاد الشام في ذلك الوقت. ظل ثراء النوبة بالموارد الطبيعية محطًّ اهتمام الخطط الخاصة بفراعنة مصر: الملك سيتي الأول أمر بأن يتم تنصيب لوحة تذكارية كبيرة على تل صغير من الحجر الرملي تطل على نهر النيل عند ناوري، التي تقع على بعد حوالي 100 كيلو جنوب عماره غرب. أوضح ذلك النص الطويل عدة تفصيلات توصف المنتجات والبضائع القادمة من النوبة إلى مصر، وكيف تم تخصيصها بالكامل لمصلحة المعبد الجنائزي الخاص بالملك في أبيدوس، والذي يبعد عنها مئات الكيلومترات في الشمال.



أحد التماثيل الصغيرة الجنائزية (أوشابتي) الخاصة بالملك «سيتي الأول» (حوالي 1290–1279 قبل الميلاد) والذي تم في عهده إنشاء مدينة عمارة غرب.

على الشمال
صورة جويه فى (اتجاة الغرب) تظهر مدينه عمارة غرب القديمة مقابلة لجزيرة أرنتى.

تأسيس عماره غرب

الملك ستي الأول هو من قام باختيار تلك الجزيرة النيلية الصغيرة لإنشاء مدينة جديدة. وتبلغ مساحتها حوالي 800 متر طولا و 300 متر عرضا، وتطوق الضفة اليسرى من نهر النيل، وقد أطلق عليها المصريون "بيت من ماعت رع (بيت ستي الأول)" وهي معروفة لدينا الآن تحت أسم عماره غرب. تم تكوين هذه الجزيرة بواسطة الطبقات المتراكمة من طمي النيل القديم، المُلقى على قاعدة صخرية من أحجار الشست. ويبدو أن هذه الجزيرة كانت بمثابة اللوحة البيضاء الخالية في أيدي مهندسي التخطيط؛ حيث لم يتم التعرف على أي برهان مُقنِع يؤكد وجود أي استيطان قبل فترة حكم الملك ستي الأول. وقد قدمت تلك الجزيرة العديد من المنافع للجانب المصري؛ حيث كان من السهل الدفاع عنها والتمركز بها لمراقبة حركة المرور في النهر، وكان لديها مصادر وفيرة من المياه العذبة والطعام – وبخاصة السمك – ولكن المصريين قاموا بإستغلال أرض الجزيرة الخصبة نفسها. ومع هذا فهناك عدة تساؤلات ما زالت تطرح نفسها: لماذا لم يكتف المصريون بتلك المدينة المصرية الأقدم والمُسماة صاي والتي تبعد 13 كيلو متر فقط عن جزيرة عماره غرب؟ هل إنشاء هذه المدينة ارتبط بأولوية جديدة لدى المصريين تتعلق بالإشراف على حركة المرور عبر الطريق الصحراوي المؤدي إلى واحة سليمه؟

لقد اتبع المعماريون والكتبة المصريون المكلفون بإنشاء مدينة عماره غرب نماذج مألوفة لديهم من العصور المبكرة من عصر إمبراطورية الرعامسة، مثل مدن "زاوية أم الرخام" و "كوم فرين" التي تم بناؤها بجانب حصون مصر الشمالية الغربية، إلى جانب مدينة "عكشه" في النوبة. تلك المدينة الجديدة كانت أصغر نسبيا من المدن التي تم إنشاؤها خلال الأسرة الثامنة عشر؛ حيث تبلغ مساحة منطقة الأسوار في مدينة عماره غرب (11,660 متر مربع) بينما تبلغ في مدينة سيسبي (45,000 متر مربع) وفي صاي (33,320 متر مربع). فتلك المدينة المخططة على مساحة 108 × 108، والتي يمكن وصفها بكونها تكفي لتضم ملعبين لكرة القدم فقط. كانت أركانها محددة بواسطة سور دائري مصنوع من قوالب الطين يبلغ سمكه (2.3–2.8 متر).



الكشف عن المدينة المطمورة و تنسيق الموقع

صوفي هاي

أتاح لنا المسح الجيوفيزيائي أن نتفهم أبعاد وهندسة موقع المدينة القديمة وما تحويه من مدافن، قبل أن نضرب أي مجرفة في المسطح الرملي الذي يغطي مدينة عماره غرب. ويعتبر أسلوب قياس التدرج أحد الوسائل التي تقوم بقياس التغييرات الدقيقة في المجال المغناطيسي للأرض الناتج عن تواجد بقايا الدفن. وبواسطة تتبع مؤشرات الرسم البياني لكل نقطة كظلال رمادي والتي تعكس بدورها انحدارات مغناطيسية مختلفة، يمكن لنا أن نستخرج خريطة قابلة للقراءة توصف تفاصيل المدينة القديمة كما تقبع تحت الرمال. فعلى سبيل المثال أصبح ذلك الحائط (100 متر × 100 متر) الذي يحتوي على عدة دعامات من الوجه الخارجي الخاص به، وبه برج خارجي في كل ركن = واضحًا للرؤية بشكل ظاهر في الرسم البياني، الذي أشار إلينا بوجود تشوهات مؤكدة في المبنى الذي استُخدِم الطوب الأخضر في بنائه، مشيرا لذلك بخطوط من اللون الأسود. وفي داخل أسوار المدينة يحتل المعبدُ الركنَ الشمالي الشرقي، وقد أظهرت المؤشرات أن حوائطه المبنية من الحجر الرملي لا يوجد بها أي تشوهات (خطوط بيضاء).

الفناء الأمامي للمعبد يبرز من سور المدينة تجاه قناة قديمة مطمورة. تشير بوضوح المساحات الخالية المنبسطة في الرسم البياني إلى مجرى القناة النيلية القديمة (للمزيد أنظر صـ 90–91). وغالبا ما يتم استعمال مبانٍ من الطوب الأخضر ممتدة في خطوط متشابكة لتحديد التصميم الداخلي للمدينة. ومع ذلك هناك مجموعة من المباني تقع في المربع الشمالي الغربي تمتد في محاذاة مختلفة عن باقي الاتجاه السائد في المدينة: وهي المجاورة السكنية رقم (E13) (انظر الفصل التالي، ص 24–45).

وخلف أسوار المدينة، إستطاع المسح الجيوفيزيائي اكتشاف منشآت إضافية، وقام بتقديم تحليل سريع. تتناثر مجموعة من المباني عند الجدار الغربي للمدينة – والتي يمكن أن يتم تحليلها على أنها قرية كبيرة – كمقابل صريح للتنظيم المكثف المتواجد داخل جدران المدينة. عادة ما يشير متخصصو الحفائر إليها على أنها الضاحية الغربية. قياس التدرج لا يقوم بالتفريق بين المراحل، ونادرا ما يكشف مباني مدفونة على عمق تحت بعضها، ولذلك فإن الحفائر دورها مطلوب في تلك المرحلة.

تم تعميم استخدام قياس التدرج في اثنين من الجبانات الموجودة بالمدينة. تعتبر الأنماط الخاصة بتوزيع أعمدة المقبرة وتنظيمها واضحةً للغاية في الجبانة (C)، كما استطاع تحديد غرف الأهرام الأكثر تعقيدا، والتي تقع حول أعمدة الدفن في الجبانة (D). يمكن لمتخصصي الحفريات عند التعرف على تخطيط مثل هذه الجبانات أن يدركوا حجم وتوزيع المقابر في المكان، ويعقدوا المقارنة لتحديد أي الأماكن تأتي في أولوياتهم في الحفر والتنقيب. فربما كان التركيز قديما منصبًّا على اكتشاف أكبر جبانة دفن والتي بالفعل تم العثور عليها في عماره غرب وهي تعتبر الأثار الجنائزية الفريدة المبنية من الطوب الأخضر على قمة فوق تلك القناة النيلية الجافة.

ورغبة منا في التعرف على شكل القنوات النيلية القديمة وعمقها حول مدينة عماره غرب، قمنا باستخدام أسلوب الاستشعار عن بعد: عندما تخترق ذبذباتُ الرادارِ العاليةُ الأرضَ يقوم المجس بقياس كيف تعكس الذبذبات معالم الأثر تحت الأرض. وباستغلال الآلاف من تلك المقاييس، يمكن بناء نموذج ثلاثي الأبعاد لإعادة تجسيم الملامح الخاصة بالقناة في جوف الأرض. وتشير المقاطع العرضية الخاصة بالقناة على أنها قناة ضيقة عميقة وكانت تتجه تدريجيا نحو المدينة.





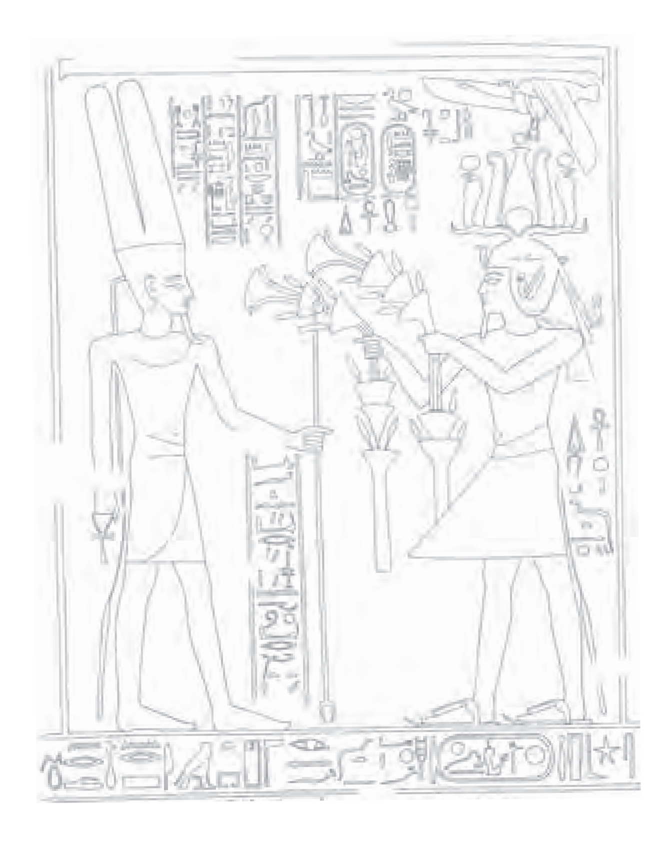
مدخل قاعة الأعمدة المسقوفة في عمارة غرب. مصدر الصورة: الجمعية المصرية للاستكشاف.

ومُغطّى بطبقة من الملاط، وتم تدعيمه بعدد من الحصون والأبراج في الأركان. بعض من قوالب الطين في السور كانت مختومة بخاتم الملك سيتي الأول. كما تواجدت أيضا عدة ممرات علوية داخل الأسوار يتم الصعود إليها بواسطة سلالم من البوابة الغربية، هذه الممرات استُخدِمت كنقاط مرتفعة للحراسة. هناك نص ملكي منقوش في مدينة طيبة بواسطة الملك "مرنبتاح"، ابن الملك رمسيس الثاني، يصف المناخ المثالي للمعيشة في تلك المدن الحصينة قائلا: "رجال المعارك المدرعين مطمئنين، فقط شروق الشمس هو ما يجعل رجال الحراسة يستيقظون، المدجا (الحراس) نائمون، أجسادهم تبدو مسترخية".

تم تجهيز أسوار المدينة بثلاثة بوابات: إحداها تواجه الغرب والأخرى تواجه قناة نهرية صغيرة في الشمال، والثالثة كانت مخصصة لدخول زوار ومسؤولي المعبد. كانت البوابة الغربية مصنوعة من الحجر الرملي وقد تم طلاؤها بألوان زاهية، وتعكس السيطرة الثقافية للمصريين على النوبة، حيث تم تزيينها بأسماء الملك رمسيس الثاني، وفي المعبر تم تصوير الفرعون وهو يحارب ضد النوبيين في (أيرم) ورجوعه ظافرًا إلى مصر. النصوص المُصاحبة تشير إلى 2000 رجل من الأعداء تم قتلهم بجانب 5000 أسير. وبالطبع فإن أي عابر للبوابة سواء أكان في استطاعته قراءة اللغة المصرية القديمة أم لا كان سيُترك لديه الانطباع بأنه يقع تحت سيطرة المصريين.

معبد آمون رع

تم تخصيص ربع مساحة تلك المدينة المسوَّرة تقريبا للمعبد المصري، وهو ما قامت بالكشف عنه حفائر جمعية الاستكشاف المصرية عامي 1938–1939. فقد تم بناء ذلك المعبد باستعمال الحجر الرملي الأبيض المحلي، وكان المعبد ما زال قائما على ارتفاع يبلغ 2.3 متر عندما كشف عنه "فايرمان" وفريقه البحثي عام 1938. المعبد يغطي مساحة 43.5 × 18 متر، هذا بجانب فناء يبلغ مساحته 26.5 × 20.7 متر ممتدا خلف سور المدينة، ومطلا على قناة نهرية صغيرة في شمال الموقع. الفناء كان مُعبَّدا ومظللا بالأشجار التي وضعت جذورها داخل حفر. كما احتوى الفناء على لوحتين تذكاريتين من رمسيس الثاني، إحدهما تسجل زواج الملك



الملك رمسيس الثاني يقدم باقة من الزهور إلى المعبود «آمون رع» كما هو مصور على أحد أعمدة معبد عمارة غرب. الرسم منقول بواسطة الجمعية المصرية للاستكشاف.

أسفل
أسماء المدن النوبية المحتلة، وكل منها معلق بصورة لأسير نوبي. جزء من الزخارف الموجودة على قاعة الأعمدة الخاصة بالمعبد. الرسم منقول بواسطة الجمعية المصرية للاستكشاف.

من الأميرة الحيثية، والأخرى نص يوضح الملك وهو يستقبل البركة والنعم خلال أحد الأحلام من المعبود بتاح.

يتم الدخول إلى المعبد نفسه من خلال بوابة ضيقة تم قطعها في سور المدينة، وتم تزيينها بأسماء الملك رمسيس السادس (1151–1143 قبل الميلاد) بجانب اسم نائبه في النوبة رمسيس نخت. بلا شك التصميم الداخلي للمعبد سيعدُّ مألوفا لهؤلاء الذين قاموا بزيارة معابد مصر في ذات الفترة. فهو يتكون من رواق اصطفَّت الأعمدة فيه على كل جانب، وتم تعبيد أرضيته بخليط من الحجر الرملي وقطع صغيرة من حجر الشست الأسود. الأسوار كانت مزينة بنص هيروغليفي هائل يرجع إلى العام السادس، اليوم الأول من الصيف، يوم 25 من حكم رمسيس التاسع (1126 قبل الميلاد). ويحتمل أن يكون بمثابة نص تذكاري للاحتفال بانتهاء تزيين المعبد، تقريبا بعد 175 سنة بعدما تم بناؤه. ويعد هذا النص آخر النصوص الملكية المعروفة لنا في النوبة العليا. قريبا ستفقد مصر سيطرتها السياسية على كل الإقليم.

وعندما يتجول المرء داخل المعبد سيجد قاعة بهو الأعمدة، وهي مساحة مكتظة بثلاثة صفوف من الأعمدة وكانت في الأصل مُسقفة، ومزخرفة بمنظر يستدعي إلى الذهن هيئة المستنقعات الأولى في وقت خلق الكون. تضم العناصر الزخرفية في كلتا القاعتين مناظر للفرعون وهو يقدم القرابين للمعبودات، ولكن أيضا بمصاحبة بعض المناظر التي صورت انتصار الحملات العسكرية الخاصة بالفرعون، مثل السيطرة على إحدى



المدن السورية. وقد زينت صور مجموعات من الأسرى – الأسيويين والليبيين والنوبيين – الجزء السفلي من الحوائط، كتأكيد ضمني لرغبة مصر في السيطرة على تلك الأراضي الأجنبية المثيرة للفوضى.

تقع خلف قاعة الأعمدة غرفة واسعة، بها سلالم تصل إلى السقف. هذه الغرفة تحوي ثلاثة هياكل تم تصميمها بجانب بعضها البعض. الهيكل الرئيس، من المفترض أنه مخصص لهيئة معبود الدولة آمون رع، وتبلغ مساحته 5.7 × 3.0 متر. هذا الهيكل احتوى على تمثال المعبود الرئيسي للمعبد الذي يتلقى اهتماما يوميا من مُريديه. ربما كان يتم الاحتفاظ بهذا التمثال في قارب أو مكان مُقدّس، موضوع على قاعدة في وسط الحجرة. كما تضمن المعبد معبودات أخرى مثل ثالوث شلال الأول للنيل بالقرب من أسوان (خنوم – أنوكت – ساتت) هذا إلى جانب المعبودة "موت" زوجة آمون رع والمعبود "خنسو" ابن آمون رع.

تفترض الصور الأرشيفية التي تم التقاطها خلال الكشف عن المعبد عام 1939 أن اللون السائد داخل الأثر كان الأبيض الضارب إلى الصُّفرة، ولكن الحفائر سجلت أيضا وجود اللون الأصفر والأزرق على الجدران، وأيضا بعض الرقاقات الذهبية التي تم استعمالها في بعض الزخارف المحفورة. المعابد الفرعونية لم تكن بالأماكن التي يحتشد أو يتجمع فيها العامة، بل كانت بمثابة الأماكن الرسمية التي يمكن للناس مقابلة المعبودات فيها. وبجانب الكهنة الذين كانوا يمارسون طقوسهم اليومية وينظمون الاحتفالات، فإن الأشخاص العاديين كان باستطاعتهم تقديم التماثيل واللوحات كنذور في هذا المكان؛ فقد ترك لنا أحد الكتّاب ويُدعى "آمون ام حات" تمثالا مصورا نفسه في وضع خشوع واضعا يديه على فخذيه. كما توجد داخل رواق الأعمدة نقوش تسأل الزائرين بتقديم قرابينهم على مائدة القرابين الخاصة بالمعبود آمون رع، كما وجدت لوحة صوَّرت رجلا يدعى

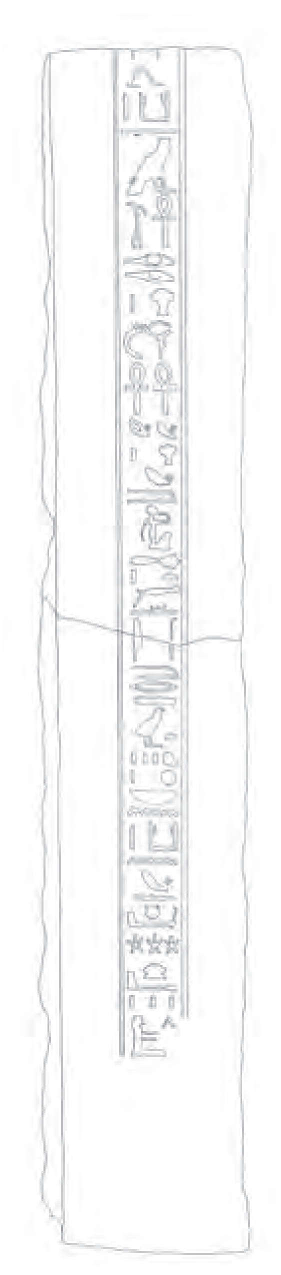


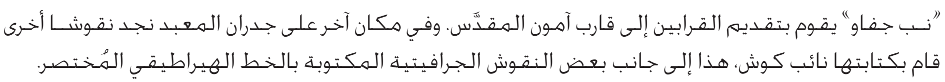
لوحة مصنوعة من الحجر الرملي تصوِّر المعبود «آمون رع» ككبش. تم إعادة استخدامها كغطاء لإناء مدفون في أرضية المنزل رقم (E13.9).

على الشمال
كتف الباب الخاص بمقر إقامة النائب والذي تم نقشه باسم نائب كوش ساباو-خو. الرسم منقول بواسطة الجمعية المصرية للاستكشاف.



منظر لعملية تسجيل الزخارف الموجودة على المعبد في موسم 1938–1939. مصدر الصورة: الجمعية المصرية للاستكشاف.





"نب جفاو" يقوم بتقديم القرابين إلى قارب آمون المقدَّس. وفي مكان آخر على جدران المعبد نجد نقوشا أخرى قام بكتابتها نائب كوش، هذا إلى جانب بعض النقوش الجرافيتية المكتوبة بالخط الهيراطيقي المُختصر.

يقع المعبد داخل منطقة مقدسة محددة بسور، والذي احتوى أيضا على عدد من المخازن صغيرة الحجم. هذه الغرف الضيقة، ذات الأسقف المقوسة والأبواب الحجرية، كان من المفترض أن يتم تخزين القرابين وبرديات الأرشيف والأدوات التي كان يقوم الكهنة باستعمالها وممتلكات المعبد فيها. عثرت بعثة الجمعية المصرية للاستكشاف (EES) في أحد المخازن على أكثر من 400 ختم طيني عليها أسماء كل من الملك تحتمس الثالث والملكة حتشبسوت الذين حكما قرابة 150 عاما قبل أن يتم إنشاء مدينة عماره غرب. مثل هذه الأختام ربما كانت مُلحقة بأرشيف المُكاتبات والمعاملات أو تخص صناديق وأوعية استخدمت لحفظ المقتنيات الثمينة (للمزيد أنظر صفحة 49). وربما كانت الحجرات الأخرى المتواجدة داخل حرم المعبد مستخدمة كأماكن تعبد فرعية ولإقامة الكهان.

مكان للإقامة يليق بالنائب

يعتبر مكان إقامة النائب الرسمي أحد أهم المباني في المدينة بعد المعبد، وهو يقع داخل البوابة الغربية. تم الكشف عنه في عامي (1947–1938). يغطي هذا المبنى مساحة تقدر بـ (24.5 × 29) مترا فهو بذلك أكبر حجما من أي منزل آخر في الموقع. يحيط به سور يبلغ سمكه (1.1 متر). ويبدو أن تخطيطه الرئيسي لم يتغير خلال عقود من التغيير والتجديد؛ فهو يحتوي على عدة غرف مُعبدة بالبلاط، وبه اعمده حجرية بتيجان على شكل سعف النخيل، وعدة أبواب، وفناء خارجي يبلغ مساحته أكثر من (10 أمتار × 10 أمتار) إن إكتشاف مجموعة من الاجزاء الجانبية للابواب(كتوف) والعتبات التي تم تزينها بنقوش من أجل نائب كوش قادت الحفريات لافتراض أن ذلك المبنى كان بمثابة المقر الرسمي لإقامة النائب، الذي يمثل أعلى رتبة رسمية في كوش الفرعونية. جزء من المبنى كان منزلا، والجزء الآخر كان يحوي قاعة اللقاءات الرسمية. ومن هؤلاء النواب الذين تم التعرف عليهم النائب "سوبك هاو" الذي عمل تحت قيادة الملك سيتي الأول، والنائب "باسر" الذي خدم تحت إمرة الملك رمسيس الثالث.

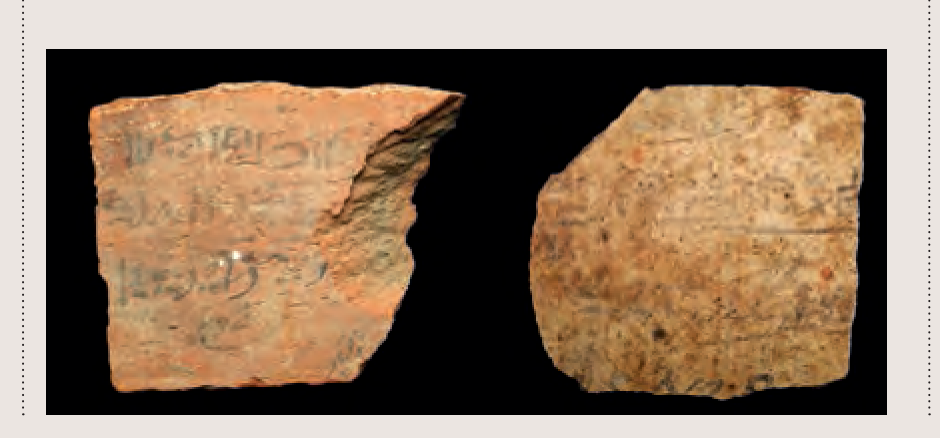
قراءة تعاليم آمون ام حات في النوبة العليا

ريتشارد باركينسون & نيل سبنسر

تم العثور على ثلاثة مقتطفات من تعاليم الملك آمون ام حات في مدينة عمارة غرب كلها مكتوبة بالخط الهيراطيقي – الشكل المُختصَر من الهيروغليفي والمُفصَّل في كتابة النصوص الإدارية والأدبية – يعدُّ هذا النص أحد أهم النصوص الأدبية الكلاسيكية ذات اللغة الشاعرة في مصر القديمة. القصيدة جاءت على لسان الملك المتوفى آمون ام حات الأول (1991–1962 قبل الميلاد) متحدثا إلى ابنه وخليفته على العرش سنوسرت الأول، ناصحًا إياه أن يتخذ الحذر من الثقة العمياء بالناس؛ لأن منهم من سيقابل الإحسان بالنكران. وبشكل لافت للنظر؛ تحتوي هذه القصيدة على وصف مُفصَّل لعملية اغتيال الملك آمون ام حات. وعلى الرغم من أن تاريخ تأليف هذه القصيدة غير واضح – فربما ترجع إلى أوائل الدولة الوسطى أو أواخرها أو حتى أوائل الدولة الحديثة – إلا أنها كانت من النصوص المفضَّلة للنسخ على الأقل منذ 200 عام قبل أن يتم تأسيس مدينة عمارة وست.

تم العثور على اثنتين من النسخ بواسطة الجمعية المصرية للاستكشاف (EES) داخل حرم المعبد، والثالثة (SNM 33307) عُثر عليها في طبقة المخلَّفات الخاصة بأحد المنازل في الضاحية الغربية الذي يحمل رقم (E12.10) (للمزيد انظر صـ 36–37). تمت كتابة تلك الأخيرة على قطعة من الفخار الخاصة بأحد أوعية التخزين الكبيرة، واستخدم الكاتب الحبرَ الأسود المنقط باللون الأحمر في كتابتها؛ لكي يوضح نهايات أسطر القصيدة. تحوي هذه النسخة المقطوعة التي يتوسل فيها الملك المتوفى إلى حلفائه من الرجال أن يخوضوا معركة عظيمة من أجل الثأر ممن قاموا باغتياله.

مثل تلك المقتطفات المنسوخة عادة ما يتم اعتبارها على أنها تمارين في الكتابة؛ حيث يقوم الكتبة بإعادة نسخها عدة مرات كجزء من مرحلة متقدمة من التدريب الخاص بهم داخل مصر. هذه هي الأمثلة الأولى التي تبرهن أن علية القوم من الكتبة كانوا يقومون بمثل تلك التمارين خارج الحدود المصرية، وفي هذه الحالة تحديدا داخل المستعمرة المصرية في النوبة العليا. يعتبر هذا النص في حد ذاته احدى النصوص التي تمثل تطلعات وإهتمامات الطبقة العليا الحاكمة بمصر، كما ان النص يتضمن بين طياته العديد من الأشارات التي توصف النوبيين على انهم إحدى الأمم الخاضعة للحكم المصري. وبالطبع تعد مدينة عمارة غرب – والتي يمكن توصيف نشأتها بكونه ارتبط بقرار ملكي لرعاية الشئون والاهتمامات المصرية داخل العمق النوبي – المكان الأنسب لقراءة ونسخ مثل تلك التعاليم التي يفترض ان أحد الملوك المُنتمين لإحدى الأسرات المبكرة قد قام بتأليفها، فربما وجد الإداريين المصريين العاملين بعمارة غرب سببا مقنعا في قراءة هذه القصيدة التي تحذر من الثقة العمياء في الأخرين كإنعكاس لتواجدهم في العمق النوبي، او ربما تم إستعمال النص كحافز للقيام بعمل ما على إعتبار ان النص يعد أحد النصوص الكلاسيكية القديمة التي حرص المصريين أنفسهم على تداولها جيل بعد جيل. السؤال الأخير الذي يطرح نفسه الأن كيف تلقى القراء والناسخين من ذوي الثقافة او الأصول النوبية مثل ذلك النص الذي يتمحور إهتمامته حول قضايا تثبيت الحكم الملكي الداخلي وإخضاع البلاد المجاورة للحكم المصري؟ وكيف كان رد فعلهم؟





الباحثة الآثارية السودانية شادية عبد ربه تقوم بالكشف عن فرن للفخار من داخل الجدار الشمالي للمدينة، ذلك الجزء من المدينة الذي يشكل المراحل الأولى من استخدام المدينة للسكن.

المُؤن والسيطرة: ما الدور الذي كان منوطا لمدينة عماره غرب القيام به؟

بخلاف تقديم الطاعة والولاء للمعبودات في المعبد، وكونه المكان الأساسي لإقامة أهم مسئول رسمي في مدينة عماره غرب مَن الذين كانوا يعيشون في هذه المدينة قديما، وماذا كانوا يفعلون؟

كل مجهوداتنا لفهم التاريخ المبكر للمدينة كانت متوقفة على حالة الحفظ الخاصة بالمباني التي أُنشئت في فترات لاحقة؛ فنحن ببساطة لا نستطيع أن نرى بشكل كافٍ كيف كانت المباني الأكثر قدما، حيث إن الحفريات لم تكشف بشكل منهجي الطبقات المعمارية اللاحقة. وبالرغم من ذلك فيبدو واضحا أن جزءًا كبيرًا من المدينة المسوَّرة كان مخصصا في الأصل لمبانٍ ومؤسسات رسمية، تحوي طاقة استيعابية معقولة للتخزين. هذه المباني اتخذت شكل سلسلة طويلة من الحجرات الضيقة ذات الأسقف المقوسة، وتواجدت في المنطقة الجنوبية من المعبد، وأيضا عند الركن الشمالي الغربي من المدينة. تم تسوية المرحلة الأولى من أراضي تلك المباني في تاريخ مبكر عن بناء المدينة، حتى وصلت في سمكها إلى أقل من طبقة أو اثنتين من الطوب. ويمكننا فقط أن نتخيل الضوضاء والأتربة وكثافة الحركة عندما تم تمهيد المدينة لبنائها.

تم استعمال قطع صغيرة من الحجر الرملي والشست في العديد من تلك المخازن لعمل أرضية صلبة. قد يعكس هذا البذخ في التكلفة أهمية الأدوات والبضائع المُخزَّنة فيها وقيمتها، وربما قصد من ذلك الإقلال من التأثير السلبي للقوارض والحشرات. فهناك كتف باب عُثر عليه بعد أن تم إعادة استعمالها مرة أخرى في بيت ينتمي للأسرة العشرين وفيها نقش يحمل هذا اللقب "ناظر الشونة المزدوجة حور حوتب"، وهو لقب رسمي يناسب مدينة تعج بأماكن تخزين السلع. فبخلاف الأختام الطينية التي تم ذكرها آنفا، فقد تم اكتشاف "اوستراكا"، وهي شقافات خزفية تم استعمالها في الكتابة، تحمل ملحوظة تسليم وتسلُّم تعكس نوع السيطرة التي تمتع بها أشخاص مستقلين مثل حور حوتب.

التواجد المبكر للكهنة وناظر الكهنة كمستوطنين لهذه المدينة يمكن التعرف عليه من النقوش المتواجدة على العمائر، ولكن بخلاف ذلك نحن نجهل بشكل كبير من كان يعيش برفقتهم في ذلك الوقت. وبالطبع ربما يكون هذا نتيجة لعدم تبني المجتمعات النوبية لنظام كتابة معروف لنا حتى الألفية الأولى قبل الميلاد، وهو ما يعد سببا في عدم العثور على أي اسم للنوبيين الذين عاشوا في مدينة عماره غرب.



إحـدى المشـاكل التـي تقابلنـا فـي فهـم العصور المبكـرة لمدينة عمـاره غرب – تلـك المدينـة التي تـم تخطيطها بواسـطة موظفـي الفرعـون – هـي وجـود عـدد قليـل جـدا مـن المنـازل. ومـن المحتمل أنـه قد تم استخدام أسلوب إقامة الحاميات العسكرية المتـراصّ فـي المربـع الجنوبـي الغربـي مـن تلـك المسـتوطنة المُحاطـة بسـور، ولكـن هـذه المنطقة مازالـت في حاجة إلـى المزيد مـن الحفريات المباني التي تـم العثور عليها – حتـى الآن – تفتـرض أن هـذه المدينـة كان يعيش بها عدد قليل من السـكان حوالي 200 فرد. ولا نسـتطيع التيقن عمـا إذا كـانت هناك عائلات عاشت هنا في السنين الأولى من عمر هذه المدينة الجديدة أم لا.

لم تكن تعتمد مدينة عمارة غرب منذ نِشـأتها الأولى على أي مؤن تأتيها من الخارج، سـواء من مصر أو حتـى من المـدن المجاورة. فقـد عُثر على أحـد الأفران الصغيـرة الذي تم اسـتعماله فـي صنع الفخـار، وهو بذلـك يُعدُّ أحد أهم المعالم المبكرة التي تم اكتشافها في المدينة، والذي كان يعتلي مباشرة المسطح الطبيعي للجزيرة. فهل نرى هنا أحد بقايا السكان الأوائل، وهل اسـتخدام هذا الفرن كان لتلبيـة احتياجتهم من الأوعية الفخارية الخاصة بالطبـخ أو لتقديم وحفظ الطعام؟ بعـض النـاس كانت لديهم رغبة ملحـة في اقتناء مقتنيـات غير مألوفه داخـل منازلهم، مثل فخـار بلاد الإغريق القديمة الميسـنوين (للمزيد أنظر صـ 62–63). ويبدو أن الحصول على مثل هذه البضائع الثمينة خلال القرنين التاليين قد تضاءل للغاية.



سيطرة سياسية وتبادلات ثقافية

شـهدت بداية القـرن الحادي والعشـرين اهتماما متجددا في الكشـف عن مسـتوطنات المصريـين ومدافنهم ومقابرهم في النوبة، لاسـيما في مدينة كرمه(دقي قيل)، ومدينتي صاي وسيسـبي. وبشـكل متنامٍ، أصبح من الواضح أن العلاقة بين مصر والنوبة كانت ثرية بالتفاعل والتأثير المتبادل أكثر من مجرد تلك النظرة السطحية التي تربط العلاقة بين الحاكم والمحكوم. فقد كان التأثير المصري ينحصر في تلك المدن الفرعونية، ويتضاءل كثيرا خارج حدود هذه المدن. كما افترضت إحدى الدراسـات التي قامت بعمل مسـح آثاري للإقليم عند الشـلال الثالث. فقد تمكننا من أن نلقي الضوء على الكثير من الأسـئلة الرئيسـية المتعلقـة بالحياة في الزمن العتيق باستعمال أحدث الوسائل الآثارية والتحليل العلمي.

كيـف كانـت الحياة في النوبـة الفرعونيه؟ من الذي كان يعيـش في هذه المدن؟ كيـف قـام الناس هناك بخلق وتغيير مسـاحات المعيشـة الخاصة بهم؟ كيف تعاملوا مع أسـاليب إعداد الطعـام؟ وكيف تفاعلوا مع البيئـة الطبيعيـة المحيطة بهم؟ ما نـوع المعتقدات الروحية التـي يمكن أن يتم اقتفائهـا؟ كيف تغيرت هذه المدن على مر الأزمنة؟ ولماذا تم إهمالها في آخر الأمر؟

على اليمين
جزء من نص يشير الى تسلييم وتسلم بضائع، وهو مكتوب بالخط الهيراطيقي على أحد أجزاء الفخار.

أسفل
مساحة للتخزين تقع في وسط المنطقة (E13). يمكننا رؤية الجزء السفلي من السقف المعقود في يسار الصورة.

والسؤال المتضمن في كل تلك الأسئلة السابقة عادة ما يتعلق بالهوية الثقافية ومدى التفاعل بين سكان المدينة الفرعونية والإقليم. عادة ما تقودنا الأدلة القادمة إلينا من النوبة، وأيضا من عدة أماكن أخرى كان لها نصيب مشابه في الخضوع تحت حكم الاستعمار، إلى مثل تلك التساؤلات المتعلقة بتصنيفات الهوية الصارمة "كمصري أو نوبي". ذلك الفصل الذي كان مفضلا أيضا لدرجة المبالغة في رسوم المعابد الفرعونية. فعندما تم إنشاء مدينة عماره غرب حوالي عام 1300 قبل الميلاد، كان الأفراد الذين انتقلوا للمعيشة هناك ما زالوا يقطنون في إقليم يقع تحت السيطرة السياسية لمصر لمدة لا تقل عن 250 عاما قبل ذلك. المدى المتاح للتفاعل الثقافي، والتهجين، إعادة التفسير، وخلق هويات مضطربة وضبابية كان هائلا.

تقلّد بعضٌ من علية القوم النوبيين مع المصريين كبرى الوظائف الإدارية داخل الدولة المصرية، مثل حاكم "تيه خت" في منطقة سرة بالنوبة السفلى. بعض أساتذة المصريات افترضوا في خِضَم دراستهم لأسلوب دفن الأمتعة داخل المقابر مع المتوفى في النوبة، ذلك الأسلوبَ المفضلَ لدى المصريين، وبخاصة خلال الأسرة الثامنة عشر إن النوبيين قد تم تمصيرهم خلال فترة الدولة الحديثة، حتى مع تلك المغالاة في اعتبار الثقافة النوبية أقل من مثيلاتها المصرية. لكن الحفائر والبحوث المستمرة قامت بتغيير مثل تلك المفاهيم، بعد أن استخرجت الفروق الدقيقة التي كانت بالتأكيد متواجدة في هؤلاء الذين عاشوا في بلاد النوبة تحت سيطرة الدولة الحديثة؛ حيث اختار الأفراد والعائلات والمجموعات الأخرى عدة مظاهر من كلا الثقافتين النوبية والمصرية داخل منازلهم، حتى في أسلوب إعدادهم للطعام أو تجهيز المتوفى.

يبحث هذا الكتاب في مثل تلك التساؤلات من خلال استعمال الأدلة المُستخرَجة من مدينة عماره غرب.



ما بعد الصحراء

آنا ستيفنز

لم تظهر مدينة الرعامسة عماره غرب للوجود من العدم، ولم توجد كجزيرة منعزلة عن المحيط الذي حولها. فعندما تم إنشاء عمارة غرب، تم اختيار أجزاء من الحواف الصحراوية شديدة الانحدار كأماكن لدفن الموتى. ففي أحد الأمثلة تم دفن الموتى في عماره غرب جنبا الي جنب في مدافن تعود إلى فترة مبكرة من العصر الكوشي الوسيط. أحد هؤلاء علية القوم الذين تم دفنهم في الشمال من تلك الجبانة، هو كاتب المعبد المُسمى «هاتياي» والذي حفر اسمه وألقابه على أحد صخور الشست فوق مدفنه. فهل كان أحد قاطني المدينة، أم ربما وافته المنية أثناء مروره على عماره غرب في طريقه إلى مكان أخر؟ النقوش الخاصة به موضوعة بخط ظاهر وسط عدة رسومات لماشية ذات قرون طويلة، مذكرة إيانا مرة أخرى بكيف كان التواجد الفرعوني في هذه المنطقة يعد التفاعل الأكثر حداثة مع مشهد الصحراء شديدة النشاط حوله.

يهدف البحث الخاص بنا إلى وضع المدينة في سياقها التاريخي، بما يحمله ذلك من طيات التوجه نحو فهم أفضل للتاريخ المحلي للمدينة. كيف كان يتم إستغلال الصحراء خلال فترة استيطان المدينة نفسها؟ وما نوع الحضور المصري المتواجد في نطاق هذه المنطقة من النيل في أوقات متفرقة؟ ولكي نحظى بإجابات مدعمة ببراهين، قمنا بعمل مسح للصحراء التي تقع خلف المدينة المسوَّرة مدعوم ببرنامج منظم للعمل الميداني، اتبعنا فيه الخطوات التي اتخذها الأثاري أندريه فيلا في عام 1970.







ومن الوهلة الاولى، عثرنا على إشارات قليلة تدعم وجود نشاط بشري خلف المدينة المسوَّرة والجبانات الخاصة بها. تنحصر العلامة الوحيدة لوجود أي نشاط حيوي في تلك الصحراء المجدبة، التي يتخللها من حين لآخر بروز صخري في آثار قوافل الجمال في طريقها إلى مصر. ولكن مع التدقيق كثيرا، بدأنا في ملاحظة قطع صغيرة متناثرة من الفخار، وفتات ناتجة عن سحن حجر الكوارتيز. وعند تلك النقطة ظهرت لنا خطوط من الأسوار الحجرية، وحصون دائرية (كومة ترابية). وتدريجيا، قامت تلك الصحراء الثرية بالكشف عن مناقبها لنا؛ فكانت هذه الآثار بقايا مستوطنات، بعض منها يُعتبَر أكثر قدما من مدينة عماره غرب بأكثر من مئات أو آلاف السنين.

تم فحص مساحة كبيرة تحوي عددًا كبيرًا من اللقى المتناثرة في أوائل عام 2014، تشمل تلك اللقى الآثارية رقائق حجرية وأجزاءا من أسوار تم بناؤها من الحجر الجاف، وتقع تحديدا على بعد حوالي 2 كيلو متر شمال المدينة الرعمسوية، على حافة قناة نيلية جافة مطمورة. ويتبدى لنا وجود نوع من الاستيطان في أحد المواقع المُسماة (2-R-65) والذي يمكن تأريخه – بالنظر إلى أسلوب صناعة الفخار الذي تم العثور عليه – إلى الفترة الممتدة من العصر المبكر إلى وسط الأسرة الثامنة عشر. وجد الفخار المصري والنوبي المُستخدَم في الأغراض المنزلية مختلطا مع طبقات رمادية تحتوي على عظام حيوانات، ويُعتقَد أنها مخلفات ناتجة عن تلك المستوطنة. وقد تم العثور أيضا على جزء من إناء فخاري مزخرف، وخرز زجاجي وجعران. كما عُثِر على أحد الأختام الحجرية غير المعتادة كانت تحمل اسم آمون امر حوتب، وهو اسم مألوف جدا خلال فترة الأسرة الثامنة عشر. تلك الآثار تبعث بقليل من الشك لما يتعلق بتواجد المصريين في تلك المنطقة؛ فتلك المواد لم تكن بقايا تبادل تجاري. فهل يحتمل أن تلك المستوطنة قد تم استخدامها كمخيم لأحد بعثات التعدين أو أن سكان الجزيرة كانوا يقومون باستغلال معظم المساحات المتاحة في الجزيرة لنشاطات أخرى، كمكان للإشراف على مسالك الصحراء والنيل؟ وربما تم توظيفها كنقطة اتصال أمامية للمستوطنة التي ترجع أيضا للأسرة الثامنة عشر والأكبر مساحة منها عند المنبع والمعروفة بجزيرة صاي.

ولكن ما زالت هناك معضلة أمامنا. فيبدو أن تلك اللقى الفخارية مؤرخة بفترة حكم الملك تحوتمس الثالث (حوالي 1479–1425 قبل الميلاد)، ذلك الفرعون الذي حكم حوالي 150 عامًا قبل أن يتم بناء تلك المدينة المسوَّرة نفسها. فماذا حدث في الوقت الذي يفصل بين إنشاء الجزيرة وذلك التاريخ؟ هل قام المصريون بإخلاء المنطقة من سكانها تماما، حتى يعودوا إليها مجددا بعد عدة أجيال لاحقة؟ وإن فعلوا ذلك فلماذا؟ فربما نعثر بين البروز الصخرية ورمال الصحراء على بقايا المستوطنة التي تعود إلى عصر لاحق من الأسرة الثامنة عشر، وبذلك نعثر على بعض الأجوبة لمثل هذه التساؤلات.

مجتمع متغير

و خلْق مساحات جديدة للمعيشة

نيل سبنسر





اعتادَ الزمانُ أن يطمس ما يحدث من تغييرات، ولكن الآن أصبح من الواضح أن مدينة عمارة غرب التي تم إنشاؤها سنة 1300 قبل الميلاد – المدينة التي قمنا بوصف تخطيطها في الفصل السابق – تغيرت معالمها من حين لآخر، حتى بالنسبة للزائر الذي قد يقوم بزيارتها بعد 100 سنة من نشأتها أو 200 سنة. وقد بدأنا نتفهم جيدا الديناميكية الخاصة بطبيعة التغيير في تلك المدينة المصرية الواقعة في كوش بالنظر إلى كيف تغيرت معالم أحد ضواحي المدينة خلال قرنين من الزمان، أو كيف تم استحداث مناطق سكنية جديدة خارج المدينة المسورة حوالي 1200 قبل الميلاد. هذا بالإضافة إلى أنه يمكن أن نتعرف على الدوافع التي شجعت الأفراد والعائلات على الإقدام على عمل مثل تلك التغييرات في مدينة عمارة غرب نفسها، تلك المدينة التي تقع بعيدا عن مراكز القوى الخاصة بالدولة الفرعونية.

الصفحة السابقة
الحفائر الخاصة بالمنزل رقم E13.5 في يناير 2013.

ظهور أحد الضواحي

تعتبر تلك المنطقة التي تم تسميتها (E13) بواسطة المنقبين في القرن الحادي والعشرين من أكثر أجزاء المدينة التي نالت الكثير من الاهتمام والدراسة، وهي مجموعة من المباني تقع بالقرب من مقر النائب في الجزء الشمالي الغربي من المدينة المسورة. وبالطبع ربما ليس في مقدرتنا أن نتعرف على هؤلاء الذين قُدِّر لهم أن يسيروا في تلك الازقة الضيقة، أو حتى الذين كانوا ينظرون إلى بعضهم البعض من الأسطح في هذه الضاحية، ولكننا نعرف عن يقين أن هذه المنطقة لم تنشأ خصيصا لتصبح منطقة سكنية.

ومثل عِدَّة مناطق في تلك المدينة المسورة، تتخذ المباني التي تم إنشائها في فترة مبكرة شكل المجمعات الواسعة (E12.6) التي تحوي بدورها على مجموعة من المساحات التي تشبه الممرات، ومن المرجَّح أن تحتوي أيضا على مناطق للتخزين يتم التحكم فيها بواسطة القائمين على شؤون الإدارة في المدينة. وبالقرب من المنطقة الشمالية يقع أحد أفران الفخار الذي اتخذ من الجدار الشمالي للمدينة مصدًّا للرياح التي قد تعوق عمله، وربما كان يتم وضعه في فناء مفتوح على الهواء الطلق. تم تسوية أرضية المنطقة وإعادة تخطيطها في تاريخ مبكِّر من عمر المدينة، كما حدث في المناطق الأخرى، ربما تم ذلك خلال حكم الملك ستي الأول أو رمسيس الثاني. فقد احتفظت بشكل عام على مساحات لتخزين البضائع والسلع، فهي تحوي على



بوابة المنزل E13.10 المصنوعة من الحجر الرملي، والتي تم تسويتها بالأرض عند بناء المنزل اللاحق E13.3.

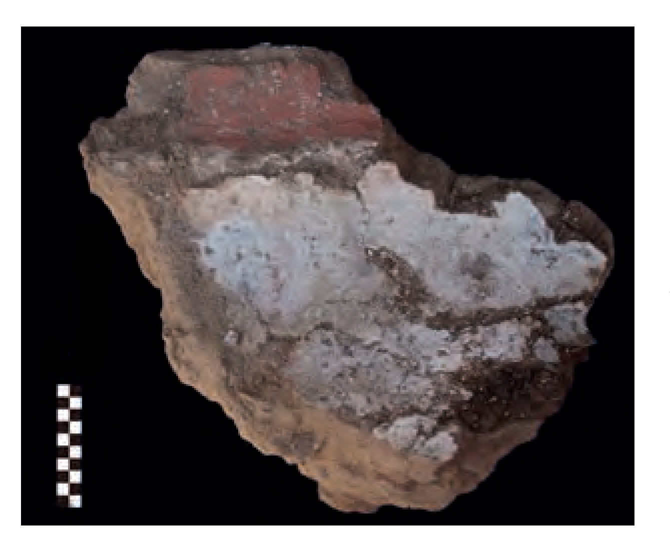
الأقـل ثلاثة مخازن طويلة ذات أسـقـف معقودة وأبـواب حجرية. الغريب فـي الامر، ان هـذه المباني الجديدة كانت مبنيـة على زاوية 45 درجة بشـكـل مختلف عـن التخطيط العام لمبانـي تلك المدينة المسـورة. ذلك القرار من الصعب أن يتم تفسـيره، فقد كان له أثر عظيم على المباني التـي أُقيمت لاحقًا في هذه المنطقة، وهو ما يزال واضحا حتى اليوم.

وفـي إحـدى المراحل، تم بنـاء أحد المبانـي على مسـاحة صغيرة بجانـب الحافة الشـمالية من مجمع المخـازن. وقد عثر على الباب الحجـري الخاص به مزجىً على الأرض. ويبدو أن هؤلاء الأشـخاص الذين قاموا ببناء هذا المنزل الجديد تركوه ولم يفضلوا اسـتعماله منذ أكثر من 3,200 سـنة مضـت. ولكـن خلال النصف الثاني من الأسـرة التاسـعة عشـرة – حوالي 1250 قبل الميلاد – تم تطوير هذه المنطقة لتصبح ضاحية سكنية بكل ما تعنيه الكلمة، وبشـكـل غيـر مماثل للنمـوذج المبكِّر الذي تم تخطيـط المدينة وفقا له، والـذي احتوى على نماذج متسـاوية ومتناسـقـة من المباني. أصبـح التغيير منذ ذلك الوقـت يلعب دورا هاما بشـكـل متصاعد. وبلا شك كانت تلك التغييرات من نتاج القرارات التي اتخذها الأفراد والعائلات قاطني المنطقة.

تم بنـاء أحد المنازل (E13.7) فوق اثنين من المخازن التي كانت تقـع بالقرب من مقر النائب. ويتميز ذلك المنـزل بوجود غرفتين كبيرتين تم طلاء الجدران الخاصة بهما بالطين(لياسـة). والجزء السـفلي منها تم طلاء الجـدران فيـه باللون الابيض مـع عمل إطارٍ باسـتخدام خط أسـود يتجه بدوره إلـى أعلى ليؤطِّر البـاب المقوس الرابـط ما بين الغرف. تم تزويد الجدار الـذي يقع في الغرب بمصطبة طويلة يبلغ طولهـا حوالي 3.6 مترًا. تُعتبر المصاطـب من مميزات المنازل الأصغر حجما، وعادة ما كان يتم اسـتخدامها في الحيـاة اليومية؛ إما للجلوس أو للنـوم عليها وربما أيضا لاسـتقبال الزوار في المناسـبات الرسـمية. إن العثور على العشـرات من قطع قوالب

غرفة في المنزل رقم E13.7 تحتوي على جدران مطلية باللون الأبيض. جدران المنزل E13.4.





نموذج لعنصر معماري ملون على شكل حلية ربع دائرية من المنزل رقم E13.7.

الطين يقود الى الافتراض بتواجد كوة ملونة في الجدار الذي يعلو المصطبة، والتي تم تدميرها لاحقا عندما تم هدم المنزل وتسويته بالأرض. تم تجديد تلك الكوة عدة مرات بزخارف ملونة، استُخدِم فيها اللون الأحمر والأزرق والأخضر والأصفر والأبيض. يستدعى التصميم الخاص بها مثيلاتها في العناصر المعمارية الخاصة بالمعبد المصري: ربما يعد ذلك إشارة بأن تلك الكوة قد تم استعمالها لتؤدي غرضًادينيًّا. فهل كانت تلك الكوة مكان لوضع لوحة صغيرة أو صورة مقدسة؟ ما تبقّى من المنزل يؤكد أن الغرف الخاصة به كانت تحاكي التصميم الخاص بالمخازن القديمة، ولكن تم تقطيعها حتى يتم تقليل المساحات الخاصة بالممرات. وبات من الواضح في بعض المساحات أن السقف المقوس الخاص بالمخزن القديم قد تم الاحتفاظ به.

وفي مرحلة بناء المنزل (E13.7) قام البناؤون بهدم جدران أحد المخازن الكبيرة (بعضٌ منها بلغ ارتفاعه أكثر من مترين و60 سنتيمتر سُمُكًا) وتم إعادة توظيف المساحات الموجودة، وهو ما يثير بدوره عدة تساؤلات. لماذا لم يعد هناك حاجة لاستعمال المخزن؟ هل تم خفض السلع والبضائع القادمة من مصر أو المدن المجاورة أو ربما تم منعها؟ هل كان للمُلّاك الجُدُد الأهلية الكاملة في عمل تلك التغييرات؟ مثل تلك التساؤلات ربما تظل بدون أجوبة. وعلى كل حال، يمكن اعتبار الناس الذين قاموا ببناء المنزل (E13.7) – وربما تكون العائلة التي سكنت فيه – بشكل أو آخر من الرواد. فبشكل غير مقصود، أطلقوا العنان لاستيطان تلك الضاحية بمنازل متوسطة الحجم لاحقا.



أسفل

التنقيب في الممرات الممتدة في جنوب المنطقة E13.



خريطة توضح الشكل الأخير لمنطقة E13.

الازقة، العمل والصناعة

فـي حوالـي 1200 قبل الميلاد تم تطوير شـبكة الممرات التي تحيـط بالمنازل الخاصـة بالمنطقـة (E13). وفي الواقع كانت تشـكِّل الحدود الغربية والجنوبية للمنطقة. ظلت هذه الشـبكة قيد الاسـتعمال خلال 150 عاما التالية. كانت تبلغ مسـاحة تلك الممرات في بعض الأماكن أقل من متـرٍ واحد. ولابد أنها كانت ظليلة ولكن في مثـل تلك المسـاحات الضيقة لم يكن من السـهل لشـخصين أن يمروا معا في الوقت نفسـه. وهو مـا يذكِّرُنا بكيفية تشـابك المجتمع بشـدة مع بعضـه البعض. ومن الجديـر بالذكر أنه لم تكن هنـاك أي ميادين مفتوحة على الهواء الطلق أو سـاحات أو حدائق تفصل ما بين المنازل. وامتلأت بالتدريج تلك الشـوارع الصغيرة برواسـب ناعمة من الطمي، معظمها تم نحتها من أسـوار المنازل المبنية بقوالب الطين. هذا بخلاف مخلفات السكان

E13.3 أحد المنازل المقسمة

نيل سبنسر

يعتبر المنزل (E13.3) كبير المساحة بشكل نسبي، إذ تبلغ مساحته حوالي 120 متر مربع، وقد تم بناؤه أمام النهاية الشمالية من تجمع المخازن، وتم السكن به لمدة قصيرة قبل أن يتم تقسيمه إلى نصفين. توضح لنا إحدى البرديات الإدارية المعاصرة لبناء هذا المنزل – والتي عثر عليها في طيبة – الأحجام المتغايرة للعائلات بسبب المواليد، والوفيات والزواج والطلاق، تلك المناسبات التي عادةً ما كانت تعيد تشكيل حجم الأفراد الذين يتشاركون المنزل. يمكن أن يقدم لنا علم الآثار أمثلة توضح رد فعل قاطني المنزل تجاه مثل تلك التغييرات، وكيف كان يتم ترتيب الأولويات الخاصة باحتياجاتهم.

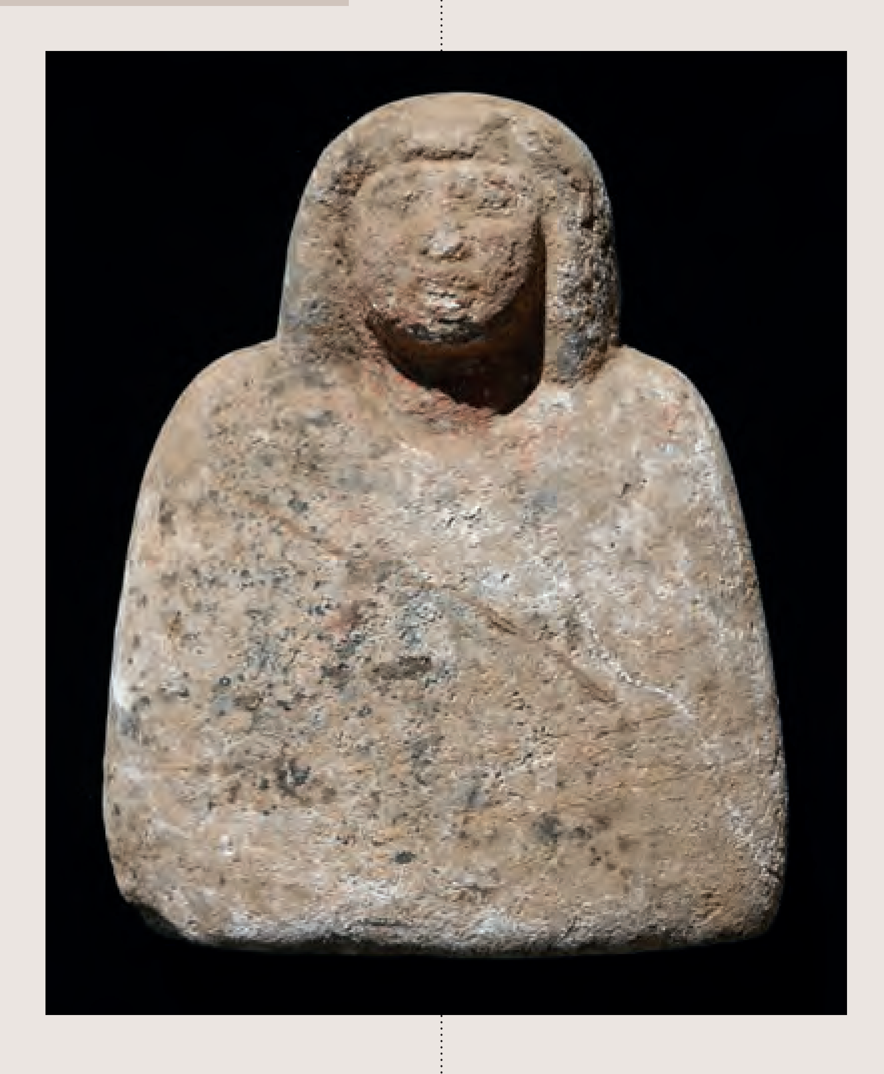
تم بناء جدار بالطول، رغم أنه لم يتم بناؤه بقدر كبير من الدقة الكافية، لكي يخلق بدوره منزلين منفصلين، أحدهما في الشمال (E13.3-N) والآخر في الجنوب (E13.3-S). أصبح لكل منهم تاريخ مختلف عن الآخر في الوقت الذي تم فصل كلا المنزلين، رغم كون التاريخ قسمة بينهم بشكل جزئي. تمت إضافة جدران عند مقدمة كل منزل لخلق أبواب أمامية ومساحة صغيرة يشترك فيها كلا المنزلين، وكان قاطنو المنزلين يمرون عليها عند الخروج، وكانت تقع ما بين الشارع والمنزل ومتضمنة أيضا فناءً به مواقد. هذا التقسيم قد تسبب في إزالة السقف أو منطقة الوصول للطابق العلوي من المنزل الشمالي،



وتم بناء درج جديد. لم يتم تجهيز كلا المنزلين بمصطبة منخفضة.

لاحقا أصبح المنزل الشمالي مطمورًا بشكل جزئي؛ حيث تراكمت القمامة خارج المنزل، وتم بناء درج هابط من الشارع إلى داخل المنزل بواسطة عناصر معمارية وأحجار طحن تم إعادة استخدامها. كانت الغرفة الأولى مكانا دائمَ الحركة، عادة ما يتخللها الضوء من الباب الأمامي وبئر أعلى السلم؛ حيث احتوت على مواضع للطحن وأرضية مشيدة من الطين المحروق تم تغيرها على الأقل خمس مرات. كما تم تغيير أحد مواضع الطحن من إحدى زوايا الغرفة إلى أخرى. وفي فترة متأخرة من عمر المنزل، تم إضافة أحد أفران الخبز إلى الغرفة الأولى. بشكل مفترض أصبح الاستخدام المشترك لمساحة الطهي غير مقبول أو على الأقل غير مناسب.

وعند التنقل عبر غرفة الموقد في كل منزل، من المفترض أن نجد المكان المخصص للأكل والنوم والأنشطة الأكثر خصوصية، فقد احتوى كل منزل على «غرفة خلفية». لم يتم تجهيزها بأرضية صلبة، هذه الغرفة تم ملؤها بعد ذلك بعدة مواد، منها: مصوغات، ومطارق حجرية، وأدوات صيد، وسكاكين مصنوعة من حجر الظران... فهل كانت هذه الأدوات مخزنة في هذا المكان عن قصد؟ أو ببساطة تم إلقاؤها؟ تم دفن وعاء كبير من الفخار في أرضية المنزل الشمالي، وهو يحمل نقشًا بالخط الهيراطيقي مكتوب عليه: «خبز اقوا». كونه مدفونًا على سطح الأرضية الطينية، ربما كان بغرض جعل الطعام رطبا أو ربما كان بغرض إخفاء الأشياء القيمة وجعلها بعيدة عن النظر.



كانت الغرف الخلفية أيضا أماكن لممارسة الشعائر الروحانية. فقد احتوى المنزل الشمالي على كوة (ربما كانت دولابًا أو مكانا صغيرا مقدسا)، ولكن تم تجهيز المنزل الآخر بحامل صغير، وتم وضع تمثال نصفي لرجل مصنوع من الحجر الرملي عليه، هذا الرجل كان يرتدي شعرًا أسود مستعارًا، وكان ذا وجه مطلي باللون الأحمر. تلك التماثيل الخاصة بالأسلاف كان متعارفًا عليها في القرية المصرية المعاصرة لفترة احتلال المنزلين والمعروفة باسم دير المدينة، وكان يعتقد فيها أنها تسمح للأفراد أن يسألوا أقاربهم من الموتى أن يتفاعلوا في مجريات حياتهم، وبلا شك فإن مثل ذلك التمثال الذي لا يحمل اسما ربما لعب الدور نفسه في عدة أجيال أخرى إذا ما تطلب الأمر.

ويبدو أن هذا التمثال النصفي أصبح بمرور الوقت زائدا عن الحاجة، حيث تم غلق تلك الغرفة الخلفية تماما، واستمرت الحياة كما هي في الغرفتين الأماميتين من المنزل. فهل امتلأت الغرفة الخلفية بنفايات غير مرغوب بها؟ هل إنهار سقفها؟ هل انتقلت عائلة جديدة إلى المنزل ولم يكن لديها رغبة في الاحتفاظ بهذا التمثال النصفي؟



موقد وحامل فخار يقع في الغرفة الأمامية من المنزل رقم E13.5.

الصورة اعلى الشمال
كتف باب عليه نقش تم إعادة استعماله بشكل مقلوب في أحد ابواب المنزل رقم E13.5.

الصورة السفلى
أفران الخبز في المنزل رقم E13.4.

الملقاة خارج المنازل، سواء من الفضلات السائلة أو مخلفات الطلاء، و بالتأكيد ارتفع مستوى أرضية الشوارع تدريجيا.

وفي غضون ذلك، تم انتشار عملية بناء المنازل بسرعات متفاوتة في تلك المنطقة السكنية. لم يتحوَّل النصف الشرقي من الضاحية بَعْدُ إلى منطقة سكنية حتى وقت لاحق بالمقارنة بباقي المنطقة. ويبدو أن هناك مساحات قد تم إعادة استخدامها كوِرَشِ عمل لصنع الألوان، أو على الأقل كمكان لإلقاء المخلفات التي تنجم عن العمل بالألوان. فقد تم العثور في الحفريات على مجموعة من قطع الفخار التي تم استخدامها كلوحات لخلط الالوان، وكتل من اللونين الأحمر والأصفر، كما عثر على حجارة الرحي التي مازالت مخضبة بالألوان. وعند الاتجاه نحو الشمال نجد ساحة مفتوحة تحتوي على عدة أفران كبيرة الحجم. يشير اكتشاف فضلات الأفران المعدنية وبوتقة الفخار التي كانت مُغطَّاة برواسب من النحاس إلى أن صناعة المعادن قد تم ممارستها في هذا المكان. كشفت الحفائر بالقرب من منزل (E13.7) عن اثنين من الحوائط المميزة، ربما قد تم بناؤها لكي تصبح جزءًا من فناء أو مساحة خارجية لأحد المنازل بعينها.

نموذج لمنزل تقليدي

تم تحويل المنطقة كلها خلال الفترة التي كان فيها رمسيس الثالث على عرش مصر (1183–1152 قبل الميلاد) – والتي شهدت مواجهات مع أيرم – إلى منطقة تَعُجُّ بالمنازل صغيرة الحجم. فهؤلاء الذين قاموا بالبناء على طول الجانب الشرقي من الضاحية كانوا أقل التزاما بالقيود التي تم فرضها على المباني المنشأة في فترات أخرى مبكرة؛ فقد تم تسوية طبقات سميكة من الطمي الناعم، الذي تم استعماله كطبقة وسيطة مع مخلفات الرماد والفخار المهشم – تلك المخلفات التي نتجت عن الأنشطة الصناعية – لكي يتم تسوية مسطح مستوٍ للمباني الجديدة بشكل أو بآخر أكثر سهولة من الجدران السميكة الخاصة بالمخازن.

تبلغ أبعاد المنزل (E13.5) حوالي (12.1 × 6.7) متر في مساحة (81 متر مربع) متضمنة بذلك البهو الإضافي الخاص بالفرن والممتد بجانب الحائط الشرقي، والذي يمكن اعتباره إحدى ميزات المنازل ذات الحجم



المتوسـط. والدخول كان عبر بوابـة من الحجر الرملي تقع على الممر – الذي يصل ما بين الشـرق والغرب – وهو ما أعطى الفرصة في الداخل لخلق مسـاحة أكبر وربما كانت غير مسـقوفة، يرتكـز تصميمها على وجود موقد مسـتدير في المنتصف. كان يتم اسـتعمال مثل تلـك المواقد في أغراض الطبخ. كما كانـت تقوم أيضا بتوفير الدفء للمكان في ليالي الصحراء الباردة، حتى في النهار خلال فصل الشتاء الذي يمكن أن يكون عاصفا وشديد البرودة. وقد تم عمل بوابة صغيرة على الجانب الأيمن لتوصل إلى ساحة مجهزة بثلاثة أفران أسطوانية لصناعة الخبـز تقابل الحائط الخلفي للسـاحة، وأيضا موضع لحجر الطحن وحفر صغيرة ربما كانت تسـتعمل في صنع الفحـم. تلك الميـزة التي تواجـدت تقريبا في كل منزل، حيث تم اسـتعمال تلـك الأجنحة في تحضيـر الطعام، ولابد أنه كان يتم اسـتخدامها أيضا في طحن الحبوب وعملية خَبْز الخُبْز. غير أن أفران الفخار قد تم استعمالها فـي أغراض أخرى، مثل صناعـة أدوات صغيرة من الطين المحـروق. لم يكن لدى مثل هذه الأفـران عمر طويل من الاسـتعمال، حيث إنها هشَّـة ليست شـديدة الصلابة، وسـرعان ما تمتلئ بالرماد والمخلفات الأخرى. فقد عثرنا كثيرا على عدد من الأفران التي تم هدمها وبناء أخرى جديدة فوق ركامها، مثل تلك التدابير قد تشير إلى الاكتفاء الذاتي لما يتعلق بطحن الحبوب وصنع الخبز. ولكن يبدو في أحد الأمثلة الأخرى أن منزلين صغيرين قد تشـاركا ساحة واحدة (المنزل رقم E13.3 والمنزل رقم E13.3-S، للمزيد انظر صـ 30–31). ففي العصور الحديثة في عدة أجزاء من تركيا، كان كل منزل يحوي فرنًا أسطوانيًّا متشابهًا لصناعة الخبز (تنور) فكان الجيران يقومون بخَبْز ما يحتاجونه من خُبْز مستخدمين الفرن الخاص بكل منزل بترتيب محدد مسبقا، وذلك لإطالة عمر الأفران وإعطاء فرصة جيدة للتفاعل الاجتماعي مع جيرانهم.

يصل الفناء الأول الخاص بالمنزل رقم (E13.5) إلى مساحة صغيرة، والتي تكاد تبلغ مساحتها أكبر بقليل مـن 3 × 2.5 متر. ومن الصعب أن نتخيل نوع الأنشـطة أو الغرض الذي من أجله تم عمـل مثل تلك الغرفة بما أنها تحتـوي على بابين إضافيين. فربما قد تم اسـتعمالها بشـكل كبير كمسـاحة انتقالية داخل المنـزل؛ فإذا ما أردت أن تصـل إلى السـلالم المؤدية إلى السـطح أو الطابق العلوي فعليك الاتجاه نحو الشـمال، أو تسـتكمل طريقك



بوابة تم إعادة تجميعها من المنزل رقم E13.6 منقوش عليها اسم المعبود «آمون رع» و «حورس» والملك «تحوتمس الثالث».

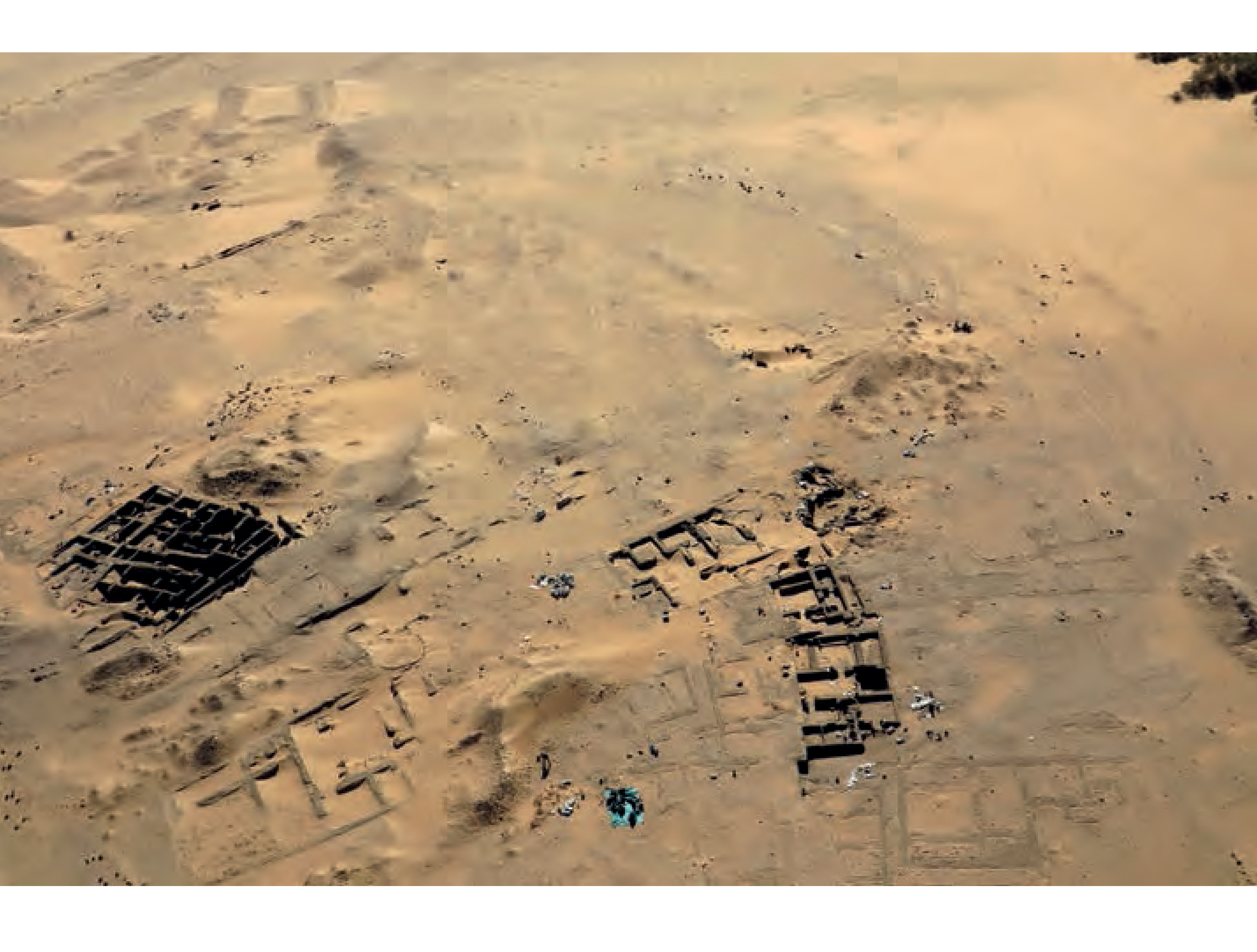
بشكل مستقيم لتدخل إلى حجرة المنزل الرئيسية، وبالرغم من كونها صغيرة الحجم نسبيا إلا أن تصميم الحجرة كان يرتكز حول مصطبة منخفضة الارتفاع تقابل الجدار الخلفي. هذه الغرفة والاثنتين اللاتي قبلها قد تم طلاؤهم باللون الأبيض، او على الأقل فقد تم الحرص على طلاء الأجزاء السفلية من الجدران؛ فهي مساحات مهيئة لاستقبال الزوار. وقد تم تغطية الأرضيات بطبقة مصنوعة من الطين الصلب المتكئ على أرصفة من الطوب، والتي كانت بالتأكيد صعبة التآكل وسهلة التنظيف بالكنس. وكما كان معتادا في المنازل المصرية، فالأبواب كانت مشيدة على زاوية حتى لا تسمح باختراق خصوصية المنزل من الشارع. ويبدو أن كل منازل عمارة غرب لم يتم فيها بناء حمام أو مرحاض، وهو ما يتشابه مع بعض القرى القديمة في النوبة؛ حيث كان يتم استخدام الحقول المحيطة والأراضي المكشوفة لقضاء الحاجة.

وفي أماكن أخرى من الضاحية، استمرت المباني التي تم إنشاؤها حديثا في الاندماج وإعادة التوظيف مع العناصر المعمارية المبكرة عنها. البيت رقم (E13.7) كان له أثر كبير في تشكيل التصميم الخاص بالبيت الذي تم بناؤه فوقه (E13.4) غير أن مساحة إضافية قد تم احتلالها بواسطة إزاحة الجدار الجنوبي نحو الممر.

الكشف عن العناصر المعمارية

كل باب في المنزل رقم (E13.5) قد تم صنعه من الحجر. معظم هذه الأبواب كانت في الأصل أجزاء من منازل قديمة. إحدى العتبات كانت في الأصل عتبة علوية لباب مصور عليها المعبود أوزريس والمعبود أنوبيس، بينما الأخرى كانت في الأصل كتفة باب منقوش عليها "ناظر المخازن المزدوجة حور حوتب". لم يهتم القاطنون الجدد بتلك النقوش والرسوم أو حتى ضايقتهم؛ فالجوانب(الكتوف) التي أُعيد استعمالها في الباب الخاص بغرفة السلالم تم وضعها بشكل مقلوب، وتم تغطية النقوش بطبقة من الجير الأبيض.

يبدو أنه كان هناك اهتمام أكثر ببعض العناصر المعمارية المزخرفة القديمة في الباب المجاور الخاص بالمنزل رقم (E13.6). فلكي يتم توضيح العلامات الانتقالية تجاه منطقة الاستقبال الرئيسية، تم وضع إحدى العتبات العلوية المصنوعة من الحجر الرملي والمزخرفة بشكل جميل فوق كتف باب تم قطعها بشكل غير متقن. ويمكن الافتراض – بالنظر إلى الجودة الخاصة بذلك الحجر الرملي المُستخدَم في صناعة تلك العتبة العلوية – أنه ربما قد تم إحضارها من جزيرة صاي التي تقع بالقرب منهم، حيث تشتهر جزيرة صاي بجودة الحجر



صورة تم التقاطها بواسطة طائرة ورقية تكشف الضاحية الغربية في الجزء اليمين من الصورة.

الرملي المتواجد بها بالمقارنة بعمارة غرب. فهل تم خلعها من أحد الأبواب من هذا الموقع؟ أو هل تم اقتلاعها خصيصًا لكي يتم استعمالها في أحد منازل عمارة غرب الافتراض الأول يبدو أكثر منطقية؛ حيث تشير النقوش نفسها على العتب إلى الكا (و الكا في اللغة المصرية هي قرينة الروح) الخاصة بالملك تحوتمس الثالث، ذلك الملك الذي حكم تقريبا قبل أن يتم بناء المنزل رقم (E13.6) بثلاثة قرون، وهو الذي قام بتجديد التوسع المصري وتكوين إمبراطورية في كل من الشرق الأدنى والنوبة. تلك العناية التي تم تكريسها في تركيب هذه العتبة العلوية للباب تجعلنا نفترض أن قاطني المنزل كانوا على علم تام بذلك الملك العظيم ذو الفتوحات الأسطورية، وقد رأوا أن وجود ما يمثله في منزلهم مفيد لهم على نحو ما.

وفي النهاية، فقد احتوت الضاحية على ثمانية منازل متجاورة، كل منها كان لديه باب يطل على أحد تلك الممرات الضيقة. ووفقا لإحدى البرديات المصرية التي ترجع إلى عصر الدولة الحديثة فإن المنازل عادة ما كان يقطنها ما بين ثلاثة إلى تسعة أفراد. وهذا بدوره قد يجعلنا نفترض تواجد تجمع بشري مكون من 25 فردًا إلى 75. يتشاركون مع بعضهم البعض إنتاج الطعام وعدة مظاهر أخرى من الحياة في ذلك المجتمع الصغير، وعادة ما يقابلون بعضهم البعض باستمرار إذا ما خرجوا إلى تلك الممرات الضيقة. ويبدو أن التاريخ القديم للمنطقة لم يستطع الزمان أن يمحوه أو يخفيه؛ فما زال أحد المخازن يقع في وسط المنازل، وربما تم استعماله كمكان لتجميع القمامة.

E12.10 أحد منازل الضاحية

نيل سبنسر

هـذا المنـزل الـذي تبلـغ مسـاحته أربعـة أضعـاف معظم المنـازل الموجـودة فـي مدينـة عمـارة غـرب، بلا شـك وفَّر لقاطنيـه مسـاحات هائلـة للخصوصيـة والعمـل (وبشـكل ملاحَـظ فـي عمليـة إنتـاج الطعـام) والتخزيـن والترحيـب بالـزوار، وذلك بمـا يحويه من مسـاحات متنوعة مـن مباني مسـقوفة أو مفتوحـة على الهـواء. يسـتدعي هـذا المنـزل فـي أذهاننـا منـازل عليـة القـوم فـي تـل العمارنـة، تلـك المدينـة التـي قدمت حفرياتهـا معلومات هائلـة عن منازل مصـر القديمـة حينهـا. ولكـن عـادة مـا كان يتـم تخطيـط منـازل مدينـة تـل العمارنة داخـل تجمعات مسـورة مجهزة بالعديـد مـن العناصـر المعماريـة الأخـرى، مثـل أماكـن للمعبـودات المقدسـة، وصوامـع التخزين. ويبـدو أن ذلك المنـزل المرقـم (E12.10) قـد قـام بالمثـل بتجميـع كل شـيء داخـل جـدران المنـزل. فهـل لعـب المنـاخ القاسـي – والريـاح بشـكل خـاص – دورا فـي اتخـاذ مثـل ذلـك التصميـم الـذي يغلب عليه طابـع العمـارة الدفاعية؟ هل كان لغـرض الأمـان أو الخصوصيـة حتـى يتـم التأكـد مـن أن كل أجـزاء المنـزل يمكـن الوصـول إليهـا فقـط عن طريق البـاب الأمامـي؟ أم أنـه ببسـاطة كان أحـد التصميمـات الداخليـة التـي كانـت مألوفـة لقاطنـي مدينـة عمـارة غـرب، بعـد أن اعتـادوا علـى المعيشـة في تلـك المدينـة المقيدة بسـور حولهـا؟

لقد تـم وضـع بوابة حجريـة في المدخـل الرئيسـي، ولكن يتقدمهـا أيضـا رواق مبنـي مـن الطـوب، مبـرزا جنـوب المنطقـة المركزيـة الخاصة بالمنـزل. مثل تلـك الإعدادات كانـت تقـوم بمنـع خطـر تراكـم النفايـات الخانقـة للمدخـل، فلاحقـا تـم بنـاء جـدار عـازل ودرج هابـط يقـود المـرء إلـى مسـتوى أرضيـة المنـزل التـي تنخفـض عـن المسـتوى المرتفـع للشـارع. وقـد تـم تمهيـد أرضيـة رواق المدخـل وردهتـه بعـد البوابـة بألـواح صغيـرة مـن حجـر الشسـت، كما فـي المنـزل المرقـم (D12.5)، والتي بدورهـا كانـت تحمـي أكثـر الأجزاء نشـاطا في المنـزل من التـآكل والتلـف. ويقـع خلـف البـاب الأمامـي فنـاء كبيـر تبلـغ مسـاحته (9.4 × 8.8 متر) ولابـد من أنـه كان مفتوحًا علـى الهـواء، وكان بـلا شـك يوفِّـر مسـاحة كبيـرة للعمـل، ولكـن أيضـا كان يسـتخدم كمـكان لمـن ينشـد الظـلال عندما تتحرك الشـمس فـي السـماء وتقـوم جدرانـه بتوفير الظـل. وبمـا أن المنزل قـد تم احتلالـه لحوالي 100 عام فقـد أصابـه التغييـر بمـرور الوقـت، حيث تـم بنـاء غرفة





جديدة لاحقا داخل الفناء، وبالطبع فإن الغرض منها غير معلوم لنا.

وتقع على امتداد الجدار الغربي للمنزل مجموعة مكونة من أربع صناديق للتخزين، تم بناؤها من الطوب ووُضِعت على حوامل من حجر الشست بشكل افتراضي لكي يتم منع الحشرات والقوارض من الوصول إلى السلع التي يتم تخزينها بداخلها، والتي كانت في الأغلب عبارة عن محاصيل حبوب. وبجانب هذه الصناديق، يوجد باب يقودنا إلى مجموعة من الغرف التي تم تجهيزها بأربع مواضع للطحن وسبعة أفران أسطوانية. حتى وإن كانت تلك التجهيزات لم يتم استعمالها في نفس الوقت، إلا أنه من الواضح أن قاطني المنزل أرادوا مساحات أكبر للتخزين، وإعداد الطعام وطهيه.

وتقع خلف الفناء المفتوح على الهواء غرفةٌ انتقالية تقودنا نحو غرفة كبيرة بها موقد في المنتصف، كما يوجد درج يصعد بالمرء نحو السقف أو الطابق العلوي. ثم يدخل المرء بعد ذلك إلى الجزء الأكثر انعزالا من المنزل، وهو عبارة عن مجموعة مكونة من ثلاثة غرف. تم تمهيد الفناء الخاص بالغرفة الرئيسية بالطوب وجدرانه مطلية باللون الأبيض ومجهز بمصطبة تقابل الجدار الخلفي. إحدى الغرف التي تقع على اليسار كانت مجهزة بمنصة مرتفعة يتم استعمالها كسرير.

الرغبة في حياة جديدة: الهواء، والمكان، والمنازل المثالية

من المعلوم أن قاطني المدن القديمة كانوا ينتجون كميات صغيرة من المخلفات بالمقارنة بنظرائهم المعاصرين، ورغم هذا فقد تراكمت النفايات على مر الزمان. كل تلك الأشياء – رماد الأفران، فضلات صنع الطعام، عظام الحيوانات المذبوحة، رقائق من الأعمال الحجرية، أوعية مكسورة، وبشكل خاص خليط ناعم جميل من الطين المحروق والتراب كان يتم كنسه خارج المنزل المشيد من قوالب الطين – وهو أمر كان مألوف لسكان مدينة عمارة غرب. فقد تم العثور بداخل جدران المدينة، على تراكمات قليلة للنفايات (وفي الأغلب فضلات الطبخ) ولكن تم العثور على طبقات سميكة من النفايات خارج الجدار الغربي للمدينة.

وبعد مرور 100 عام من التاريخ الأول من إشغال مدينة عمارة غرب، فإن الحاجة إلى احتلال مناطق جديدة خارج المدينة المسورة – والتي كانت تَعُجُّ بركام من المخلفات – شجَّعتْ على خلْق مساحات أخرى لبناء منازل جديدة خارج المنطقة المحاطة بجدران، وهو ما يعرف لدينا الآن باسم الضاحية الغربية. فربما قام الضغط على المساحات بتشجيع الانتقال خارج أسوار المدينة، التي زُوِّدَت من قبل ببوابات ضيقة وأبراج ركنية، تلك الأسوار التي لم تعد بأية حال تؤدي ذلك الغرض الدفاعي الذي تم إنشاؤها من أجله في المقام الأول.

وقد تم الكشف عنها لأول مرة في عام 2008 باستخدام المسح الجيوفيزيائي (انظر للمزيد، صـ 12–13) هذه الضاحية الغربية احتوت على أربعة منازل كبيرة، وعلى الأقل أربعة عشر منزلا صغيرا في المناطق



أريكة على شكل مصطبة في المنزل رقم D12.6 في الضاحية الغربية.

الواقعة فيما بينهما. يمكن أن تقدم لنا الدراسات المستقبلية لهذه المدينة رؤى واضحة حول كيف أراد سكان هذه الضاحية أن تبدو منازلهم، وبخاصة أنهم لم يتأثروا بتاتا بوجود أي عمائر سابقة في المنطقة كما كان الحال في المنازل التي تقع داخل المدينة.

يقع أكبر منزلين بالقرب من البوابة الغربية للمدينة، وهو موقع متميز من حيث السهولة في الوصول إلى مقر إقامة النائب. يبدو المنزل الجنوبي (D12.5) وكأنه قد تم تشييده على منصة مرتفعة من الطين، مفترضا كوْن وضوح الرؤية لتلك المنازل كان يعد أمرا مهما لقاطني المنزل؛ فقد أرادوا منازل ضخمة في مواقع وجيهة. هذه المنازل القديمة بما كانت تبلغه من مساحات هائلة – حوالي 400 متر مربع – جعلت تلك المنازل التي تقع داخل المدينة المسورة تبدو صغيرة جدا. وقد كانت مُقامة على نفس المساحة الخاصة بعلية القوم بقرية تل العمارنة في مصر.

ومثل تلك المنازل الموجودة في قرية تل العمارنة احتوت أيضا على مساحات معقولة للتخزين وصنع

الطعـام. كما تجدر الإشـارة إلـى أن المواد التي تم اسـتخدامها في بناء تلك المنازل تتشابه – إلى حد كبير – مع المواد التي استخدمت في بنـاء المنازل الصغيـرة: كالطمي المعد للبنـاء، والمياه، والحجر الرملـي، والشسـت. ربمـا كان اسـتغلال الوقـت والعمالـة أهـم الاختلافات الرئيسـية. تبدو كميـة المـواد التي تم العثـور عليها في تلك المنازل متشابهة – إلى حد كبير – أيضا مع ما يقابلها من لقى عثر عليها في المنازل الأصغر.

وبسـبب تلـك المسـاحة الكبيـرة المتوافـرة لابـد مـن أن الضاحيـة الجديدة قد وفَّرت كميات أكبر من الضوء و الهواء النظيف داخل المنازل. فقد تواجدت مسـاحات واسـعة مفتوحة على الهواء الطلق بعكس الممرات الضيقة التي تواجدت في المدينة المسورة، وربمـا تواجـدت أيضا مسـاحات تحفهـا حفر الأشـجار وتقـع ما بين المنازل في الضاحية الجديدة. وقد عثر على تعريشـتين تم وضعهما فـي أوعيـة من الطين المحروق المسـتطيل فـي مناطق مخصصة للحدائـق، ربما لزراعة الأعشـاب والخضر. وعلى حافـة الضاحية، في الاتجـاه المنحـدر نحـو النهر، تـم العثور على جـدران نحيفـة تتعرج كالثعبان على المسـطح، ربما كان الغرض منها هو تحديد المناطق الخارجية المشـتركة مـع المنازل (حدائـق؟ أفنية؟). يقـدم لنا الفن المصري المؤرَّخ بالدولة الحديثة – وبشكل خاص المتواجد في غرف المقابر – نماذجَ مثالية من المنازل الريفية: منازل الضيعة التي عادة ما كانت تحتوي على حدائق ومسابح تحتشد فيها الطيور الجميلة وتزهو بما تقدمه من مساحات خضراء لقاطني المنزل.

وسـواء أكانت تلك المنازل النموذجية محـطَّ رغبةٍ أم لا، فإن الواقـع فـي مدينة عمارةغـرب – وفـي أماكـن اخـرى – كان مختلفا. فالأفـران ومواضع الطحن الموجودة داخل هـذه المنازل كانت تُخلِّف كميـات كبيرة مـن الدخـان والرماد والهشـيم، وكانت الريـاح القوية تقـوم بحمل هذه المخلفـات وإلقائها داخـل حرم المنـازل والمناطق التي حولهـا. وكما حدث فـي المدينة، فإن المناطق المفتوحـة على الهواء الطلق أصبحـت بالتدريج مملوءة بفضلات الطمي والطيـن؛ ولذلك تم حماية معظم الأبواب الأمامية بأروقة وتم بناء جدران عازلة (يليها درج هابط نحو أرضية المنزل) حتى تمنع دخول الأتربة والنفايـات المتزايـدة بالمنطقة. وبمرور الوقـت أصبحت الضاحيـة الغربية – وبشـكل متزايـد – منطقةً كثيفة المبانـي؛ فقد تم إنشـاء منازل فـي المناطق المفتوحة على الهـواء الطلق، وتم البناء علـى أماكن المخصصة للحدائـق... برهنـت الحيـاة داخل الضاحيـة الغربية علـى أنها كانت متغيرة بشـكل فعـال، مثلها فـي ذلك مثل ضاحية (E13). فمرة أخرى قام الأفراد والعائلات بإعادة تشـكيل المجاورة السـكنية لكـي تتلاءم مع احتياجاتهم المتزايدة بمرور الوقت.



درج السلالم في المنزل رقم E12.10.

وفـي حيـن تميزت المنـازل الكبيرة بالجمـع ما بين أفـران الخبز ومواضـع الطحن وأماكـن إنتـاج الطعام، تميزت المنازل الأصغر حجما بوجود بعض الاختيارات الغريبة بعض الشـئ؛ ففـي منزلين مجاورين تم بناؤهما في المنطقـة الخارجية للمنـزل (D12.5)، تم تجهيز أحدهما بصندوقين كبيريـن للتخزين وعلـى الأقل أربعة مواضع للطحـن، بينما كان المنزل المجـاور يحتوي على غرفة مخصصة للأفران، ولكن بـدون مواضع للطحن حتى وقت متأخـر عندما تم إضافة أحد المواضع لإحدى غرف المنزل. فهل كانوا يتشـاركون تلك التجهيزات متخذين القرار بأن كلا من عائلتيهما لابد أن يتصلوا ببعضهما البعض على مثل هذا النحو؟

قامت الجمعية المصرية للاستكشـاف في عامـي (1948–1949) و (1949–1950) بالكشـف عن ثلاثة

أحد المنازل النوبية في المدينة الفرعونيه

نيل سبنسر

يقـع فـي مقابـل واجهـة المنـزل (E12.10) فـي الضاحيـة الغربيـة (انظـر للمزيـد صــ 36–37) مبنـى ذو شـكل بيضـاوي تـم بنـاؤه مـن قوالـب الطيـن (E12.11) وهـو لا يتـلاءم مـع التقاليـد المعماريـة المصريـة. فبوابـة الدخول الخاصـة بـه تقـع فـي الجنـوب، والمسـاحة الداخليـة قـد تـم تقسـيمها بواسـطة جـدار منحنـي، يخلـق غرفـة أماميـة صغيـرة ومسـاحة رئيسـية كبيـرة.

فمـا الغـرض مـن هـذا المنـزل؟ باختصـار، لدينـا معلومـات قليلـة. فهـذا المنـزل لـم يكـن ببسـاطة غرفـة تخزيـن أو مكان لتجميـع الحيوانـات، وهـو مـا يتضـح جليـا مـن اتخـاذ الجدار الخلفـي للغرفـة الرئيسـية شـكل حـرف (L)، والتـي تـم عمـل موضـع للموقـد فـي تلـك الغرفـة، سـواء للطهـي أو لأنشـطة أخـرى. فقـد قامـت النيـران بتحويـل جـزء مـن الجـدار إلـى لـون أسـود مخلـوط بالاحمـر. ويبـدو أن عمليـة تركيـب المواقـد قـد تطلبـت دعامـات (حجريـة؟)، والتـي قامـت بدورهـا بحمايـة اثنيـن مـن الخطـوط الرأسـية التـي كانـت موجـودة علـى الجـدار مـن الاحتـراق. لـم يتـم العثـور علـى فراغـات أو قواعـد أي أعمـدة علـى تلـك الأرضيـة المصنوعـة مـن طبقـة سـميكة مـن الطيـن ويشـير حجـم الغرفـة الثانيـة إلـى عـدم الاسـتطاعة أن يتـم تسـقيفها بالكامـل. هـذا بالإضافـة إلـى أن حجـم الركـام والحطـام الـذي وجدنـاه يفتـرض أن الجـدران قـد تـم بناؤهـا بارتفـاع هائـل.

المـواد والفخـار التـي تـم العثـور عليهـا داخـل هـذا المنـزل ليسـت بمختلفـة عـن تلـك التـي وجـدت فـي منـازل المدينـة الأخـرى. فلـم يتبـقّ لنـا شـيء مميـز يمكـن أن يخبرنـا بالوظيفـة الحقيقـة لهـذا المنـزل، لا نفايـات، أو مخلفـات فخاريـة وطـلاء. وكالمعتـاد فـإن عـدم العثـور علـى تلـك المـواد العضويـة التـي لا يكتـب لهـا البقـاء مثـل الحصيـر والأقمشـة والجلـود والأخشـاب قـد سـاهمت فـي إخفـاء أيـة إشـارة عـن كيـف كان يتـم اسـتغلال هـذا المنـزل، وكيـف كانـت تبـدو المعيشـة فيـه. لقـد تـم تجديـد الأرضيـة المصنوعـة مـن الطيـن عـدة مـرات. هـذا المنـزل لـم يتم بنـاؤه لاسـتخدامه فـي المناسـبات، مثـل الأعيـاد أو الاحتفـالات.

ومـا يبـدو واضحـا أن هـذا المنـزل كان يتبـع العمـارة التقليديـة الخاصـة بالنوبـة. فتعتبـر المبانـي الدائريـة أو البيضاويـة بشـكل كبيـر غائبـة فـي عمـارة المـدن المصريـة، باسـتثناء تواجـد بعـض الأكـواخ التـي تـم بناؤهـا مـن الحجـر الجـاف فـي البيئـات الصحراويـة المصريـة، والتـي ربمـا كان يتـم اسـتخدامها للسـكن بهـا علـى فتـرات موسـمية، سـواء أكان تصميـم المنـزل دائريًـا أو بيضاويًـا، فمـازال هـذا التصميـم يعتبـر إحـدى الميـزات الهامـة لعمـارة المنـازل الداخليـة فـي مدينـة كرمـة منـذ فتـرة مـا قبـل التاريـخ ومـا بعدهـا. وفـي أوقـات لاحقـة تـم بناؤهـا مـن قوالـب الطيـن وبطريقـة مماثلـة لطـرق البنـاء المتبعـة فـي مدينـة عمـارة غـرب. وبشـكل عـام ومتنـوع، فقـد كان يتـم تخطيـط بعـض المبانـي الضخمـة فـي كرمـة – وربمـا المعابـد والقصـور وقاعـات الاسـتماع – فـي شـكل دائـري.

سـواء أكان هذا المبنـى (E12.11) منـزلًا أو مكانًـا للحراسـة أو موضعًـا لتخزيـن الطعـام وطهيـه أو حتـى لغـرض دينـي = فإنـه يعتبـر بـلا شـك مثـالًا مدهشًـا يوضّـح كيـف أن الأفـراد أو المجموعـات مـن قاطنـي المدينـة كان باسـتطاعتهم إسـتخدام تصميمـات نوبيـة داخـل مدينـة يُفتـرَض أنهـا مصريـة – حتـى لـو كانـت مـن مظهرهـا الخارجـي – ليبـدو ذلـك وكأنـه إعـادة تشـكيل للشـخصية المصريـة داخـل النوبـة.



الأسقف العتيقة

ماري فاندنبوش

عادة ما تكون الأسقف هي الجزءَ الأول الذي ينهار في المنازل المهجورة، بل ويتم حتى تدميرها عندما يتم تفكيك المنزل بتأنٍّ، وهو الشائع في مدينة عمارة غرب. ومن حسن حظنا فقد عثرنا على أجزاء من تلك الأسقف في الرواسب الآثارية، لتعطي لنا لمحات عن كيف كان يتم استغلال المساحات وطبيعة الطوابق العليا.



اظهرت الحفائر في مدينة عمارة غرب الآلاف من قطع الطين، والتي كانت تشكل بدورها أجزاءً من الأسقف المنهارة، وقد حملت إلينا تلك الأجزاء معلومات قيمة عن المواد التي كان يتم استخدامها في بناء الأسقف. وتسمح لنا الدراسة المدققة لتلك الأجزاء بتفهم كيف كان يتم تغطية الغرف وحمايتها. فقد تم وضع العوارض الخشبية والعشب الحر وعشب أخر تم تجميعه على هيئة رزم، وحصير منسوج من أعواد النباتات، وأعواد (خشبية) على بعضهم البعض باستخدام خلطات مختلفة، وذلك حتى يتم خلق التدعيم اللازم لطبقة سميكة من الطين. تشير الدراسة الدقيقة لمثل تلك الأجزاء إلى أن العوارض كان يتم تغطيتها بعيدان من الخشب والعشب الحر، ولكن أيضا كان في إمكان الحصير ورزم العشب أن تستخدم كبديل لتلك العيدان الخشبية. عادة ما كانت الأسقف الكبيرة في حاجة إلى مواد أقوى صلابة، مثل العوارض الخشبية الكبيرة، وذلك من أجل تدعيم ذلك الامتداد الهائل لسقف الغرفة. من الواضح أن القائمين على البناء لم يتبعوا طريقة ثابتة، بل فضلوا عدة مكونات لصناعة الأسقف، ليس فقط داخل المنزل نفسه، بل بداخل الغرفة الواحدة!

فربما تعطينا الاختلافات المتعلقة بدرجة سُمْك الأسقف، والدور الجوهري الذي لعبته العيدان والعوارض الخشبية لمحات عن الغرض الذي تم صناعة السقف خصيصًا من أجله. فبعض منهم كان لحجب الضوء ولتوفير الظل والحماية من الرياح. وآخرون كانوا أكثر متانة، فوجود الدرج يشير إلى أن قاطني تلك المنازل كان متاحًا لهم الوصول إلى أسقف المنازل، والتي ربما شكلت مكانا جيدا للنوم في الليالي الحارة، أو لممارسة الصناعات التي تتطلب قدرًا من الضوء أو الهواء الطلق. وربما تم بناء طوابق علوية لكي توفر مساحات أكبر تتمتع بالخصوصية.



مبانٍ تقع خارج الجدار الشرقي من المدينة، كانت تتضمن على الأقل منزلا واحدًا ومبنًى غير مألوف؛ حيث تم العثور فيه على قدور تحوي دفنات لثعابين. ومازالت المنطقة تغطيها طبقات سميكة من الرمال وأخرى من مخلفات المنطقة الواقعة في الجنوب الشرقي وجنوب المدينة المسورة. فهل ما زالت توجد مجاورة سكنية أخرى مختبئة تحت الرمال؟

قراءة الماضي: إحباطات وقيود

تسمح لنا الحالة المُدهشة التي تواجدت بها العناصر المعمارية في مدينة عمارة غرب بكتابة سيرة ذاتية للأماكن، سواء للغرف أو المنازل أو الضواحي. ولكن هناك فصول مفقودة في تلك السير الذاتية، والقلم لن يستطيع بأية حال أن يقوم بإعادة كتابتها بالاعتماد على ما تبقى لنا من صفحات. فمعرفتنا بهذه المنازل مقصورة على الطوابق الأرضية. نحن نعلم أن قاطني المنازل قد قاموا ببناء أدوار علوية، ولكن ما نوع الأنشطة التي تم ممارستها هناك؟ أو ما الذي تم وضعه هناك؟ تم استعمال أسقف شديدة الصلابة في تغطية بعض الحجرات (انظر وأيضا للمزيد صـ 41) ولكن هل تم بناء أدوار علوية تحتوي على غرف تتميز بخصوصية أكبر من تلك الموجودة في الأدوار الأرضية؟ فقد كان بإمكان تلك الجدران المبنية من قوالب الطين – كالتي تم استخدامها في بناء منازل عمارة غرب – أن تتحمل وتدعمُ منازل ذات عدة طوابق.



عتبة علوية لباب مصنوعة من الحجر الرملي وعليها تصوير للسيدة «أيتجيت» وتحت كرسيها يوجد أحد القرود. تم إعادة استخدامه لكي يتم غلق أحد الابواب في المنزل رقم D12.6.

فربما كان الدرج يؤدي إلى أسقف مفتوحة، والتي ربما تم تحديدها بأسوار منخفضة الارتفاع، وذلك من أجل الأنشطة التي تتطلب ضوء الشمس أو حيثما يستطيع المرء أن ينام في ليالي الصيف الحارة. ولا يجب أن نفترض وجود حدود فاصلة بين المنازل بعضها البعض كمثل التي تواجدت في الأدوار الأرضية وانه قد تم استنساخها في الأدوار العلوية. ففي الواقع – حتى في مستوى الأدوار الأرضية – كانت هناك درجة من الامتزاج ما بين العائلات يمكن افتراضها، والتي ساهمت بدورها على تشجيع عمل أبواب تصل المنازلَ بعضها ببعض من حين لآخر.

عادة ما يتم تقديم الدراسات الخاصة بالآثار المتبقية من عمارة المدن خلال الدولة الحديثة، وفي أي مدينة قديمة تقع حول البحر المتوسط، أو في شمال إفريقيا والشرق الأدنى، كدراسات تحيط بها الشمس من كل جهة (شديدة الصعوبة والانتقاد من قبل البعض) ولكن الجدران والمباني هي التي توفر الظلال القوية لدفع مثل تلك الدراسات. خبراتنا الشخصية كمنقبين أفادت كثيرا من الأيام التي كانت تملؤها العواصف الحاملة للرمال، والتي تعتبر بشكل نسبي أمرا شائعا في المنطقة. فبداخل المدن القديمة، ربما تعلّق بذلك بتفسير اللون الباهت الأسمر الخاص بالعمائر التي بُنيت من قوالب الطين والذي ينتج بدوره أيضا كثير من القاذورات، والتي ساهمت أيضا في صنع بيئة متربة. فبعد أن يتم تشييد العناصر المعمارية الثابتة، مثل الدرج والأبواب والمواقد والأفران ومواضع الطحن، تصبح المنازل مهيأة لكي يتم فرشها بالأثاث: المفروشات، والجلود، والمصنوعات الخشبية والبرديات، تلك المواد التي لم يُكتَب لها البقاء لنا. فبلا شك كان بإمكان الحصير أو ما يتم تعليقه على



الحفريات ف المنزل E13.8 حيث بنى مقابلاً للحائط الشمالى.

الحائط أن يقوم بتغيير الشكل العام بل والإحساس الخاص باستغلال تلك المساحات الحيوية. فقد تم العثور على منضدة صغيرة من الحجر في المنزل رقم (E13.3-S) وربما تواجدت أيضا تجهيزات كبيرة وثقيلة موضوعة على الأرضيات في بعض الغرف، منها أحجار الطحن الكبيرة (التي كان بعض منها سهلَ الحمل والآخر ثقيلا)، ومطارق حجرية، وأوعية وسندان تم وضعهم على حوامل لكي تحفظ مياه الشرب والسوائل الأخرى.

إن استخدام اللون البني الباهت في طلاء العمائر كان بإمكانه تغيير الشكل الخاص بها، والشائع في جدران غرف المنزل أن يتم طلاؤها باللون الأبيض، ولكن ليس في كل الأحوال وصولا إلى السقف. وهذا أيضا كان يضم غرفة الاستقبال الرئيسية بما تحويه من مصطبة. تعمل تلك الجدران المطلية باللون الأبيض بشكل محتمل على زيادة انعكاس الضوء داخل المنزل، وتعطي إحساسا بالنظافة أيضا. وفي بعض الأماكن، انتشر استخدام عدة ألوان أخرى، مثل ذلك الجدار الذي يقع خلف المصطبة في منزل (E13.7) الذي قد تم طلاؤه باللون الأصفر، بجانب الكوة التي تقع فوق المصطبة والتي تم تزيينها بعدة ألوان. كما توجد أمثلة أخرى لغرف المنزل التي احتوت على أسقف معقودة تم تزيينها بأشكال ملونة.

ويعتبر الوصول إلى أسماء الأفراد الذين كانوا يسكنون مدينة عمارة غرب من أصعب الاختبارات للعاملين في الحقل الأثاري. فبخلاف النائب الذي تم ذكره في الفصل السابق، وجدنا أسماء قليلة. فعلى إحدى عتبات الأبواب، والتي أعيد استعمالها مرة أخرى في أحد منازل الضاحية المتواضعة، نجد سيدة ترتدي ثيابا أنيقة ترجع إلى عصر متأخر من الدولة الحديثة، مرتدية شعرا طويلا مستعارا وفستانا فضفاضا، تجلس على كرسي تم صنعه بعناية، حيث تم صنع أرجله على شكل أقدام الأسود. هناك تفصيلتان أدتا إلى أن نعتقد تماما بكون هذه السيدة كانت في يوم من الأيام تنتمي إلى واقع المدينة، هما: وجود أحد القرود يقفز تحت الكرسي، وأنها كانت تدعى اياجت. الفصل القادم يهدف إلى وصف سكان منازل مدينة عمارة غرب، مسجلا النشاطات التي كانوا يقومون بها وممتلكاتهم التي عثرنا عليها، حتى وإن كنا لا نستطيع أن نتعرف على أسمائهم.

مسطحات للمعيشة

مات دالتون

كانت كثير من مظاهر الحياة تدور احداثها في الأدوار الأرضية من المنازل، ولذلك فان الأرضيات الخاصة بتلك الأماكن يمكن أن تقدم لنا لمحات عن كيفية استغلال المناطق المختلفة داخل منازل الأفراد. ويمكن أيضا أن توضح أسلوب مشاركة الأفكار – وربما حتى المثاليات الشائعة بينهم – عن أسلوب الحياة المناسب داخل المدن القديمة.

تعتبر الأرضيات التي تم صنعها من الطين الجيد(اللياسة) إحدى المميزات المكملة لتصميم الغرف والأفنية التي تواجدت في المنطقة الخلفية لعدة منازل كبيرة ومتوسطة الحجم في مدينة عمارة غرب. هذه الغرف بما تحويه من زخارف جدارية بديعة ومواقد ومصاطب، ربما تعكس الاهتمام بثقافة الضيافة والتفاعل المجتمعي وتبرز مظاهره. وربما كان التجديد المستمر ووضع طبقات جديدة من الأرضيات بسبب أهمية الحفاظ على مستويات جمالية معينة في مثل تلك المناطق.

ربما يعتبر إدراك الفروق بين أنواع الأرضيات المختلفة أحد العوامل المهمة التي تساعدنا على فهم كيف وأين كان يتم استخدامها. فعادة ما يساعد الملاط الطيني المخلوط بالألياف النباتية (مثل القش) على الحفاظ على درجة حرارة مناسبة في الأيام التي يتخللها فترات شديدة الحرارة وأيضا خلال ليالي الصحراء الباردة. فيمكن للمرء الشعور بالنظافة والراحة عند المشي عاري القدمين على مثل تلك المسطحات، وربما تم اعتبار هذه الأرضيات أحدَ الفروق ما بين أماكن المعيشة والشوارع التي تتناثر بها القمامة ومناطق الفضاء المكشوفة. تلك المسطحات «غير المكلفة» مثل الأرضيات الترابية المستوية، كان يتم تفضيلها عن المناطق التي لا يكثر استخدامها بالمنازل والمناطق التي تتميز بأنشطة يتخلف عنها الكثير من الفوضى، مثل تحضير الخبز في أفران تستعمل الوقود الخشبي.



تعتبـر هـذه المسـطحات غير المكلفـة أكثر قابليـة للتنفيذ مـن الأرضيـات المشـيدة باسـتخدام المـلاط الطينـي الصلـب، وعـادة مـا تحمـل بعض مـن مخلفـات الأنشـطة التـي كانـت تقـام عليهـا، متضمنـة بذلـك قطعًـا فنيـة صغيـرة أو طبقـات رقيقـة مـن الطـلاء الأحمر. بعـض آثار مثـل هـذه الأنشـطة قـد لا يبـدو واضحـا للعيـن المجـردة بـدون تحليـل علمـي مفصـل، فاختبـار المـكان بواسـطة أدوات الكيميـاء الجيلوجيـة لتعقـب بعـض العناصـر مثـل الفسـفور يوضـح لنـا أن إحـدى المناطـق المنفصلـة فـي إحـدى الغـرف ذات الأرضيـة المصنوعـة مـن المـلاط الطينـي والتـي تقـع فـي المنـزل رقـم (E13.3) (انظـر وللمزيـد صــ 30–31) ربمـا احتـوت علـى كميـات مـن المخلفـات العضويـة الصلبـة أو السـائلة والتـي أصبحـت بدورهـا جـزءًا من تركيـب الأرضيـة بعـد الامتزاج بهـا. فهل كانـت حيوانـات المنـزل تعيـش هنـا؟ أو تم اسـتعمال تلـك الفضـلات فـي الوقـود أو أنشـطة أخـرى؟

هـذه التحليـلات العلميـة للأرضيـات المشـيدة يمكـن أن تخبرنـا عـن هـؤلاء الأفـراد الذيـن قامـوا بتركيبهـا وفرشـها علـى الأرض. أوضحـت الدراسـات الاثاريـة العرقيـة الخاصـة بالمنـازل «التقليديـة» النوبيـة أن إنتـاج المـلاط الطينـي وتصنيعـه كان يعتبـر حرفـة تتطلـب مهـارة عاليـة، بمـا شـملته مـن وصفـات ذات تركيبـات متنوعـة ومميـزة، والتـي أمكـن التعـرف عليهـا فـي أحـد الأماكـن التـي احتـوت علـى أرضيـة مكونـة مـن طبقـات متعـددة فـي أحـد منـازل جزيـرة أرنتـى. قـد يثيـر التشـابه فـي تركيـب الطبقـات المختلفـة لإحـدى أرضيـات المبنـى رقـم (E12.11) اشـتراك نفـس الشـخص فـي صنعهـا، غيـر أن التنـوع الواسـع فـي وصفـات المـلاط الطينـي التـي تـم اختبارهـا ربمـا تشـير أيضـا إلـى أن عمليـة فـرش الأرضيـات كانـت إحـدى الممارسـات المعماريـة، التـي كانـت تقـوم بهـا العائلـة التـي تقطـن المنـزل بشـكل أساسـي، أكثـر مـن كونهـا عمـلا متخصصـا لـه قواعـد تجاريـة.

يمكـن أن تكشـف لنـا المسـطحات الطينيـة والأرضيـات كيـف كان يرغـب السـكان فـي تنظيـم منازلهـم وطبيعـة الحيـاة فيهـا. عـادة مـا كان يتـم تجديـد الأرضيـات أكثـر من العناصـر المعماريـة الأخـرى، ولذلـك فـأن تلـك الأرضيات باسـتطاعتها أن تقـدم لنـا افتراضـات زمنيـة أكثـر تفصيـلا عـن العناصـر المعماريـة الأخـرى الخاصـة ببنـاء المنـزل والإضافـات التـي تـم رؤيتهـا فـي المدينـة.



المعيشة في المدينة القديمة

آنا ستيفنز





سكان عمارة غرب

مَن هم سكان مدينة عمارة غرب؟ وكيف يمكن لنا أن نعيد تعمير المدينة بما يمكن أن تسرده من قصص عن حياة أهلها؟ لقد شغل المدينة مجتمع مختلط من الرجال والنساء والأطفال. بعض منهم شغل مناصب إدارية والآخرون اكتفوا بالعمل كعمالة يدوية. ولكن بشكل مؤكد فقد عاش المصريون والنوبيون مع بعضهم البعض في المدينة.

ربما يمكن حصر أهل المدينة الأوائل الذين استقر بهم المقام للسكن بها منذ بدايه نشأتها بحوالي 200 فرد أو ما يقارب ذلك العدد، وربما لم يأتِ إليها أي من القادمين الجدد مباشرة من مصر، ولكن ممن كانوا يسكنون مدن فرعونية قريبة مثل سيسبي وصاي والكوة. وفي هذه الحالة، فإن هؤلاء "المصريين" قاطني تلك المدينة التي تم إنشاؤها 1300 قبل الميلاد كانوا على علم تام بالمناطق المحيطة، والتقاليد النوبية، وربما كانوا على علم باللغات المحلية أيضا، فلم تكن مهمة التعامل مع البيئة المحيطة بهم بالأمر الصعب لهم. وربما كان الكثير منهم من أصل نوبي، واعتبروا أنفسهم مصريين ونوبيين في الوقت نفسه.

مع تتابع الاجيال، ازدهرت المدينة، وتغير مظهرها الداخلي والخارجي، كما تغير سكانها أيضا. ربما بسبب الهجراتُ المستمرة للمكان وتمدُّدُ العائلات وتعدادَ سكان المدينة، دفع ذلك الأمر للتوسع وإنشاء امتدادات سكنية مجاورة أخرى في الجزء الغربي. فبنشأة مجموعات أسرية جديدة، لم يتم فقط توسيع أماكن الإقامة وإنما كان يتم تعديلها بشكل مستمر لتلائم الاحتياجات المتغيرة الخاصة بقاطني المدينة. فهناك منازل جديدة تم إقامتها، وأخرى تم تقسيمها (انظر للمزيد صـ 30–31). وربما يرجع ذلك إلى وفاة غير متوقعة لأحد أفراد الأسرة أو إخلاء أحد الملكيات، أو زواج وبناء عائلة تحتاج إلى سكن. إحدى الأشياء المبهرة

الصفحة السابقة
لقى آثارية تم العثور عليها حول المنازل القديمة في عمارة غرب.

المنزل رقم D12.5 والمنزل رقم D12.6 في الضاحية الغربية، خلال موسم الحفريات في فبراير 2014.

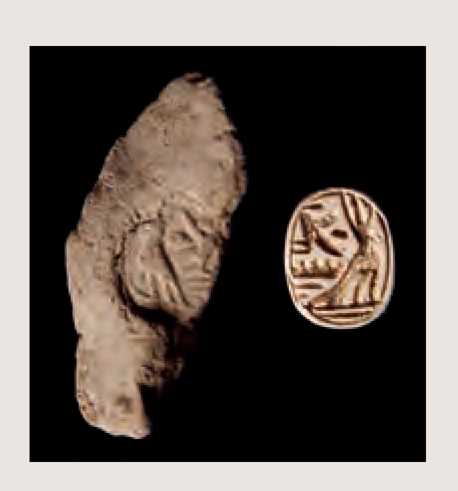


الأختام: منمنمات عن أسلوب التعبير عن القوة والسيطرة الفرعونية

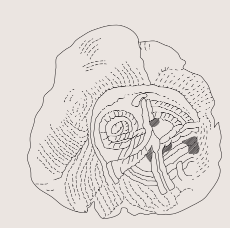
ماري فاندنبوش

تـم استـخدام أختـام ذات أحجـام وأشـكال متنوعـة بشـكل عـام فـي مصـر القديمة أثنـاء عمليـة غلـق أو خَتْم الأوعيـة والصناديـق والوثائـق الهامـة التـي تمـت كتابتهـا علـى البرديـات أو حتى أيٍّ مـن العناصر التـي احتوت على معلومـات أو مـواد ثمينة. لقـد عثرنا في مدينـة عمارة غرب علـى بـروز صغيـر فـي طمـي الطيـن يحمـل طابـع الختم علـى أحـد جوانبـه، والوجـه الآخـر كان مختومًـا بجـزء مـن المـادة التـي تـم غلقهـا، ربمـا كانت لفـة بـردي أو صندوقًا تـم غلقـه بواسـطة شـريط. عـادة مـا تتخـذ هـذه الأختـام الشـكل البيضـاوي او شـكل الجعـران، وفـي الغالـب كانت عمليـة الختـم تتـم بالضغـط علـى الختامـة عندمـا يكـون الطيـن مـازال رطبـا. وهـي بذلـك تؤكد عمليـة الغلـق، لم يتـم العثـور علـى الختامـة والختـم الخـاص بهـا فـي مكان واحـد، ولكـن تـم العثـور علـى جعـران مدفـون مـع امـرأة شـابة فـي أحد مقابـر الدولـة الحديثـة (G234) يتطابق مع ختميـن تـم العثـور عليهمـا داخـل المدينـة، ونـادرا ما يتم العثـور علـى مثـل ذلـك الكشـف الآثاري.

عـادة مـا تكـون معظـم أختـام الغلـق التـي يتـم العثـور عليهـا فـي حالـة حفـظ سيئة أو مكسـورة أو مـن الصعب التعـرف عليهـا مـا بيـن حطـام الطـوب المصنـوع مـن الطيـن. فالدراسـة المتأنيـة باسـتعمال أسـاليب إنـارة مختلفـة يمكـن أن تكشـف لنـا الأغـراض الخاصـة بكل ختـم، وفـي بعـض الأحيـان تقـوم بإعـادة بنـاء أجـزاء الختـم الأصلـي الـذي تـم اسـتعماله بكثـرة. تتضمـن السـلع المختومـة التـي كتـب لهـا البقـاء أنواعًـا مختلفة من البضائـع والحيوانـات وقِطَعًـا ناقصـة مـن لفافـات البردي المكتوبـة بالهيروغليفيـة. كمـا ظهـرت الخراطيـش الملكيـة كختـم فـي عـدة أمثلـة، ويعـد الأكثـر شـيوعا تلـك الأختـام التـي حملـت الاسـم الثانـي للملـك تحتمـس الثالـث «مـن خبـر رع» ذلـك الملـك المحـارب الـذي ينتمـي إلـى الأسـرة الثامنـة عشـر، والـذي ظـل اسـمه باقيـا عـدة قـرون بعـد وفاتـه مـن خـلال تلـك الأختـام التـي تمـت خـلال عصـره.



تعـددت وسـائل إظهـار رمـوز القـوة الملكيـة باسـتخدام عـدة أفـكار أخـرى يتـم طبعهـا علـى الأختـام؛ فهنـاك أحد الأمثلـة المدهشـة التـي تمثل رجـلًا يقف على عربـة حربية ويقـوم بسـحب أحـد الأسـهم مـن القـوس، وأمامـه يقـف أعـداء مسـلحون تـم تصويرهـم فـي فوضـى عارمـة. هـذا المنظـر المفعـم بالحركـة يحاكـي المناظـر الرسـمية التـي اعتلـت جـدران المعابـد والتـي تـروج إلـى التفـوق والسـيطرة العسـكرية المصريـة علـى الأعـداء. وهنـاك ختامـة آخـرى تصـور أحـد الأسـود وهـو مسـتحوذ علـى عـدو راكـع أمامه وأسـلحته مقيـدة خلفـه. كمـا تواجـدت الكوبـرا – والتـي عـادة مـا ترمـز إلـى الملـك المصـري – علـى ظهـر الأسـد، وكأنـه بذلـك ينقـل القـوى الملكيـة الخاصـة بالملـك إلـى ذلـك الحيـوان.


عن هذه المدينة هي كَمٌّ الحرية التي سمح بها السكان لأنفسهم لبناء مجتمعهم الحضاري وإعادة بنائه.

الحياة داخل المنزل

كانت المنازل مظلمة إلى حد ما، والمساحات مكتظة، وبخاصة تلك المنازل التي تواجدت داخل المدينة المسورة. كانت مثل تلك الأوضاع مفضلة لعدة أسباب؛ فقد كانت النوافذ الصغيرة عادة ما تسمح بدخول كمية قليلة من الأتربة والحرارة، ومازالت هذه النوافذ مفضلة في المنازل النوبية المعاصرة الآن. ربما كانت المجتمعات التي يعيش أهلها بالقرب من بعضهم البعض أمرا فعَّالا في تشجيع التعاون وبناء علاقات وثيقة ما بين العائلات. وبشكل كبير، فإن الحياة هنا لابد وأنها قد استلهمت تلك الحياة التي صورها العمال من بنَّائي المقابر في قرية دير المدينة بالأقصر في مصر، تلك المدينة الصغيرة المسوَّرة التي تؤرخ بنفس الوقت الخاص بإنشاء مدينة عمارة غرب، بما تحويه من منازل متشابهة المساحة. وقد تم العثور على نصوص تم كتابتها على أجزاء من الأوعية، ورقائق الحجر والبردي في دير المدينة، والتي بدورها يمكن أن تقودنا إلى معرفة كافة الجوانب الخاصة بالحياة داخل تلك القرية المصرية، سواء أكانت تتعلق بعمليات التنقل اليومية أو السرقات أو غيرها فكل شخص بالمدينة يعرف أمور جاره.

ولذلك فمن المحتمل، إن منازل مدينة عمارة غرب كانت تشكل مزيجًا تتفاعل فيه المساحات المخصصة للعائلة مع تلك المخصصة للعمل والزيارات. تفترض مواضع المصاطب – والتي كانت عادة ما تقع في غرف قريبة من مؤخرة المنزل – أن هذا الجزء من المنزل عادة ما كان يتم استعماله لاستقبال الزوار. ويبدو أن الغرف الجانبية قد تم استغلالها في تحضير الطعام والطهي، وأنشطة أخرى تخلَّف عنها الدخان والأتربة والنفايات، مثل رقائق الحجر الناتجة عن استعمال الأدوات الحجرية.



منظر لامتداد مساحة المخازن في المنطقة E13 والتي تم تقسيمها إلى قطع مساحية صغيرة. المساحة الصغرى الأمامية كانت مملوءة بمخلفات تجهيز الألوان.

هذه الغرف عادة – وليس دائما – ما كان يتم تركها بدون أسقف لتكون مفتوحة على الهواء الطلق أو تتم تغطية جزء من السقف ويترك باقي المساحة ليعطي فرصة لخروج الدخان (انظر للمزيد صـ 41). وعلى الرغم من الجهد الفائق الذي بذله قاطني المنزل لكي يتم الحفاظ على المنازل نظيفة، فإن المناخ العام في المدينة لابد أنه كان مفعمًا بالأتربة والدخان؛ بسبب الأنشطة المنزلية وأماكن صناعة الفخار وتخزين البضائع الأخرى، والتي كانت تقع داخل المدينة، والتي بلا شك ساهمت في تفاقم المشكلة. أوضحت التحليلات الخاصة بالهياكل العظمية التي تم العثور عليها في المدينة وجود بعض الأمراض التي كان يعاني منها قاطنو المدينة (انظر للمزيد صـ 58 و 66). أغلب تلك الأمراض كانت نتاج تلك الأوضاع المعيشية بما تخلِّفه من هواء ملوَّث بالأدخنة والأتربة يتنفسه الجميع.

تطلبت التقاليد المصرية أن يتم تخصيص أماكن للنساء، وبخاصة للنساء التي في وضع الولادة أو الحيض. ويبدو أن منازل عمارة غرب قد احتوت على مناطق غير مسموح للزوار بتجاوزها، على الأقل في بعض الأحيان؛ فقد عثر على مُسَوَّدات تم رسمها على قِطَع من الفَخَّار في مدينة تل العمارنة وأماكن أخرى كانت تُظهِر المرأة وهي تقوم برضاعة الأطفال في الأسابيع التي تلي الولادة في أماكن تبدو مظلَّلة ومغطاة بعناقيد العنب. فربما تم إعطاء أولوية للنساء في مساحات تقع فوق الأسطح بشكل مشابه لهذا التصوير، وربما لم تستطع المنازل الصغيرة التي كان يقيم فيها عائلة كبيرة متفرعة توفيرَ مثل تلك الأماكن لأنها كانت في حاجة إلى مساحات أكبر يمكن تكييفها وفقا لاحتياجاتهم المتزايدة. وبشكل محتمل، فإن أسطح المنازل كان يتم استعمالها للنوم خلال أشهر الصيف الحارة، فيما كانت المصاطب تعد أكثر الأماكن المنطقية التي كان يستعملها قاطنو المنزل للراحة خلال ساعات اليوم. وربما كان يتم نقل الأنشطة اليدوية من الخارج (أقصد من أسقف المنازل؟) إلى الغرف الداخلية وذلك لتفادي حرارة الأيام الصيفية.

العمل والأنشطة الترفيهية

يمكن اعتبار سكان عمارة غرب على أنهم كانوا يمثلون الاهتمامات المصرية في النوبة، أو على الأقل عند بداية نشأة المدينة. البعض منهم كان يعمل بوظائف إدارية أو رسمية أو ككتبة، مستغلين بذلك التعليم الذي تلقوه والذي مكنهم من معرفة القراءة والكتابة، والتي كانت تعد أحدى المهارات النادرة في ذلك الوقت في العالم القديم. تواجدت بعض من اللمحات عن طبيعة أعمالهم على أختام صغيرة من الطين ذات تصميمات غائرة كان يتم استخدامها في غلق وثائق البردي (انظر للمزيد صـ 49)، وفي أجزاء الأواني الفخارية التي تم نقش أسماء السلع عليها. مثل هؤلاء الموظفين قاموا بوصل مدينة عمارة غرب بالعالم الذي يقع حولها، وكانوا يشكلون علية القوم بالمدينة. ولكن منازلهم كانت تقع بجانب السكان الآخرين الأقل ثراءً ومكانة. فالمنازل الصغيرة والمتوسطة من المجاورة السكنية (E13) كانت تقع على مسافات قريبة من مقر إقامة النائب نفسه، وبارتفاع مستوى الشارع بمرور الزمان ربما كانت هذه المنازل في مكان أكثر ارتفاعا من منزل النائب.



إناء نوبي للطهي (أعلى اليمين) وإناء حفظ مصري، ومجموعة من الأدوات الحجرية، تم العثور عليها على أرضية مصنوعة من الطين المحروق في إحدى غرف المنزل رقم D12.5.

وفي الجبانات، فقد تم العثور على حُفَر صغيرة تم استخدامها كمقابر بجانب تلك المقابر الكبيرة المجهزة بمباني علوية مُفَصَّلة. ويبدو من الظاهر على الأقل أنه لم تكن هناك فروق عنصرية تعتمد على الثراء المادي في مدينة عمارة غرب؛ فالحياة في المدينة كانت تتطلب من أهلها مشاركة خبراتهم. وفي أوقات

البحث في استغلال النباتات القديمة

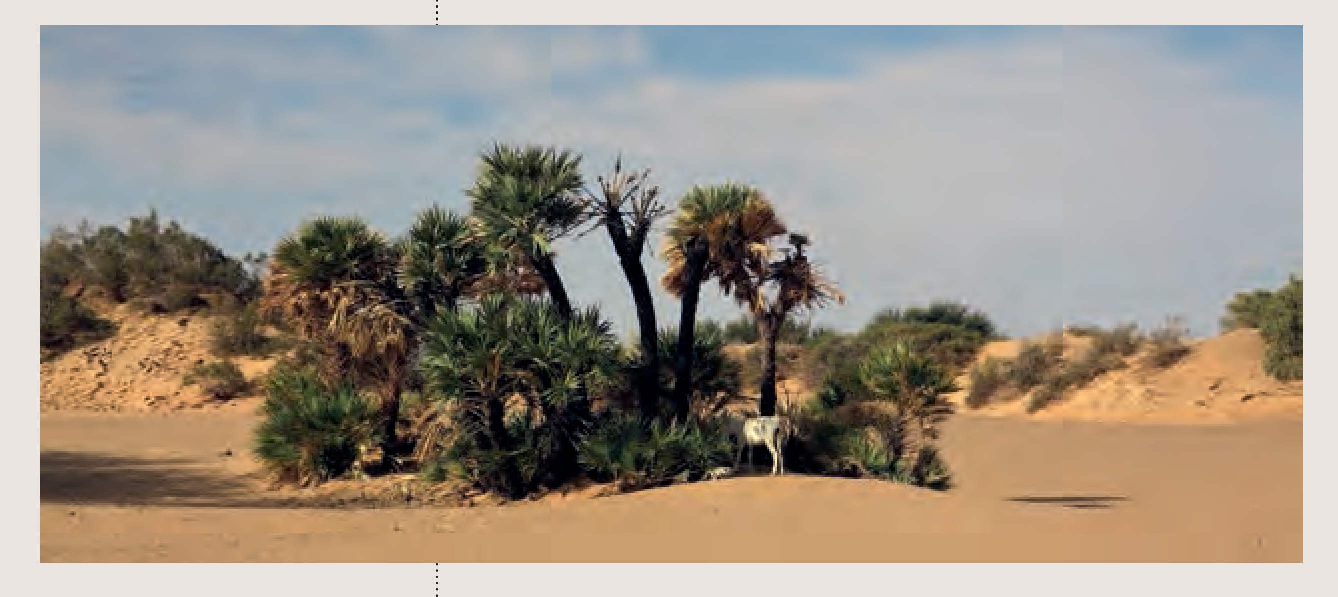
فيليبا ريان & كارولين كارتوريت

إن ما تم العثور عليه في الحفريات الآثارية من المدن والقرى القديمة يمكن أن يخبرنا عن مدى استغلال النباتات في الحياة اليومية. فأغلب تلك النباتات التي قاومت الزمن لتبقى لنا من مدينة عمارة غرب قد تم تفحمها، كالحبوب الكاملة غير المطحونة والقش، هذا إلى جانب بذور الأعشاب والفواكه. كما يقدم لنا ذلك الفحم النباتي دليلًا على مصادر الأخشاب المستغلة، وبشكل خاص الأخشاب التي تم استعمالها كمحروقات للوقود. معظم اللقى المتفحمة – والتي تمثل خليطًا من المحروقات – كانت بمثابة فضلات إنتاج الطعام ومخلفات أخرى تم إحراقها في الأفران المنزلية والمواقد. وقد استطعنا الحصول على بعض المعلومات عنها بواسطة تحليل مادة (الفيتوليتس)\ وهي عجينة السيلكا المخاطية التي تقوم بسبك وحفظ خلايا النبات – والتي بإمكانها الحفاظ على المعلومات الخاصة بالنباتات التي تم تحويلها إلى رماد، أو تلك الأجزاء السليمة من النباتات التي نادرا ما يكتب لها البقاء داخل الموقد، مثل الأوراق والسيقان. هذه البقايا الميكروسكوبية يمكن أن تخبرنا عن أساليب استغلال النبات في مناطق أخرى بعيدة عن المواقد والأفران، فيمكن لها أن توضح حالة مخازن التخزين على سبيل المثال.

تفترض أفران الخبز التي عثر عليها في حالة جيدة من الحفظ داخل المنازل في مدينة عمارة غرب بالإضافة إلى المناطق المخصصة لتحضير الحبوب= أن قاطنى المنازل قد قاموا بصناعة الخبز الخاص بهم. بعض من المنازل كان لديها وسائل تخزين ضخمة (كالصناديق المصنوعة من الطين والحجر)، ولكن ليس كل المنازل. فهل تلك المنازل التي خلت من تجهيزات التخزين كانت تعتمد على حبوب يتم توزيعها عليهم؟ الحبوب التي تم استعمالها في مدينة عمارة غرب تتنوع ما بين قمح إيمر القمح ثنائي الحبة (Triticum dicoccum) وشعير مُقَشَّر سداسي الطبقات (Hordeum vulgare). وبشكل مثير للاهتمام، فقد اعتمدت المنازل على قمح إيمر بنسبة 89% من الحبوب التي يقومون بإنتاجها. وفي المقابل بنسبة 45% في بعض المنازل الأصغر حجما. الأنواع المختلفة من القمح التي يتم زراعتها الآن في كلٍّ من مصر والسودان لا تحتاج إلى دريش، والتي ربما تشير إلى عملية الفصل السهل ما



في عُمق التفاصيل

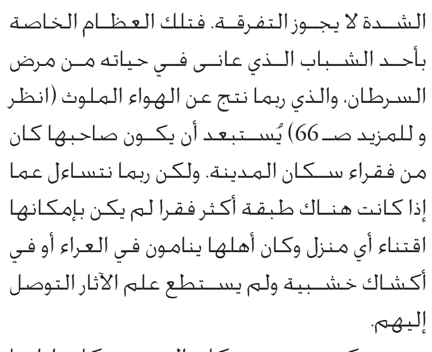


بين الحبوب والقش خلال عملية الدرس. وفي المقابل فإن قمح إيمر والشعير المُقَشَّر كانا عادة ما يحتاجان إلى عملية إضافية بعد الدريش؛ لكي يتم تخليص الحبوب من تلك القشور الدقيقة التي تغطيه. وكان هذا لابد من أن يتم قبل أن يتم طحن القمح وتحويله إلى دقيق. ومع ذلك فإن تلك الحبوب ذات القشرة عادة ما توفر حماية أكبر للحبوب من الآفات، وهو ما يعد أمرا مهما بما أن تلك السلع تعدُّ ذات أهمية قصوى، وبشكل خاص عندما يصبح المناخ أكثر جفافا. وقد تم العثور على محاصيل أخرى مثل العدس (Lens culinaris) والبطيخ (Cucumis melo) والكتَّان (Linum usitatissimum) والجميز (Ficus sycomorus) ونخل الدوم (Hyphaene thebaica).

ومن خلال حالة الحفظ الجيد التي تمتعت بها بعض الجبانات بما تحويه من أثاث جنائزي مصنوع من الخشب استطاع مقاومة الزمن، فقد استطعنا معرفة أن التوابيت ومساند الرأس والأسرَّة الجنائزية النوبية عادة ما كان يتم صناعتها من خشب شجر الجميز وفي بعض الأحوال تم استعمال نخيل التمر أيضا (Tamarix spp.). كما أن كلا النوعين من الأشجار كانا يشكلان المكون الرئيسي للبقايا المتفحمة التي تم استعمالها كمحروقات للأفران والمواقد بجانب نخل الدوم (H. thebaica) شجر النبق (Ziziphus spina-christi) وعدة أنواع مختلفة من شجر الصمغ (Acacia spp.).

أحد أهداف الدراسة هو التحقق عما إذا كانت هناك تغييرات في استغلال النباتات في مدينة عمارة غرب بمرور الزمن ام لا، فربما كان ذلك التغيير متصلا بتغيرات في المناخ تم التعرف عليها في الدراسات الجغرافية للإقليم ككل والمنطقة بشكل خاص (انظر للمزيد صـ 90–91). غير انه يبدو في الوقت الحالي أن النظام الغذائي في المدينة قد اعتمد بشكل غالب على المحصولات الفرعونية، ولكنه لا يزال غامضا بعدُ عما إذا تم استخدام أنماط نوبية من النباتات في المدينة أم لا. وباستخدام علم الآثار النباتي يمكننا استكمال أحد الأبحاث التي تتناول موضوع أنماط النباتات التي استمرت من عصور قديمة، وكيف أصاب خصائصها التغيير بمرور الوقت في مدينة عمارة غرب. فتلك النباتات يمكن أن تكشف لنا مدى التمازج ما بين سكان المدينة والنظام البيئي الخاص بمنطقة وادي النيل سواء في الماضي أو الحاضر.

الشـدة لا يجـوز التفرقـة. فتلك العظـام الخاصة بأحـد الشـباب الـذي عانـى فـي حياته مـن مرض السرطان، والذي ربما نتج عن الهواء الملوث (انظر و للمزيد صـ 66) يُسـتبعد أن يكـون صاحبها كان من فقراء سـكان المدينة. ولكن ربما نتساءل عما إذا كانت هنـاك طبقـة أكثر فقرا لم يكن بإمكانها اقتناء أي منزل وكان أهلها ينامون في العراء أو في أكشاك خشـبية ولم يسـتطع علم الآثار التوصل إليهم.



مجموعة من صناديق التخزين مرفوعة على منصات حجرية في المنزل رقم E12.10 (انظر للمزيد صـ 36–37).

كثيـر مـن سـكان المدينـة كانـوا إما متخصصي حرف يدوية أو عمالة، كصناع الفخار والأواني الخاصة بالطهي، والبنائين الذين يقومون بتشييد المنازل وتجديدها، وعمال المحاجر الذين يقتلعـون الأحجار مـن اجل المعبـد، بجانب هؤلاء الذين عملـوا في الزراعـة وصيد الأسـماك والذين قاموا بتوفير الغذاء لسـكان المدينة. ويبدو أن العالم الاقتصادي الخاص بالمدينة كان غارقا في المحلية تماما، بمعنـى أنه لم يكن يتم إعادة توزيع منتجاتهم سـواء لمصـر أو المناطق المحيطة. ونحن لسـنا على يقين بعدُ من كون المدينة كانت على اتصال باستخراج الذهب من عروق الكوارتز والرواسب الحجرية من التلال والصحاري المحيطـة أم لا، مثلهـا في ذلك مثل كثير مـن المدن المصرية التـي كانت متواجدة داخل النوبـة. فيبدو أن هذا الأمر لم يكن من ضمن وظائفها الرئيسـية، ولكن تم العثور على رقائق من حجر الكوارتز وأحجار الطحن مغطاة بطبقـات مـن الذهب فـي المدينة، وهو ما يفتـرض بدوره أن بعض عمليات اسـتخلاص الذهـب كانت تحدث في المدينة. وهو ما يُعد عمل صعب وشاق بلا شك!

المحافظة على العائلة كانت بمثابة العبء المستمر؛ بسبب تلك المسئوليات التي لا تنتهي أبدا فيما يتعلق بتوفير الغذاء والسـلع للاسـتهلاك اليومي، في زمن لم يكن تعرَّف بعدُ على الوجبات السريعة. ولا نمتلك أي دليل من تلك المدن الفرعونيـة على وجود محال أو حانات كانت تقوم بتقديم الوجبات الجاهزة. إن إنتاج الخبز – ذلك المكون الرئيسـي في طعام المصريين القدماء – كان يسـتهلك الكثير من الوقـت؛ لأن نوع القمح الذي كان يسـتخدم حينها عادة مـا يتطلب المزيد من الوقت لتحضيـره أكثر من القمح الموجـود الآن في وادي النيل (انظـر للمزيد صـ 52–53). فحبة القمح لابـد أن يتم فصلها عن القشـرة (ربما كان ذلك باسـتعمال الهون ويد الهون)، ويتم التخلص من القشرة عن طريق الغربلة باستخدام الغربال، وفي النهاية يتم طحن القمح على حجر الطحن (الرحى) لكـي يتم تحويله إلى دقيق. كل تلك العمليات كان لابد أن تحدث قبل حتى أن يتم بداية الطهي. إنتاج الطعام، وغسل الملابس على ضفة النهر، وتحميل إمدادات المياه ربما كان يتم مشاركة مثل تلك المهام ما بيـن عائلات المدينة. وربما كان يتم اسـتعمال كل الأفراد الذين كان بمقدورهم العمـل، ومن بينهم الأطفال. ويمكن أن نعتبر مثل تلك الأمور بمثابة بديل حي لما تم توثيقه في نصوص دير المدينة.

تعتبـر آثار آلام المفاصل والأطراف المكسـورة من شـواهد أسـلوب الحياة المتوتر الـذي ظهر كثيرا في الهيـاكل العظميـة التي تم العثور عليها في مدينـة عمارة غرب، نتيجة لتآكل العظام وتمزقها بشـكل بطيء، وقد امتد لزمن طويل، هذا بخلاف الحوادث المفاجئة (انظر وللمزيد صـ 58). لكن من الواضح أن بعض العائلات قـد كافحت لتنال طعامًا يحوي مـواد غذائية عالية القيمة، وهـو ما يمكن الحكم به من خـلال البنية القصيرة للعديـد من جثامين الأفراد التي تمت دراسـتها من جبانة المدينة. والتي ربما يمكـن إعتبارها إحدى علامات فقر التغذية خلال فترة الطفولة. وبجانب الحبوب، كانت البقول والفواكه متاحة كطعام (انظر وللمزيد صـ 52–53). يفترض موضع المدينة كجزيرة نيلية وجودَ تلك الغطاسـات الحجرية التي كانت تسـتخدم في شـبكات الصيد (انظـر و للمزيد صـ 56–57) ويبدو ان تناول الأسـماك كان يعد جـزءًا من النظام الغذائي لسـكان المدينة أيضا.

أحد الفناءات المشتركة بين المنزل رقم E13.3-N والمنزل رقم E13.3-S الذي كان يستعمل في طحن الحبوب وطهي الخبز.

ولكن من الصعب معرفة إذا ما كان هذا الطعام منتشرًا على نطاق واسع ما بين السكان أم لا، فربما كان علية القوم وحدهم هم من كانوا يتمتعون بذلك النظام الغذائي المتنوع والشامل. لقد كانت اللحوم – بشكل قاطع – إحدى علامات الثراء. لكن هل كانت حياة النوبيين أكثر صعوبة من تلك التي تواجدت داخل تلك المدينة المصرية في ذلك الوقت؟ الإجابة: ليس بالضرورة؛ فهناك أماكن مثل تل العمارنة في مصر – والتي تم احتلالها قبل أن يتم نشأة عمارة غرب بجيل واحد على الأقل – قدمت لنا صورًا مماثِلة لمثل تلك الحياة الشاقة.

تم الكشف عن جانب آخر من جوانب الحياة داخل المدينة بواسطة الاكتشافات التي تحدثت عن أوقات اللهو والتسلية؛ فقد تم العثور على عصي من العاج في إحدى الدفنات، ويبدو أنها كانت قِطَعًا تخصُّ إحدى الألعاب، حيث كان يتم تركيبها على لوحة لعب (واللوحة نفسها تم فقدانها من الرطوبة والنمل الأبيض). كما تواجدت بكثرة في المدينة تلك القطع من الفخار التي كان يتم وضعها على الأرض في أشكال دائرية صغيرة – والتي ربما كانت لعبة يتم استخدامها لتسجيل مجموع النقاط أو كانت تساعد على متابعة المعاملات التجارية اليومية. وهناك أسلوب تسلية آخر يحتمل وجوده، وبشكل خاص بين علية القوم من سكان المدينة، وهو ممارسة الصيد والقنص على امتداد ضفتي النيل الخصبتين، أو في الصحراء التي تقع خلف الجزيرة – إحدى المواضيع الشائعة في مناظر المقابر المصرية. ففي بعض الأحيان يتم العثور على عظام لحيوانات برية بين عظام الحيوانات التي تم انتشالها من المدينة. فهل بعض من هذه العظام كانت جزءا من حملات الصيد؟

كما وجدت عدة قطع فنية تمثل أشياء من متعلقات الحياة الشخصية؛ فقد تم العثور على قلائد وخَرَزٍ وتمائم ذات ألوان زاهية، والتي عادة ما كان يتم صناعتها من الخزف أو الحجر أو حتى قشر بيض النعام. تلك



صيد الأسماك حول مدينة عمارة غرب

شادية عبد ربه

لطالما قدمت القنوات النيلية التي أحاطت بعماره غرب مخزون وافر من الأسماك كطعام لقاطني المدينة، فقد شكلت الأسماك جزءًا هاما في النظام الغذائي للسكان القدامى للمدينة، أكد علي ذلك تلك البقايا الصغيرة من عظام الأسماك التي تم العثور عليها داخل المنازل. وعلى مدار ستة أعوام من الحفريات، عثر على العديد من القطع الصغيرة من حجر الشيست و الحجر الصابوني واللذان كانا يتم استعمالهما في موازين الأسماك داخل المنازل. وتعد هذه الأدوات أقوى الأدلة التي نمتلكها حتى الآن فيما يتعلق بممارسة صيد الأسماك قديما. هذا بخلاف عدة خطاطيف صغيرة الحجم مصنوعة من معادن مخلوطة بالنحاس، والتي تعتبر مثالية في صيد السمك. لم يتم العثور على أي أدوات أخرى من أدوات صيد الأسماك كشباكٍ أو عوامات أو سنارات الأسماك، فمثل تلك الأدوات عادة ما كان يتم صنعها من الأخشاب أو الألياف النباتية، وهي في الغالب لا يكتب لها البقاء.

معظم الموازين التي تم العثور عليها خلال الحفريات تم صنعها، من الحجر الصابوني الناعم، وفي بعض الأحيان من حجر الشيست، أو الحجر الرملي أو الفخار. غير أننا لا نعلم المصدر الخاص بذلك الحجر الصابوني، على عكس حجر الشيست الذي يوجد بكثرة في الكثير من أنحاء الجزيرة. فهل تم استيراده خصيصًا لصنع مثل تلك الأدوات؟ عادة ما نعثر على هذه الأدوات مصقولة – ربما عن قصد – ولكن ربما أيضا بسبب عوامل التعرية.

وقد اتخذت هذه الموازين عدة هيئات – سواء أكانت على شكل أسطواني أو مستطيل – ذات قطوع بنهايات متنوعة (دائرية، ومدببة، ومربعة)، وبشكل عام تبلغ أبعادها 5 سنتيمترات طولا و11 جراما وزنا. والسمة المميزة لها هي وجود خطوط محفورة فيها يتراوح عددها بين شق واحد أو اثنين أو ثلاثة، وهو ما يسمح بإلحاق أو بتثبيت سنارات صيد الأسماك. ويعتبر ذو الشقين هو الأكثر شيوعا، ربما لكي يتم التيقن من



أن عمليـة التثبيـت سـليمة ومحكمـة. أمـا الآخـرون ذوو الشـق الأوحـد يتميـزون بشـقوق أوسـع، وذو الشـقين تـم ثقبهـم بفتحتيـن، ربمـا لكـي يتـم سـحب الميـزان عندمـا يتـم اسـتخدامها مـع إحـدى السـنارات. فهل يمكـن اعتبار الذيـن خلـوا مـن تلـك الشـقوق علـى أنهـم غيـر مكتمليـن الصنـع أو غيـر مجهزيـن للاسـتعمال؟

فـي أغلـب الاحيـان عـادة مـا كان يتـم اسـتعمال الموازين لجعـل الشـباك اليدويـة تغـوص أكثـر بالميـاه، و خاصـة تلـك الشـباك التي تتخـذ الشـكل الدائـري ويمكـن إلقاؤها بواسـطة شـخص واحـد، سـواء مـن منطقـة قليلـة العمـق مـن الميـاه أو من قـارب. تعمـل الموازيين علـى التأكد من أن الشـبكة تغـوص تحـت السـطح، وكونها ليسـت طافية، ولكنهـا كانـت خفيفة الوزن بشـكل يسـمح لمسـتخدمها أن يقـوم بسـحبها بسـهولة مـن قـاع النهـر الملـيء بالوحـل، وربمـا قـد تـم اسـتعمالها أيضـا بالتزامـن مـع الخطـاف؛ حيـث تـم العثـور عليهـم مجتمعيـن فـي المـكان نفسـه أحيانا.

تلـك الأدوات غيـر المميـزة لا يتـم توثيقهـا جيـدا فـي المواقـع الأخـرى، غيـر أن العديـد مـن النمـاذج قـد تـم العثـور عليهـا فـي مدينـة بوهيـن بالنوبـة السـفلى. ومثـل تلـك الأدوات العمليـة عـادة مـا تتخـذ أشـكالًا متعـددة فـي المجتمعـات المختلفـة، والتـي تعكـس بدورهـا المـواد المحليـة المتاحـة فـي صناعتهـا. وبشـكل مثيـر للاهتمـام، فـإن فاعليـة مثـل تلـك الأدوات يمكـن إظهارهـا مـن خلال العمـر الطويـل الـذي تـم اسـتعمالها فيـه. فبعـد أن تـم هجـران مدينـة عمـارة غـرب بحوالـي 2000 عـام، وجدنـا أن قاطنـي مدينـة كولوبنارتـي – وهـي إحـدى قـرى القـرون الوسـطى وتقـع شـمال مدينـة عمـارة غـرب – يسـتعملون نفـس أدوات التغطيـس بشـكل متطابـق إلـى حـد كبيـر. وللأسـف، فـإن صيـد الأسـماك على نطاق واسـع لـم يعد ممارَسـا فـي الوقـت الحالـي؛ فقـد انتقـل صيـد الأسـماك بشـكل واسـع منذ تشـييد السـد العالي بأسـوان إلـي المياه الغنيـة الخاصـة ببحيـرة ناصـر.



عظام محطمة والوفاة في سن صغيرة

ميكالا بيندر

دراسة الموتى يمكن أن تخبرنا عن حياتهم؛ فمعالم العظام يمكن أن تدلنا على العمر عند الوفاة أو بعض الأمراض أو الجروح، وتحديد ما إذا كان الجثمان لرجل أو امرأة. في مدينة عمارة غرب، تم الكشف عن حوالي 250 جثمان ما بين 2009 إلى 2014. هذه الهياكل العظمية محفوظة الآن في المتحف البريطاني، لدراستها نسبة كبيرة من الأفراد واتهم المنية قبل أن يتموا 35 عاما من أعمارهم، وهو ما يشير إلى أن البيئة المحيطة كانت تتميز بكونها غير صحية للحياة بها. تعدُّ معرفة السبب الدقيق للوفاة أمرًا بالغَ الصعوبة، ولكن الخلفية البيئية وأساليب المعيشة يمكن أن يقدما لنا لمحات عن أسباب الوفاة في تلك المدينة. بما أنها تقع على ضفاف النيل، عادة ما كان يصيب المنطقة العديد من الأوبئة مثل الملاريا أو البلهارسيا (وهو مرض مزمن ينتج عن التعرض إلى ديدان طفيلية، ومازال منتشرا في إفريقيا حتى الآن). لقد ساهمت بقايا القمامة والمخلفات العضوية في الممرات التي كانت تتواجد بين المنازل في تقديم أرضية مثالية تتغذى عليها الحشرات الضارة والقوارض التي تنقل الأمراض. إن التواجد القريب من الحيوانات –في المنازل والممرات والحقول – كان له من الأثر الكبير في تسهيل انتشار الأمراض مثل الدرن وأنواع كثيرة من الحمى. عددٌ كبير من الأفراد كان لديهم دليل على وجود رواسب عظمة جديدة في الضلوع وفي التجاويف، وهي تشكل إحدى العلامات المزمنة الخاصة بعدوى الجهاز التنفسي.

كشفت تلك الهياكل العظمية أسلوب حياة تحفها المخاطر إلى حد كبير؛ حيث وجدنا أن عددًا كبيرًا من الأفراد كانوا يعانون من عدة كسور في العظام. الصورة توضح عظام العَضُد من ذلك الهيكل العظمي المأخوذ من (grave 211): إحداها تشير إلى عظام مكسورة تم معالجتها. مثل تلك الكسور العظمية كانت نتاج حوادث مختلفة وليست نتاج عنف بدني أو معارك حربية. تسلق أشجار النخيل الطويلة، والمرور على أرضيات وأسقف الدور العلوي المعلقة، والتعامل مع أعداد كبيرة من حيوانات الرعي. كل مثل تلك الأنشطة كانت محفوفة بالأخطار، فهناك مثال لامرأة (sk237) تنتمي مقبرتها إلى فترة ما بعد الدولة الحديثة، والتي توفيت ما بين 36 و 50 عاما. وقد تكبدت جروحا كثيرة في عظام الصدر وفي أماكن متفرقة من أضلاعها بفترة قصيرة قبل الوفاة. إن انتقال العظام نحو حواف الكسور يشير إلى أنهم لم يتم شفاؤهم بالشكل



الكامل في الوقت الذي واتها فيها المنية. وذلك بدوره يمكن أن يفترض أن وفاتها كانت – حتى ولو بشكل جزئي – مرتبطة بعدة جروح في الجزء العلوي من الجسم، والذي كان له تأثير كبير على رئتيها وعدة أعضاء داخلية أخرى. ورغم تعدد أماكن إصابتها فإن تلك المرأة استطاعت أن تحيا على الأقل أسبوعين أو ثلاثة قبل وفاتها، الأمر الذي قد يفترض وجود نوع من الرعاية التي قُدِّمَت لها داخل المجتمع الذي كانت تعيش فيه. هذا إلى جانب وجود مؤشرات تؤكد الإصابة بداءِ المفاصلِ التنكُّسيَّة، إحدى المؤشرات التي تنتج عن الإجهاد البدني في العمل. فذلك البرهان يفترض أن ذلك المجتمع الذي يعمل أغلب أفراده في الزراعة كان يصارع مخاطر يومية تتعلق بقدرته على مواصلة الحياة في بيئة تفرض عليه الكثير من التحديات.



قلادة من خرز القاشانى وحجر العقيق الاحمر تم العثور عليها أثناء الحفريات فى المنزل رقم **E13.6**.

المواد المتوافرة محليا في المدينة كانت جزءًا من أساليب التزيين الشخصية، تم استعمالها لجعل مرتديها من الرجال والنساء والأطفال يشعرون بالتميز والبهجة. وفي بعض الأحيان كانوا يظهرون شعارات أو علامات تتعلق بالوسائل السحرية التي استعملها سكان المدينة لمواجهة المخاطر اليومية وتجنب سوء الحظ. فعلى سبيل المثال، كانت تحدث هجمات من الحيوانات مثل التماسيح والثعابين والعقارب وأسراب الذباب الأسود (نيميتي) ومازالت تحدث حتى الآن في المنطقة. وكانت الأمراض تعدُّ تهديدًا خطيرًا ومستمرًا قبل اكتشاف المضادات الحيوية. الخصوبة وحماية الأطفال واستمرار نسل العائلة، كل ذلك كان من الاهتمامات الشائعة بين السكان، في عالم كانت معدلات وفيات الأطفال كبيرة فيه. المعبود بس – الذي عادة ما يجمع شكله ما بين الأسد والقزم الصغير – كان يعتبر بشكل خاص حاميًا للأطفال، وكان معروفًا في المدينة ويمكن الاستدلال على وجوده من إحدى القلائد التي تم العثور عليها في عمارة غرب. وقد تم العثور أيضا على تماثيل صغيرة مصنوعة باليد من الطين تمثل نساء عاريات (في بعض الأحيان نجد نماذج شديدة البراعة) والتي يمكن أن يكون قد تم استعمالها في طقوس تتعلق بالخصوبة (انظر وللمزيد صـ 64–65).

مصادر التهديد لم تكن فقط تلك المنتمية للعالم المحسوس حولهم؛ فقد اعتقد المصريون في عالم غني من الوسائط الروحانية التي يمكن لها أن تجلب النفع على الأحياء، ولكنها أيضا قد تتسبب في الأذى إذا ما أُسيئ استعمالها. ومن بين تلك المصادر "المتوفى الساخط". ذلك التمثال النصفي الذي يمثل أحد الأسلاف، والذي عثر عليه في منزل (E13.3-S) والذي كان يتم عدُّه مركزَ اهتمامٍ من قبل مريديه، متقبِّلًا منهم القرابين من طعام وشراب، وربما أيضا الصلوات. يَفترض المكان الذي تم العثور عليه فيه عند نهاية المنزل أن مريدي هذا التمثال كانوا من العائلة نفسها، ولم يتم مشاركته بشكل واسع مع زائرين خارج نطاق العائلة التي سكنت المنزل. فربما شكلت عملية تذكر أعضاء العائلة أمرا مهما في هذه المدينة، بشكل خاص للمصريين الذين كانوا يعيشون بعيدا عن أوطانهم، في حين ان عملية إرضاء السلف كانت تقوم بالمساعدة على التأكد من أنهم رحلوا عن هذا العالم في أمان وسلام. ولكن بمرور الزمن انقطع مريدوه عن تقديم فروض الولاء، وتم إلقاء التمثال خلف جدار مسدود. فهل كانت العائلة تفقد شيئا فشيئا تلك الروابط العائلية القديمة؟

الحياة النوبية، والحياة المصرية.

وجهات نظر عن العالم

كيف كان يبدو التعقيد الثقافي في مدينة عمارة غرب؟ من الشكل الظاهري في العمائر الخاصة بها، يبدو أن المدينة قد خلَّفت بصمة ثقافية، تبدو تماما كأنها مصرية في أغلبها، مثل استعمال الجدران السميكة المصنوعة من طوب الطين والتصميمات الداخلية والخارجية للمنازل. إحدى الأمثلة الاستثنائية النادرة ذلك المنزل ذو التخطيط البيضاوي الذي يعد معروفا ومألوفا في التقاليد المعمارية النوبية أكثر من نظيرتها المصرية (انظر للمزيد صـ 40).

وعندما ننظر بشكل أكثر دقة للموقع والأدوات التي قام باستعمالها السكان خلال حياتهم اليومية داخل المنزل، نكتشف صورة أكثر تعقيدا من التفاعل الثقافي؛ فمن بين تلك الأواني المحروقة من الخارج التي تم استعمالها كأوعية للطهي نجد ان عدد كبير منها قد تم صناعته على الطراز النوبي، وقد تزايد وجود هذه الأوعية النوبية مع مرور الزمن (انظر للمزيد صـ 62–63). فهل كان النوبيون يتفاعلون مع هذه المدينة باعتبارهم صناع أوانٍ فخارية أو حتى قائمين على أمور الطهي؟ وهل يمكن أن يشير هذا إلى وجود طرق وأساليب نوبية في تحضير الطعام اتبعها المصريون داخل المدينة؟

يظهر التفاعل الثقافي بشكل أكثر واقعية في مجموعة المدافن التي عثر عليها في الجبانات الخاصة بالمدينة (انظر للمزيد صـ 74–75). من الصعب أن نستدل من بقايا الهيكل العظمي على ما إذا كان هذا الشخص مصريًّا أو نوبيًّا أو من أصول مختلطة، ولكن الواضح أن مقابر الأفراد عادة ما كانت تجمع بين عناصر كلٍّ من التقاليد الجنائزية المصرية (مثل الأهرامات والتوابيت التي تحاكي جسد المتوفى) والتقاليد الجنائزية النوبية (مثل الوضع المنحني لجسم المتوفى والدفن فوق سرير) ووُجِد مثل هذا الدمج بشكل قوي في الفترات التي تلت اتخاذ المدينة مكانا للسكن؛ فعلى ما يبدو أن السكان قد اختزلوا أقوى الرموز التي يمكن أن تعبر عن شخصياتهم – غير مبالين بكم التعقيدات الثقافية – من أجل طقوس الوفاة الخاصة بهم.

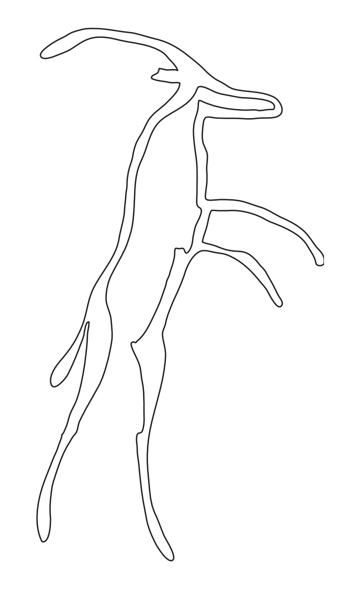
أحد الأواني النوبية المخصصة للطهي من منزل رقم D12.5.

ففي حقيقة الأمر، نحن نحاول جاهدين توضيح كيف رأى سكان مدينة عمارة غرب العالَم حولهم. الكثير منهم كانوا لابد من أنهم قضوا كامل حياتهم على تلك الجزيرة الصغيرة، وكانوا على علم بالعالم الذي يقع ما وراء جزيرتهم من خلال البضائع والسلع التي كانت تأتيهم، ومن المراسلات المصرية على أوراق البردي او قطع الفخار(الأوستراكا)، وأيضا من خلال الزائرين، سواء أكانوا موظفين مصريين، أو جنود رحالة، أو تجار، أو مجموعات من بدو الصحارى. فما نوع المعتقدات التي غلفت عالمهم؟ على سبيل المثال، فجماعة مثل جماعة المعبد كان لابد من أن لديها نزعة قوية تجاه الثقافة الدينية المصرية، والتي انعكست بدورها على ممتلكات تلك الجماعة من لوحات وتماثيل داخل المنازل، فمن الواضح أنها كانت جزء من المكونات الثقافية المصرية الدينية السائدة. كما يوجد برهان قوي على ان قاطني المدينة لم يكونوا بمعزل عن تلك المؤثرات المصرية التي شكلت وجدان المصريين داخل القطر المصري، وهو ما تم تأكيده باكتشاف منسوخات من القصيدة المصرية، تعاليم الملك أمون أم حات (انظر للمزيد صـ 18).



فقد تركت قنوات الاتصال الثقافية المصرية (كالفن، وجماعة المعبد، والكتابات) طابعًا ماديًّا ملموسًا بقوة، والتي عادة ما كان يتم التعامل معها في المدينة على كونها أعلى درجات المثالية. وفي المقابل، فإن اللغة النوبية لم تكن تُكتب في هذا الوقت، وربما كان يتم التعبير عن الرؤى المحلية للعالم بشكل مختلف تماما، فعلى سبيل المثال، من خلال التقليد الشفاهي أو الرقص أو الملابس أو أسلوب تصفيف الشعر. تلك الأساليب التي لا يستطيع علم الآثار تعقبها بسبب ندرة ما وصل إلينا منها. ومع ذلك فقد عثرنا على دلاية مصنوعة بدقة من العظام، قدمت لنا نظرة عن أساليب التزيين الشخصية النوبية، كما يمكن للاشكال الرمزية التي نقشت على سطوح الأواني تقديم لمحات عن الثقافات الفنية المحلية المتبقية لنا؛ فقد تم توضيح هذه العلامات بشكل أكثر تفصيلا من نظيرتها المصرية، وهو ما يمكننا اعتباره مساهمةً محليةً في ترويج السلع، وأيضا كاستحسان وقبول لتلك التعبيرات الثقافية النوبية في حد ذاتها. ومن بين تلك التماثيل الصغيرة الأنثوية وُجِدت عدة نماذج تشير تفاصيل صناعتها إلى نموذج لم يتم التعرف عليه من قبل في المواقع المصرية، ربما تكون تماثيل نوبية، ويمكن اعتبارها أعمالا فنية معقدة صغيرة الحجم أكثر من مجرد أشكال مبسطة من نماذج الفن المصري (انظر للمزيد صـ 64–65).

لقد تم إنشاء مدينة عمارة غرب بلا شك لكي تعكس الاهتمامات المصرية في النوبة، ولكن حياة الأفراد عادة ما لا تتبع أي قواعد. فتطور العلاقات بين الأشخاص والسكان الأصليين ربما كان في حاجة إلى أدوات وحلول عملية، وبالطبع كل منهم كان لديهم ميل نحو الأشياء الجميلة والمتطورة التي بدورها غيَّرت الأفكار السائدة لدى أصحابها الأصليين. البعض منهم فضل أن تتم عملية دفن جثمانه في النموذج النوبي، ولكنه أخذ معه في القبر تمائم مصرية تخص المعبود بس المصري. وربما لقت الثقافة المعرفية المحلية الخاصة بأساليب الولادة والخصوبة استحسانا من المصريين.



منظر لغزال أو تيتل منقوش على إحدى أواني التخزين الكبيرة المصنوعة من الفخار.

اليمين
دلاية (بروش) تعلق على الصدر، وقد تم صنعها بعناية بالغة، ربما ليتم وضعها على أحدى قطع الملابس للتزيين.



صنع واستغلال الفخار

آنا جارنت

تعُد آلاف القطع الفخارية الصغيرة التي نقوم بدراستها كل عام هي ما تبقى لنا من الأواني التي كان يتم استخدامها بواسطة قاطني المدينة لتخزين أو لنقل السلع الخاصة بهم، ولكن أيضا كانت تستعمل في تقديم وتناول الطعام والشراب. فهي تقابل لدينا الآن الأواني المصنوعة من الألمنيوم والأكواب الزجاجية والصناديق البلاستيكية.

من هم صناع ذلك الفخار؟ لقد تم العثور على فرن دائري الشكل تحت المنزل (E13.8) والذي كان بدوره يتم استعماله في صناعة الأواني الصغيرة؛ وهو عمل شاق ينبعث منه الكثير من الدخان. وقد تم تصوير الذين يقومون بمثل هذا النوع من العمل في النص الأدبي المصري الشهير «هجاء المهن» « بشكل كاريكاتيري غير مُستحَب فيصفونة بانة أكثر وحلا في الطين من ذلك الخنزير المدفون تحت أرضه، ملابسه متصلبة كقطع الحجر، وعصابة رأسه ممزقة، والهواء الذي يدخل أنفه يأتي مباشرة من الفرن الخاص به»

ربما تم إنتاج معظم الأواني التي تم العثور عليها في عمارة غرب نفسها أو تم استيرادها من مصر، مقتبسين في ذلك الأشكال الفنية التي كانت شائعة في مصر حينذاك. سواء أكانت مصنوعة من الطين الذي يتم جمعه من على ضفتي النهر أو من طفلة الطين الموجودة بالصحراء. هذه الأشكال المصرية كانت تتم صناعتها باستخدام عجلة الفخراني. على العكس، من (النوبية) المحلية التي كان يتم تشكيلها بواسطة اليدين. وكانت معظمها أنية كبيرة للطهي، وبجانب ذلك كانت هناك أيضا أنية تم صنعها بدرجة عالية من الإتقان والجودة. وقد طورت أساليب مهجنة أو مختلطة؛ فقد وجدنا أواني ذات شكل مصري ولكنها مصنوعة باليدين وليست باستخدام العجلة. فهل تم صناعتها بواسطة نوبيين؟

إن دراسة مثل تلك الأجزاء الفخارية، وأين تم العثور عليها، يمكن أن تقدم رؤى فيما يتعلق بكيف تم استغلال المساحات على مر الزمان، وكيف تغيَّر ذلك. فعلى سبيل المثال، تؤكد قطع الفخار الصغيرة التي كانت جزءًا من أواني الطهي وصواني الخبز على وجود أماكن لإنتاج الطعام، وبخاصة عندما يتم العثور عليها في أماكن الأفران ومواضع الطحن. فقد كان يتم وضع الأواني الكبيرة داخل حُفَر في أرضية المنزل لتخزين الطعام أو للحفاظ على الأشياء الثمينة (انظر للمزيد صـ 60). ويمكن تمييز مخلفات أحواض الأفران ذات الكثافة العالية بسهولة من بين مخلفات القمامة، ويمكن لها أن تكشف لنا كمًّا كبيرًا من المعلومات حول المدى الزمني الذي يمكن أن يتم استعمال تلك الأنية الفخارية بمرور الوقت، حتى وإن لم نستطع أن نجزم في أي غرفة أو منزل كان يتم استخدام تلك الاواني. كما تم تصنيع بعض الفخار خصيصًا من أجل أغراض الدفن، لكي يضمن للمتوفى وجود إمدادات سرمدية من الطعام والشراب بجانبه.





على الرغم من كونه نادرًا نسبيا، فقد عثرنا على فخار تم صناعته من الطين والذي أمكن أن يتم التحقق من مصدره (بواسطة التحليل الماكروسكوبي والميكروسكوبي) من الواحات المصرية أو بلاد الشام. كما تم العثور على مجموعة من الأنيات الأغريقية التصميم ذات اليدين مع الفوهة في خرائب المدينة، ومن المرجح أنه قد تم استخدامها لتخزين زيوت أو دهون فاخرة. وقد أوضح تحليل النشاط النيوترونى الذي يستخدم في قياس العناصر الموجودة في الخامة الأولية لتلك الأوعية= أن تلك الأواني قد تمت صناعتها في قبرص والأراضي اليونانية، وأنها ليست مجرد محاكاة تم إنتاجها في مصر. تلك الإكتشافات الصغيرة يمكن أن تساعدنا على كشف إحدى القصص المعقدة عن شبكات التجارة والمؤن، مؤكدة بذلك على أن مدينة عمارة غرب لم تكن بعيدة بالقدر الذي يتم عزلها عن البلاد المحيطة بها، بل كانت تتبادل تجارة المواد و«الأفكار» مع أجزاء مختلفة من وادي النيل، وحتى مع الجزء الشرقي من البحر المتوسط.

العائلة ومعدلات الخصوبة والتماثيل الصغيرة

آنا ستيفنز

كانت الحياة على امتداد نهر النيل صعبة وبشكل خاص للأطفال في العمر الصغير. لذلك شكلت أمراض الطفولة والأمراض المعدية والحوادث تهديدًا حقيقيًا في مدينة مثل عمارة غرب. حوالي 33% من الأفراد في عمارة غرب ماتوا قبل أن يتموا السادسة من عمرهم خلال القرنين التاسع والعاشر قبل الميلاد؛ (فقد تم العثور على دفنات قليلة لشبه البالغين والمؤرخة بالدولة الحديثة). وبالطبع يعدُّ وقت الولادة مليئًا بالأخطار للأمهات أيضا.

لقد خلَّف إلينا المصريون القدماء الكثير من النصوص الطبية والسحرية التي تخبرنا عن المسائل التي كانت تقلقهم فيما يتعلق بصحة الأم والطفل؛ فقد وُجِدت تعاويذ تساعد في عملية الحمل ومنع الإجهاض وتحفيز الولادة، وبعض منها كان يتوقع وفاة الوليد أو حياته. وقد كانت تلك التعاويذ المستخدمة في حماية المواليد والأطفال شائعة الاستعمال، فعالم الأحياء كان غنيًا بصور عديدة من المعبودات المقدسة الخاصة بالحماية، هذا بخلاف المواد المستعملة في طقوس حماية الأطفال والولادة والخصوبة. وكانت من بين الأكثر شيوعا تلك التماثيل الصغيرة التي تصور أنثى عارية، فقد تم العثور على أكثر من 30 تمثال بين منازل عمارة غرب، معظمها اتخذ شكل قِطَع حجرية مستطيلة مسطحة الشكل، مصنوعة يدويا من الطين، وكان يتم تعليم أو إبراز أو حتى لصق أشكال مصغرة من مثلث الفرج والثديين وسُرَّة البطن على تلك التماثيل. وفي بعض الأحيان كان يتم عمل نماذج من الرأس يحيط بها مجموعة من الحلي على شكل خطوط أو نقاط محفورة، وبعض التصميمات وضع عليها وشم أو خدوش محفورة في الطين المحروق. لم يكن عادة يتم إظهار الأطراف، فالتأكيد هنا كان ينصب أكثر على الجوانب التي تشير إلى جنس التمثال. ونفترض أن مثل هذه التماثيل كان يتم استغلالها في الطقوس المرتبطة بالأمور الخاصة بالخصوبة وربما كانت بمثابة أحجبة تساعد في الحمل.

تستوقف هذه الأشكال المصنوعة من قطع حجرية صغيرة النظر لما يتعلق بكيفية تشكيل صورة الأنثى



بشكل مختلف جدا عن أسلوب تجسيد المرأة في الفن المصري التقليدي؛ فربما كانت هذه التماثيل تعكس أحد التقاليد الشعبية. وبرغم من البساطة التي قد تبدو في مظهرها الخارجي فربما كان يتم استعمالها كنظير يحمل الكثير من القدرات الهائلة؛ فقد كان الطين يمثِّل لدى المصريين القدماء إحدى المواد التي ترمز للحياة وبداية الخلق والخصوبة. كانت المجتمعات المصرية معروفة بكونها ضمت مزاولين لمثل تلك الطقوس السحرية مثل العرافين وصناع التمائم. فهل تواجدوا في مدينة بعيدة مثل عمارة غرب؟ أو كان سكان المدينة يعتمدون بشكل كبير على الخبرات المعرفية المتوارثة من عائلاتهم؟

كما تواجدت بعض التماثيل في مدينة عمارة غرب والتي تميزت بكثرة التفاصيل؛ فقد تم تصميمها لتحوي تفاصيل من كل زاوية للرؤية، والقدمان تم ضمهما لبعضهما البعض في وضع شبه الجالس. مع ملاحظة كبرحجم الفخذين والردفين. كما تم العثور على أحد التماثيل الذي تم نحته بدقة بالغة وتم طلاؤه باللون الأحمر في حين تم طلاء مثلث الفرج باللون الأسود المنقط. كما تم تعليم مكان سُرَّة البطن، والفراغ في الطلاء يشير بوضوح إلى أماكن الثديين التي كانت يوما ما موجودة على التمثال. تبدو هيئة التمثال وكأنها – إلى حد ما – مصرية، ولكنها تذكرنا بذلك التقليد القديم في صناعة واستعمال التماثيل الأنثوية الصغيرة في النوبة.

كان يتم استعمال تلك التماثيل الأنثوية في مدينة عمارة غرب كأدوات تُمكِّن السكان من المحاربة ضد الأخطار التي كانت تحيط بهم؛ فهي بذلك تعكس أسلوب تناول مسألة الصحة الشخصية بشكل مغاير لعالم اليوم، ولكن في الوقت نفسه تعدُّ تذكرة مثيرة للعواطف والشجن لما يتعلق بمسألة تكوين العائلة والحفاظ على الأطفال من كل مكروه، وهو أمر شائع، ويشملنا كلنا كسلوك بشري عام.



مرض السرطان في المدينة القديمة

ميكالا بيندر

في عام 2013، تم العثور على هيكل عظمي لرجل شاب من المقبرة 244 في مدينة عمارة غرب (انظر للمزيد صـ 82–83). فقد كشفت التحاليل أن هذا الرجل قد توفى إثْرَ إصابته بمرض السرطان، ويعتبر هيكله العظمي أقدم هيكل عظمي كامل يحمل برهانًا على وجود هذا النوع من مرض السرطان في العالم.

يعدُّ مرض السرطان الآن ثاني الأسباب الرئيسية في الوفاة على المستوى العالمي، ولكن تم التعرف على نماذج قليلة جدا من حاملي مرض السرطان في العصور القديمة. ومن المعروف أن الكثير من أنواع مرض السرطان مرتبطة بشكل أو بأخر بالأحوال المعيشية الحديثة، وبشكل خاص التدخين والتلوث البيئي. مثل تلك البواعث لم يكن لها تأثير في الماضي للدرجة التي تتواجد بها الآن في مجتمعاتنا. ومن المعروف أيضا أن مرض السرطان عادة ما يعتبر أحد الأمراض التي تصيب الفئات الأكثر تقدما في العمر، وما نعرفه عن المعدل المنخفض لسنوات الحياة في العالم القديم يرجع إلى الأمراض المعدية وأمراض سوء التغذية لكن ثمة عدد قليل من الأفراد كانوا يعيشون طويلا بالقدر الكافي لتطوير مرض السرطان في أجسامهم. وأخيرا، يعدُّ تشخيص مرض السرطان في الجثامين البشرية الآثارية شديد الصعوبة؛ وذلك لأن هذا المرض عادة ما يصيب الأنسجة الرخوة والتي نادرا ما تبقى عبر الزمان.

توفي ذلك الرجل الشاب من مدينة عمارة غرب (Sk-8 244) ما بين عمر 25 و 35، وتم دفنه بجانب آخرين – ربما كانوا من أفراد عائلته – في مقبرة تحتوي على غرفة دفن كبيرة (G244) في الجبانة (C). تم وضع الجثمان في تابوت مزخرف من الخشب، وتم وضع حجر الجعران ذو التصميم المصري في يديه. من الملاحظ أن عظام الجزء العلوي من الجسد مليئة بعدد هائل من الثقوب، يبلغ قطرها حوالي 5-25 مليميتر. وباستخدام الأشعة المقطعية أمكن رؤية عدد أكبر من الثقوب تحت السطح. هذه الثقوب كانت نتاج مرض السرطان الذي انتشر من ورم خبيث بالمعدة في الأنسجة الرخوة. ولم يكن في استطاعتنا تحديد مكان الورم الخبيث سواء كان في الرئة أو الصدر أو المعدة أو أي عضو أخر، ولكن البيئة الحياتية الخاصة بذلك الشاب يمكن أن تعطينا بعض اللمحات عن تلك الأسباب التي تقف خلف إصابته بهذا المرض. البلهارسيا التي تعد أحد الأمراض الطفيلية التي كانت ومازالت تعد إحدى أكبر المشاكل الصحية في وادي النيل= يمكن أن تسبب سرطان الصدر للرجال. الدخان الناتج عن حرق الأخشاب داخل المنازل يمكن أيضا أن يكون ذا تأثير سلبي على الصحة وبشكل قد يقود إلى الإصابة بمرض سرطان الرئة. وفي مدينة عمارة غرب، احتوت كثير من المنازل على أفران للخبز تم وضعها في غرف مسقوفة، والتي بدورها كانت تمتلئ بسرعة بالدخان، معرضة سكان المنزل بشكل كبير ومحتمل لمركَّبات خطرة ومؤذية للصحة.

يعتبر تفهُّم تاريخ وتطور مرض السرطان والبواعث التي تقف خلف الإصابة به في الفترة التي عادة ما نعتبرها فترة ما قبل الحداثة فيما يتعلق بوسائل معيشتنا، من الأهمية بمكان ليس فقط بالنسبة لدارسي علم الآثار ولكن للقائمين على الأبحاث الطبية أيضا. فالهياكل العظمية الخاصة بالجثامين البشرية، والتي يمكن توثيقها تاريخيا وآثاريا جيدا، ويمكن التعرف على البيئة المحيطة بها، تعدُّ عنصرًا رئيسيًّا في فهمنا لكيفية تطور هذا المرض على مر الزمان. وربما يعد هذا الأمر جوهريا في المستقبل لتطوير إستراتيجيات بحثية جديدة وأدوات أكثر تطورا للعلاج من أجل أن يتم محاصرة ما أصبح اليوم أكثر الأمراض المسببة للوفاة في عالم اليوم.

على الشمال
عقد من حجارة العقيق والقاشانى وبيض النعام وجد داخل أحد المقابر.





الاعداد للخلود

ميكالا بيندر



الصفحة السابقة
الحفريات التي جرت في أحد غرف الدفن الخاصة بالمقبرة G244.

عادة ما تعتبر الطريقة التي نتعامل بها مع موتانا أحد التعبيرات الرئيسية التي تميز ثقافة السلوك البشري، ولها جذور عميقة في المفاهيم الروحانية والمعتقدات الدينية. الموقع الخاص بعمارة المقبرة وتخطيطها، ونماذج التجهيزات الجنائزية، وتجهيز جسد المتوفى ومعالجته. كل مثل تلك الأمور يتم تقريرها وفقا لعدة عوامل: الهوية القومية، والحالة الاجتماعية، والعمر، والجنس، والنظام والمُعتقِدات الدينية. ويبدو أن الاعتناء بالموتى واعتباره أمرا بالغ الأهمية كان من أهم سمات كلا الثقافتين النوبية والمصرية. وهو ما يتضح جليا في تلك المقابر الأنيقة المزخرفة، والآثار الجنائزية، وأساليب التحنيط، والمعابد التي أُقيمت على امتداد وادي النيل.

مثل تلك الأمور التي تتناول معتقدات الحياة بعد الموت، والطقوس التفصيلية التي تضمن البعث والسعادة للمتوفى= قد تم توثيقها في المصادر الآثارية والنصية والرسومات الخاصة بمصر القديمة بشكل تفصيلي. وفي المقابل، لم تخلِّف لنا النوبة أي مصادر مكتوبة توضح معتقداتهم الجنائزية؛ ولذا فيجب أن نعتمد على البراهين الآثارية، كمحتويات المقبرة، والتعامل مع جسد المتوفى والتجهيزات الجنائزية الخاصة بالمقبرة.

جبانات مدينة عمارة غرب

تم الكشف عن ستين قبرًا في الحفريات حتى الآن في مدينة عمارة غرب، والتي بدورها مازالت تقدم لنا رؤى هامة عن العالم الروحاني الخاص بسكان مدينة عمارة غرب، وبشكل خاص أسلوب معالجتهم وتقبلهم لفكرة الحياة بعد الموت. تعطي لنا هذه المقابر أيضا منظورًا إضافيًّا لما يتعلق بالتمازج الثقافي ما بين كلٍّ من مصر والنوبة. تم استغلال مكانين أساسين لدفن الموتى في المدينة: الجبانة (C) التي تقع في الجزء الشمالي الشرقي من المدينة، والجبانة (D) التي تقع في الجزء الشمالي الغربي. كلا الجبانتين تم اختيار موقعهما في الجزء الشمالي من إحدى القنوات النيلية القديمة، وعندما تفيض تلك القناة كانت تقوم بعمل حدود طبيعية ما بين الجبانة والمدينة. غير انه يجب أن نذكر أنفسنا أن مثل تلك الجبانات كانت بمثابة أماكن للمعيشة أيضا.



تسجيل الهياكل العظمية في غرفة الدفن الخاصة بأحد المقابر (G243) في الجبانة C.



الحفريات في الجبانة C.

وبخاصة خلال الفترة التي يتم تجهيز المقبرة وتحضير طقوس الدفن، وفي المناسبات المختلفة، والتي كان يتم وضع القرابين في المقبرة من قبل أعضاء عائلة المتوفى.

تقع الجبانة (D) على جُرُف صحراوي يطل على المدينة. وهي تشمل مساحة تبلغ حوالي 6.5 هيكتار، محددة ببروز صخري مرتفع يمتد إلى الشمال، وينحدر بشكل منجرف نحو القنوات النيلية التي تمتد من الجنوب والشرق. لم يكن قاطنو مدينة عمارة غرب أول من استغل الجُرُف لدفن موتاهم؛ حيث تم العثور على عدد قليل من المقابر التي ترجع إلى الفترة الوسيطة من حكم كرمة، والتي عادة ما تؤرخ بحوالي (2050–1750) قبل الميلاد. أما مقابر الدولة الحديثة فقد تم بناؤها بجوار تلك المقابر المبكرة، والتي كانت مازالت واضحة للعيان حينذاك. فهل كان اختيار هذا الموقع يعكس بشكل أو بآخر روابط نسب مع السكان النوبيين المحليين؟ أو هل كانت بمثابة ممارسة رمزية لكي يتم التعبير عن المالك الجديد لهذه المنطقة؟

تم إنشاء الجبانة الثانية (C) في محيط مختلف تماما، فهي تقع على إحدى المصاطب النهرية الغرينية المنخفضة. وتبلغ مساحتها حوالي 2.5 هيكتار، وقد تم تحديد الجبانة ببروز صحراوي يمتد إلى الشرق، عند أحد الأودية (الناتج عن قناة مائية جافة) ويمتد نحو الغرب إلى القناة النيلية في الجنوب. تم التعرف على 100 قبر باستخدام المسح الجيوفيزيائي، رغم أن المنطقة قد تأثرت بشكل سيئ بعوامل التعرية التي تسببها الرياح. فالمقابر التي تقع في نهاية الجزء الشمالي من الجبانة قد تآكلت لتصل إلى 0.80 تحت مستوى المسطح الحالي، رغم أن تصميمها يفترض أنها كانت في وقت من الأوقات تقع بشكل ملحوظ في مستوى أعمق من هذا. وفي نهاية الجزء الجنوبي، عند حدود الجبانة التي كانت تقع فيها تلك القناة النيلية الجافة، والتي كانت – بلا شك – يوما ما تجري بها المياه وتفيض = تم بناء بعض المقابر بالقرب منها، كما تم التأكد من أن بعض غرف الدفن قد تم غمرها وتحطمها من جراء الفيضانات الموسمية.

كلا الجبانتين قد تم استغلالهما في الوقت نفسه، منذ أقدم وقت من مراحل الاستقرار بالمدينة، حوالي 1300 قبل الميلاد، إلى ما بعد ذلك. والسبب الذي دفع قاطني المدينة إلى استعمال موقعين متفرقين معا في وقت واحد لدفن موتاهم لم يتم تفهمه بشكل كامل، ولكن يبدو أن الدوافع التي كانت تقف خلف

هـذا القرار تتعلـق بالطبقـة الاجتماعية أو التمييـز العرقي. ورغم ذلك فإن أغلبيـة المقابر فـي كلا الجبانتين يتم تأريخهم خلال القرون الثلاثة التي تلت نهاية الدولة الحديثة. فقد اسـتمرت حركة الدفن بشكل يبدو غير متغير في القرن العاشر والتاسع والثامن قبل الميلاد، تلك الحقبة الزمنية التي لم يتم العثور على أي من عمائرها حتى الآن في المدينة.

معابد مخصصة من أجل الموتى: عمارة المقابر في عمارة غرب

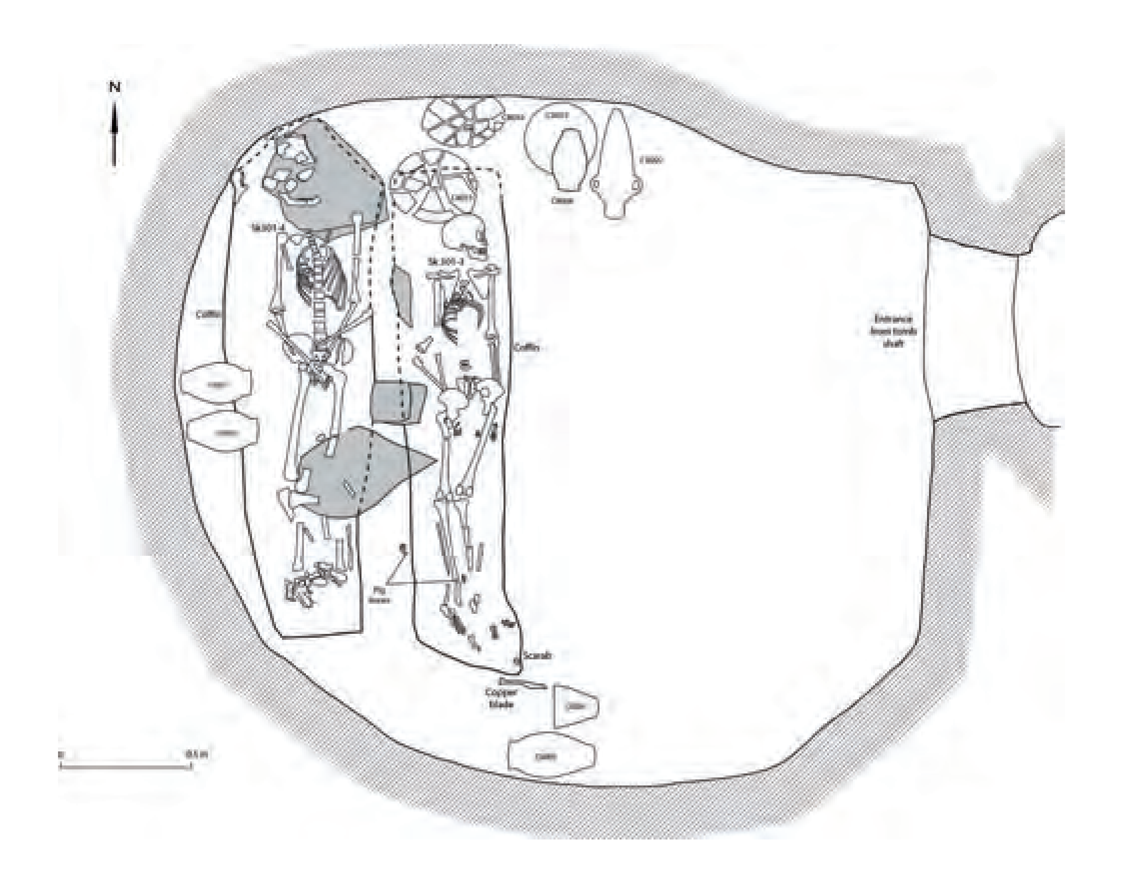
احتلـت المقبرة في المعتقد المصـري القديم دورا مركزيا، باعتبارهـا البيئة المحسوسـة أو المادية التي تؤهل للحيـاة في العالم الآخر. فهي لا توفر المكان الأخير لراحة المتوفى فقط، ولكنها أيضا تمثل المكان المناسـب للجماعة الدينية لممارسـة طقوسـهم لكي يضمنوا بها الحياة الأبدية للمتوفى. وبناء على ذلك، فإن أي مقبرة كان يتـم تصميمها، سـواء فيما يتعلق بشـكلها الخارجـي، أو تخطيطهـا الداخلي، أو الموقع الخـاص بها، كان يراعـى فيها تلـك الاعتبـارات الروحانية الدينيـة. هناك مكونان رئيسـيان عـادة ما يمكـن تمييزهما؛ همـا البنية التحتيـة المخصصة للدفـن، والبنية العلوية المتاحـة لجماعة المتوفى عند زيارته. تتنوع الأشـكال المعمارية الخاصة بتلـك العناصر بشـكل واضـح على مـدار التاريـخ المصري القديـم، ولكـن وفقـا للطبقـة الاجتماعية الخاصة بالمتوفـى أيضا؛ فقد حرص علية القوم على التعبير عن مكانتهم الاجتماعية باسـتخدام كل وسـائل البذخ والترف المتاحة لهم.

يمكـن اسـتيضاح مثل تلك التصميمات بشـكل كبيـر في مدينة عمـارة غرب من خلال ثلاثـة أمثلة من مقابـر علية القوم التي تقع في أحد التجمعات عند الجزء الغربي مـن الجبانة (D) (G112، G301، G309). أهم مميـزات تلك المقابر فيما يتعلـق بالعناصر المعمارية الخاصـة بها هو وجود تلك الغرفة الجنائزية مسـتطيلة الشـكل، والتـي تبلغ مسـاحتها حوالـي (12–15) متر مربـع، والتي تم بناؤها مـن قوالب الطـوب المصنوعة من الطين. وقد تم إلحاق منصة صغيرة في الجانب الغربي من النفق والتي قدمت بدورها قاعدة لبناء أحد الأهرامات الصغيرة، الذي تم تشييده باستخدام طوب مصنوع من الطين أو مادة أخرى. وقد تم العثور على بناء هرمي فوقي مشـابه للجبانات التي اتصلت بأماكن الاسـتقرار الخاصة بالمصريين في الدولة الحديثة في النوبة، مثل مقابر عنيبـة وصـاي وسيسـبي. يعكـس تجـاور تلـك الأبنيـة الهرمية العلوية مـدى قوة المعتقدات التي ترمز إلى الكـون والموروثة من المعتقدات المصريـة القديمـة، بمـا تحويه مـن غرفة دفن تتجـه فوهتهـا ناحية الشـمس المشـرقة من الشـرق (إعادة الميلاد الرمزي) وذلك الهرم الذي يقع فـي الغـرب والذي بـدوره يرمز إلـى الدخول إلى عالـم الموتى. وقـد تم العثور علـى العديد من أجزاء الأواني الفخارية موجودة على سـطح الأرض فـي الجانـب الشـرقي مـن هـذه الغرف، والتـي تؤكـد بدورهـا عمليـة تقديـم القرابيـن للمتوفـى من مريديه، ربما خلال طقوس عملية الدفن أو خـلال الزيارات المتعـددة للمتوفى من أعضاء عائلته.

وهنـاك نفـق رأسـي يقـود الداخـل من الصالـة الرئيسـية إلـى حجـرات الدفـن، والتي تبلغ أبعادها (2.2–2.4) متر تحت سطح الأرض.



غرفة الدفن الخاصة بالمقبرة G301 مع قاعدة أحد الأهرامات الصغيرة التي كانت تعلوها من الأمام.



خريطة غرفة الدفن الغربية في المقبرة رقم G301 والتي تحوي دفنة رجل وامرأة في توابيت.

ففي مقابر الجبانة (D) قام البناؤون بالحفر في أديم الأساس المصنوع من صخر الشست حتى المتر الأخير من النفق وصالات الدفن. وقد تم حفر فتحات صغيرة على جوانب النفق، والتي بدورها جعلت عملية التسلق صعودا ونزولا أمرا سهلا. كانت المداخل الخاصة بالصالات في الأصل مسدودة بملاط طيني وقوالب الطوب. ورغم ذلك فإن كل تلك الغرف تم اقتحامها بواسطة اللصوص المنقبين عن كنوز الموتى بعد فترة قصيرة من الدفن.

تقع غرفة الدفن الرئيسية في الجانب الغربي من النفق، وكان مدخلها يتجه نحو الشرق، مقابلا بذلك شروق الشمس من الشرق. اتخذت كل غرف دفن إما الشكل المستطيل او الشكل الدائري، وتغطي مساحة (5–6) متر مربع من مساحة الأرضية. وكان ارتفاعها يبلغ حوالي (80–100) سنتيمتر فقط. تم حفر غرف إضافية للدفن في الجانب الشرقي من النفق، غير أنه قد تم تقطيعها بشكل أقل عناية في صخر القاعدة. وتعتبر عملية تأريخ مثل هذه الغرف الجديدة أمرا صعبا؛ حيث تم نهبها تماما، وما تبقى لنا عبارة عن مجرد مواد متفرقة من أجزاء لأوانٍ فخارية مهشمة، والتي تفترض بدورها أنه قد تم إضافة هذه الغرف بعد نهاية الدولة الحديثة.

وقد تم استخدام شكل مختلف من أبنية الطوب الطيني في مقبرتين أخريين في الجبانة (D)، فقد احتوت على مبنى مستطيل ذي سقف مقوّس تم وضعه داخل النفق (G305، G101)، منشئا بذلك غرفة دفن إضافية في الأسفل مباشرة. وقد تم العثور على الغرف ذات السقف المقوس التي اتخذت هذا الشكل أيضا في جبانات معاصرة في المواقع المصرية الأخرى في النوبة، مثل تومبوس. ورغم ذلك فمازال غير واضح لنا إذا ما تم استعمالها فعليا للدفن أم لا! كان يتم تجهيز المقابر ذات غرف الدفن المطمورة أو الموجودة تحت سطح الأرض أيضا بمتاريس مدفونة مملوءة بغرين الطمي الناعم ومغطاة بأحجار الشست. تعدُّ تلك المتاريس

طقوس الدفن النوبية

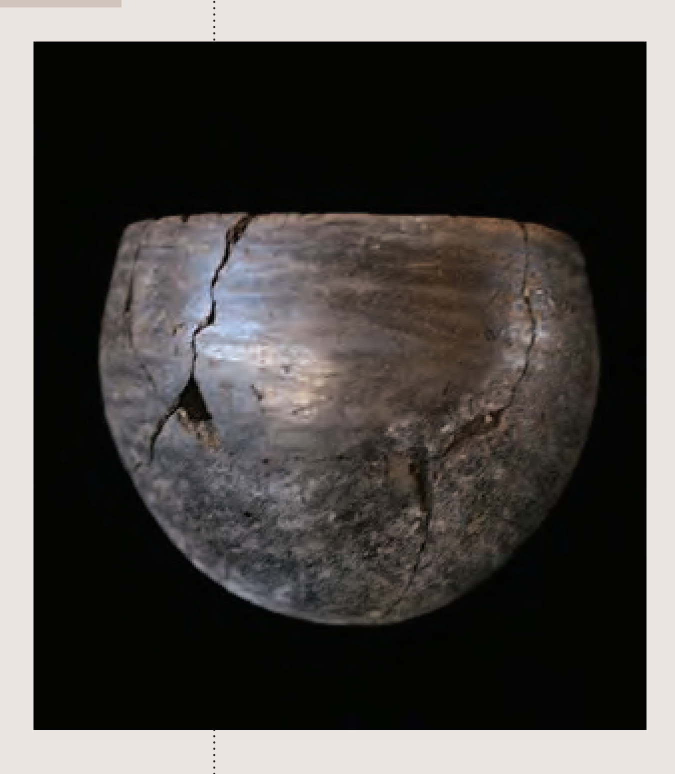
ميكالا بيندر

في الفترة التي تعود إلى ما قبل الاحتلال المصري للنوبة، اختلفت الطقوس الجنائزية المحلية بشكل واضح عن نظيرتها لدى جيرانها في الشمال؛ حيث تميزت المقابر بأسلوب الدفن على شكل (كومة ترابية)، وكان يتم دفن المتوفى في وضع مُنْحنٍ على جانبه، والبعض الآخر وضع جثة المتوفى على أسرَّة جنائزية ويتم لفها بجلود الحيوانات. وعادة ما كان يتم دفن النوبيين فرادى في حفرات بسيطة. ومع إعادة احتلال النوبة من الدولة الفرعونية مرة أخرى (حوالي 1500 قبل الميلاد)، بدأت الجبانات تُظهر العديد من الصفات المصرية، كغرف للدفن تحت الأرض تحوي دفنات لعائلات كاملة، وتصميم أهرامات علوية لكي تميز مقابر علية القوم، ووضع الأجساد في وضع التمدد بداخل توابيت خشبية مزخرفة.

تعكس المقابر في عمارة غرب ذلك الاتجاه العام، بشكل لا يثير الدهشة؛ حيث وقعت هذه المنطقة تحت السيطرة السياسية المصرية لأكثر من 200 عام قبل أن يتم تأسيس مدينة عمارة غرب. وقد أصبح العديد من عناصر الثقافة المصرية الجنائزية متأصلًا بشكل عميق في الثقافة المحلية. وبرغم ذلك فإن بعض الشواهد القادمة من الجبانات تؤكد بقاء الطقوس والعادات النوبية جنبا إلى جنب مع مفردات الثقافة المصرية المهيمنة.

ومع استثناء (G244) (انظر للمزيد صـ 82–83)، فإن المقابر التي يتم تأريخها بالفترة التي تعاصر الاحتلال الأول للمدينة تبدو مصرية الطابع بشكل خالص. وقد أصبحت العناصر النوبية أكثر شيوعا عند نهاية الدولة الحديثة؛ فقد عثر على ثلاث غرف للدفن في الجبانة (D) تتميز بوجود «كوم ترابي» منخفض، كما بدأ السكان في استعمال الأسرة الجنائزية جنبا إلى جنب مع التوابيت ذات الطراز المصري في عدة مقابر في كل من الجبانتين (C) و (D). وقد أصبحت هذه الأسرَّة أكثر العناصر الجنائزية النوبية شعبيةً في الفترة الوسيطة من تاريخ كرمة (2050–1750 قبل الميلاد). وبمرور الوقت فصاعدا يبدو أن ذلك السرير الجنائزي الذي يمثل النوبة القديمة مازال مستعملا بشكل كبير





في السودان حتى الآن تحت اسم «عنقريب». تلك الأسرَّة تعكس الحقيقة التي تحمل جذورًا عميقة في الفكر الديني النوبي، والتي ترمز إلى الموت على أنه شكل من أشكال النوم العميق. تتضمن الأجزاء التي تم جمعهامن مدينة عمارة غرب أطراف السرير، وأرجل السرير، وعوارض خشبية جانبية، بعض منها كان ما يزال يحتوي على أربطة الدفن.

وفي مقبرتين، تم وضع أجساد الأفراد في وضع الدفن المنحني او «المقرفص». هذه الممارسة الجنائزية يمكن تتبعها في فترات ما قبل التاريخ في النوبة واستمرت كأحد الأوضاع المفضلة للدفن خلال كل فترات ثقافة كرمة. فقد تم العثور على تلك الدفنات المقرقصة لامرأتين وطفل جنبا إلى جنب مع الوضع المتمدد للجسد في غرف الدفن. ويمكن أن يرجع ذلك إلى اختيار الفرد ذاته، أو كونه تزاوج ما بين العادات النوبية والمصرية. وفي حين تعدُّ أواني الطهي النوبية هي الشائعة في المدينة، إلا أن الفخار المصنوع وفقا للتقاليد النوبية يعدُّ نادر الوجود في الجبانات، رغم العثور على إناء جميل مصنوع باليد تم وضعه داخل إحدى كوات الدفن الخاصة بطفل في الجبانة (C).

وبسبب عمليات النهب وإعادة الاستعمال فإن الصورة التي نكتسبها من المفردات الثقافية القادمة إلينا من جبانات مدينة عمارة غرب تعدُّ على الأرجح ناقصة. وبسبب أن العديد من الأجساد قد تم تدميرها، فمن المحتمل أن يكون تعداد الدفنات المنحنية أكثر بكثير من نظيرتها المصرية. هذا إلى جانب أن كثيرًا من المواد التي تعدُّ جزءا من الطقوس الجنائزية النوبية تم صنعها من مواد عضوية سريعة التلف والتي بدورها لم تستطع الصمود أمام الزمن لتبقى لنا. ومع ذلك، فإن المقابر توضح لنا رغم أن الطقوس الجنائزية النوبية قد تم استبعادها لفترة ما داخل بعض أجزاء المجتمع، إلا أنها عادت بقوة مرة أخرى بعد نهاية الدولة الحديثة، وهو يعد نتاج توليفة مُهَجّنة فريدة من مفردات ثقافية لها جذور في كلٍّ من النوبة ومصر.

المدفونة – التي تسمى تومولي – أحد أهم تقاليد طقوس الدفن المحلية، والتي تم استعمالها خلال معظم الفترات الخاصة بتاريخ النوبة القديم. كما يعدُّ الجمع بين غرف الدفن ذات التصميم المصري مع عناصر المقبرة النوبية من أهم الأمثلة التي تؤكد التفاعل الثقافي الذي حدث في مدينة عمارة غرب (انظر للمزيد صـ 82–83).

غير أن معظم المقابر التي وُجِدَت في مدينة عمارة غرب كانت ذات غرف دفن بسيطة التخطيط، ولم تتبقَ لنا بنيتها العلوية. ويعدُّ إبراز غرفة أو غرفتين للدفن على الجانب الشرقي أو الغربي من النفق هو النسق المفضل في بناء تلك المقابر، ذلك النسق الذي استمر جيدا خلال القرن العاشر والتاسع قبل الميلاد، وبشكل خاص في الجبانة (C). تفترض الاختلافات الخاصة بكل من التجهيزات التي تم دفنها مع المتوفى والتي تشير ايضا الى تعداد الأفراد الذين تم وضعهم والمواقع الخاصة بالمقابر= أن هذه المقابر لم تكن مخصصة لعلية القوم. فقد تم استخدام غرف الدفن في المقابر بشكل اعتيادي لأكثر من فرد، ربما كانوا ينتمون لنفس العائلة، ولكن مع ذلك يبدو ملحوظا أن بعض تلك المقابر الأبسط تخطيطا قد احتوت على عدد كبير جدا من الأفراد، قد تم دفن 37 فردًا بالغًا وطفل في أحد الغرف.

وفي أحد الأوقات خلال القرنين العاشر والتاسع قبل الميلاد لم يعد استعمال غرف الدفن بالشيء المفضل، وتم طرح نوع آخر من المقابر صغيرة الحجم. وأصبحت الدفنات توضع في مِشْكاوات صغيرة محفورة في أحد جوانب النفق الرأسي. وفي أغلب الحالات تلك المشكاوات كان يتم استعمالها لدفنة واحدة، ولكن هناك عدد قليل منها احتوت على بقايا جسدين أو ثلاثة مدفونين مع بعضهم البعض. ويعدُّ السبب الذي يقع خلف تغيير عمارة المقبرة غير معروف؛ فالمواد التي تم وضعها في تلك المقابر كانت مشابهة لتلك التي وضعت في المقابر الأقدم والتي استخدمت بمثابة غرف للدفن.



بقايا غطاء تابوت ملوَّن مصوَّر عليه إحدى السيدات ترتدي قرطان بلون اصفر، تم العثور عليها في غرف الدفن الغربية تحت محراب الهرم الصغير الخاص بالمقبرة (G309).

صناديق مخصصة للموتى

كان وضع الجسد المتوفى وتحضيره وتثبيته من أهم مظاهر الطقوس الجنائزية في مصر القديمة، وتم تخطيط كل تلك الطقوس حتى يتم التأكد من عملية البعث في حياة النعيم الأبدية. إن عمليات النهب الواسعة في الماضي البعيد والقريب (وربما في الحاضر أيضا)، بجانب استغلال المقابر للدفن بإسراف لأكثر من عدة أجيال متتابعة = جعلت من تحليل نماذج الدفنات أمرا صعبا في مدينة عمارة غرب. ففي عدة مقابر، على الرغم من وجود بعض اللقى الآثارية، إلا أنها تعتبر غير ذات صلة بالأفراد الأصليين الذين تم دفنها معهم؛ ولذلك فنحن نفتقد العديد من المعلومات عن دلالتهم والسياق المحيط بتواجدهم في المقبرة.

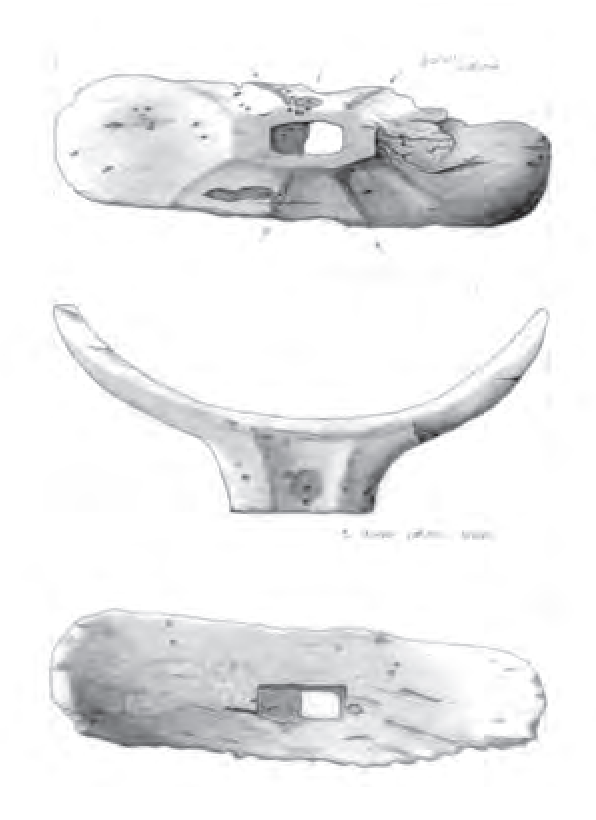
عادة ما كان يتم وضع الجسد مُسجى على ظهره في وضع التمدد، متبعا بذلك التقاليد المصرية القديمة. وقد تم العثور على آثار قماش تكفين لعدد قليل من الأفراد، ولكن يَفترض وضع عناصر الهيكل

العظمي بالمقارنة مع أجساد أخرى أنها كانت ملفوفة بعناية. وسواء أكانت هناك أي مظاهر من مظاهر عملية التحنيط – مثل تجفيف الجسد، ووضع صمغ الراتنج، واستِئصال بعض الأعضاء الداخلية – إلا أنه لا يمكن التأكد منها بسبب حالة الحفظ السيئة.

وقد تم رصد الدلالة الخاصة بما يتعلق بالصندوق الذي تم وضع الجسد داخله. ففي الطقوس المصرية القديمة، يمثل التابوت أهم عنصر يتم تجهيز القبر به على الإطلاق. فهو في نظر المصريين القدماء الوعاء المحسوس للجسد وفي الوقت نفسه هو الممثل الرمزي للكون الذي يحيط بالمتوفى. ويتنوع شكل وزخرفة ومواد صناعة التابوت وفقا للفترة الزمنية والحالة الاجتماعية للمتوفى. ففي عمارة غرب، كانت التوابيت الخشبية التي تم صنعها من خشب شجر الجميز هي الأكثر شيوعا في الاستخدام خلال الدولة الحديثة وما بعدها، ولكن بسبب نشاط النمل الأبيض والتركيبات الكيماوية للتربة المحيطة، فقد أصبحوا في حالة سيئة جدا من الحفظ. ويعدُّ خشب شجر الجميز بشكل نسبي ذا درجة جودة منخفضة، ولكنه كان متاحًا بشكل كبير في المنطقة؛ ولذلك يمكن افتراض أنه قد تم صناعة تلك التوابيت محليا. وفي مصر المعاصرة لتلك الفترة في النوبة، عادة ما كانت تَتخذ التوابيت شكل الإنسان المتوفى، ولكن للمرة الثانية يبدو أنه من الصعب التيقن عما إذا ما تم اتباع تلك الأنماط المصرية في عمارة غرب أم لا. ففي الجزء الداخلي والخارجي، تم تزيين التابوت بطبقة رقيقة من الملاط الأبيض الملون بالأحمر والأصفر والأسود والأزرق. وفي أغلب الحالات، ذلك الملاط المزخرف يتم اختزاله في أجزاء صغيرة من الطلاء. أغلبهم كانوا يمثلون مواضيع بسيطة، غير أنه لم يُعثر على أي كتابات هيروغليفية أو مناظر آلهة مصرية حتى الآن.

وقد تم العثور تحت أنقاض أجزاء من الأسقف المحطمة في الغرفة الغربية (G309) على أجزاء من غطاء أحد التوابيت الخاصة بامرأة شابة. ويمكن ملاحظة بعض سمات التابوت من خلال تلك البقايا الهشة لهذا الغطاء؛ حيث يبدو أن الوجه كان ملونًا بطلاء أحمر، وتم رسم غطاء للشعر باللون الأسود، بجانب حلقان للأذن صفراوان. وقد تمازجت هذه الألوان مع العفن الذي أصاب الخشب، وتبدو أن هذه الميزات تتفق مع ملامح التوابيت المصرية في العصر المتأخر من الدولة الحديثة المصنعة في مصر. غير أن الوجه يعتبر غير معتاد بالنسبة لتابوت مصري مخصص لأنثى. فهل لم يعبأ الصناع المحليون بالإرشادات المصرية، عندما يتم اختيار اللون الاحمر للرجال دون النساء، أو أن التابوت كان معدا في الأصل لدفنة رجل؟

استخدمت الثقافة الجنائزية النوبية نوعًا مختلفًا من الصناديق الجنائزية، وهو سرير الدفن. والأمثلة التي تم العثور عليها في مدينة عمارة غرب في أغلبها يرجع استخدامها إلى الفترة الأخيرة من عصر الدولة الحديثة (انظر للمزيد صـ 74–75). كما تواجد نوع ثالث من الصناديق الجنائزية والذي أصبح شائعا خلال الفترات المتأخرة من احتلال عمارة غرب؛ حيث تمت تغطية الأجساد بغطاء من نخل الدوم، وهو خشب ناعم وذو جودة رديئة جدا. وقد تركت تماما بدون أي زخارف، ويعد تحديد الشكل الخاص بها من الأمور التي يصعب التيقن منها. وفي بعض الحالات يمكن ملاحظة بقايا حبل وتناقص متدرج في حجم الصندوق من عند الرأس حتى ينتهي عند القدم. أما الدوافع التي تحدد اختيار الصندوق الجنائزي فلم يتم تفهمها بشكل كامل حتى الآن. فيعتبر استغلال الأسرَّة الجنائزية في الأغلب كإشارة تعبر عن التراث النوبي الثقافي، بينما ربما تعكس الصناديق المصنوعة من خشب نخيل الدوم اختلافًا في الطبقة الاجتماعية أو تعكس نقص المتاح من الخشب الجيد بسبب القحط المتزايد.



رسمة تصور أجزاءً من أحد مساند الرأس التي عثر عليها في المقبرة رقم G201.

تزويد المتوفى بِالمؤن

تعـدُّ الأوعية الفخارية من أكثر المواد الشـائعة التي يتم العثـور عليها داخل الجبانـات. فالتقليد الذي كان يلزم الأفـراد بوضـع أوانٍ تحتوي على قرابين طعام مـن أجل المتوفى داخـل المقبرة يعدُّ جزءًا من الطقـوس الجنائزية المصريـة والنوبيـة. فأوانـي الجعـة والأطباق التـي تم تزينهـا بإطارات مـن اللون الأحمـر والزمزميـات كانت من الاختيارات الشـائعة. كما تم العثور على أنواع قليلة جدا من النماذج الفخاريـة التي عُثر عليها في الجبانة أكثر مـن نظرائها التي عُثر عليها في المدينة؛ حيـث وُجدت أوانٍ بعينها كان يتم اعتبارها بشـكل واضح أكثر ملائمة للاسـتعمال فـي المقابر أكثر مـن غيرها. تواجدت أوانـي الجعة والزمزميات خلال القرنين العاشـر والتاسـع قبل الميلاد فقط، ربما كان يتم اسـتعمالها في ممارسـة طقوس الشـراب خلال عملية تقديـم القرابين من جماعة المتوفي. ونادرا ما كانوا يحملون أية إشارة على استعمالها قبل إيداعهم في القبر، مما قد يؤكد بدوره أنها قد تم صنعها خصيصًا لكي يتم وضعها مع المتوفي.



تمثال صغير من الطين المحروق (صلصال) تم العثور عليه في نفق المقبرة رقم G301.

قدمـت التمائـم الصغيـرة (التـي أتخذت أشـكال مـن المعبـودات والجعاريـن) الحماية السـحرية للمتوفى في العالـم الآخر. فقد كان يتم وضـع الجعارين المصنوعة من الخزف والعاج أو من الحَجَر الصابونيّ في أيدي المتوفى. وعادة ما كان يرمز رمز "خبري"، الأسـم المصري القديم للشـكل الصباحي لمعبود الشـمس وهو الجعران إلـى مفهوم البعث الخالـد، ولكن هذه المواد كانـت تسـتعمل أيضـا فـي المدينة بمثابـة أختام (انظـر للمزيـد صـ49). الحياة والمـوت كانا متشـابكيْن مـع بعضهما البعض في المـدن القديمة ومدينـة عمارة غرب تعتبـر احدى الأمثلة الواضحة على ذلك.

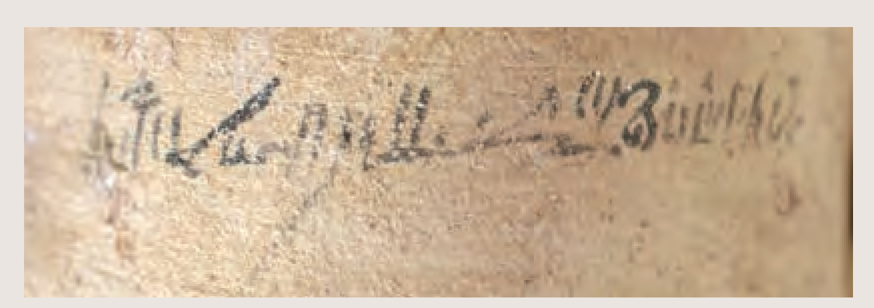
فقد تم العثور على عدد قليل من التمائم التي صوَّرت المعبودات المصرية مثل المعبود "بس" أو "أيزيس" داخل المقابر، تؤرخ تلك المقابر بشكل رئيسـي الى القرنين العاشر والتاسع قبل الميـلاد. حملت بعض هذه التمائم، المصنوعة من الخزف أو الحجر أو العاج، إشـارات دامغة على ارتدائها خلال حياة أصحابها وعلامات أخرى على إعادة تصنيعها. وهذا بدوره يطرح السـؤال الذي يتعلـق بإذا مـا كان المعتقد المصـري القديم مازال يتـم اتباعه بعد مرور 500 عـام من الاحتلال المصري للنوبة أم لا.

تم العثور على أنواع أخرى من سـلع المقابر ولكن بعـدد قليل جدا، متضمنـة المصوغات (مثل عقود مصنوعة من الخرز – وحلقان الشعر والأذن) كما تضمنت أدوات تجميل (مثل شـفرات الحلاقـة – والمرايـا – وأوعيـة العطـور والبـودرة، والامشـاط). وربما يتـم تبرير ذلك العـدد القليل المتبقـى لنا بعمليات النهب الواسـعة التي تمـت في المقابر، إلا أن معظم تلـك الأدوات قد تم صناعتها من مواد عضوية سـريعة التلف، وبالتالي لـم يتبقَ لنا منها الكثير؛ ويَفترض وجودُ أجزاءٍ صغيـرة من الصناديق الخشـبية والسـلال أنه قـد تم وضعها مع بعـض الدفنات أيضـا. كما تم العثـور على مسـاند الرأس في عدد من المقابر، ولكن لم يتم اسـتعمال الأوعيـة الكانوبية، التي كانت تسـتخدم لحفظ الأحشـاء الداخلية لجسـم المتوفى. وكذلك تم العثور على تمثال واحد "أوشـابتي" (التماثيـل المجيبة) حتى الآن (وهـي تماثيل للخـدم تتحول إلى حقيقـة في العالم الآخر لخدمة المتوفى). وهو تمثال غير مألوف، مصنوع من الفخار، تم العثور عليه مُلقًى في نفق المقبرة رقم (301).

نبيذ جيد مستورد

آنا جارنت

تـم العثـور فـي غرفـة الدفـن الغربيـة التـي تقـع تحـت الصالـة العلويـة وتتخـذ شـكل الهـرم (G301) فـي الجبانة (D)، علـى أوانـي جعة مصفوفة، وأكواب عميقـة، وإحدى قـدور الخمـر مدفونـة بجانـب رجـل وامـرأة راقديـن فـي توابيتهـم الخشـبية. إنـاء الخمـر (C8009) محفـور عليـه نقـش بالخـط الهيراطيقـي من الخـارج يقرأ كالتالـي «العـام العاشـر، خمـر ثلاثـة أيـام (مـدة التخميـر) مـن مـزارع الكـروم الخاصـة بحـور مـس». والذي بـدوره يقـول لنا أن ذلـك الإنـاء كان فـي الأصل يحتـوي على خمـر مصنوع من العنـب تم زرعـه في إحدى المـزارع الخاصة التي يمتلكها شـخص مصـري يدعى حـور مس. كمـا تواجد بقايـا الختم الأصلـي الـذي كان يغلـق الآنيـة، والـذي ربمـا تـم غلقـه بعـد عملية التخميـر والتعبئة. الطين المميـز (الصحراوي) الـذي تـم اسـتعماله لصنـع هـذا القـدر يفتـرض أن هـذا الإنـاء وبمـا بـه مـن خمـر قـد تـم اسـتيراده مـن مصـر. وأسـلوب النقـش يوضـح أن العام العاشـر يرمـز إلى حكم الملـك رمسـيس الثانـي، ولذلـك يمكـن القـول بـأن تلـك الخمـر قـد تـم إنتاجهـا حوالـي 1280 قبـل الميـلاد. فهـل تـم وضعهـا فـي المقبـرة مـن أجـل المتوفـى، أو أن أحـدًا مـا قـد اسـتمتع بشـربها ووضـع القنينـة بجانـب المتوفـى؟





التفاعل الثقافي في عمارة غرب

دلائل من الجبانات

عند تأسيس مدينة عمارة غرب، كانت النوبة تعدُّ فعليا تحت السيطرة المصرية لأكثر من 200 عام. فربما جاء السكان الذين استقروا في عمارة غرب من المدن الفرعونية القريبة – مثل صاي او من المجتمعات النوبية المتواجدة هناك، وربما جاء بعض منهم من مصر نفسها. وكما في المدن الفرعونية الأخرى الموجودة في النوبة، كان يتم دفن المتوفى في جبانات تقع بالقرب من المدينة، ولا يتم إرجاع جثامينهم إلى بلدتهم الأصلية.

تعكس المقابر بوضوح في عمارة غرب صورة أحد المجتمعات التي اتبعت الطقوس الجنائزية المصرية، على الأقل فيما يتعلق بالعمائر، ومحاولات الحفاظ على الجسد، ووضع قرابين بالمقابر لتزويد المتوفى بالمؤن. ولكن يبدو من الواضح – رغم حالات الحفظ السيئة – أن بعض المظاهر الهامة الأساسية الخاصة بالطقوس الجنائزية المصرية كانت غائبة. هذا بالإضافة إلى تواجد عناصر من الطقوس النوبية المحلية مثل الأسرة الجنائزية أو مشكاوات الدفن التي تم الإبقاء عليها لفترات طويلة، وكانت بشكل مستمر تجاور نظيرتها المصرية. ويشير مثل ذلك التنوع في أساليب الدفن إلى درجة معقولة من حرية الاختيار لدى الأفراد. فقد أفصح قاطنو مدينة عمارة غرب عن طيف متنوع من الاختيارات الثقافية في دفن موتاهم، سواء من التقاليد المصرية أو النوبية (وكل شيء بينهما)، وهو نتاج عدة قرون من التفاعل ما بين تلك الثقافات المتجاورة، ولكن أيضا تعكس التغيير الفَعّال في طبيعة المدينة نفسها.



الكشف عن اناء من الخزف في غرفة الدفن الخاصة بالمقبرة رقم G244.



جعارين مزخرفة تم
وضعها مع المتوفي.

المقبرة 244: المصريون والنوبيون عند الموت

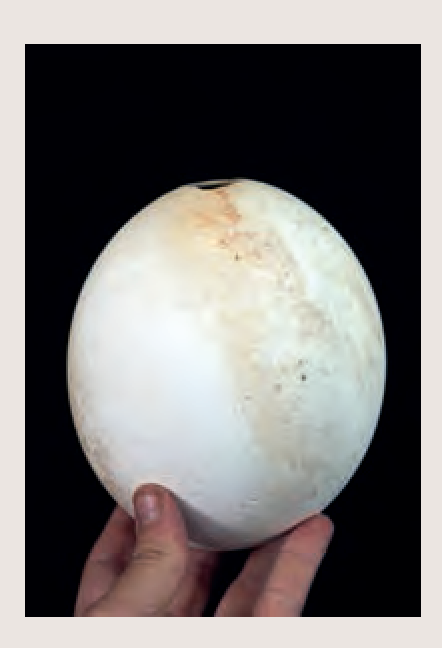
ميكالا بيندر

كشفت الحفريات التي أقيمت في عام 2013 عما يعتقد بكونه أكثر الاكتشافات المدهشة الخاصة بمقابر مدينة عمارة غرب: G244. وهي المقبرة التي تقع على الجانب الجنوبي الغربي من الجبانة (C)، وتقدم لنا هذه المقبرة منظورًا جديدًا يتعلق بتفهمنا لعملية التفاعل الثقافي الحادث في عمارة غرب خلال الدولة الحديثة، رغم عملية النهب الواسعة التي عانت منها المقبرة والمنطقة ككل.

فقد تم العثور على كومة ترابية دائرية للدفن تمتد قطر دائرتها حوالي 18 متر فوق سطح الأرض، وقد أنشئت من الطمي الغريني، وتم استخدام أحجار الشست لتحديد المقبرة؛ فهى بذلك تعدُّ أحد النماذج النوبية التقليدية. تفترض تلك الوفرة في أعداد الأواني الفخارية التي تم العثور عليها في الموقع – والتي عادة ما يتم تأريخها بفترة ما بعد احتلال الجبانة – أن ممارسة عملية تبجيل السلف كانت تتم باستمرار حتى بعد أن تم إهمال الجبانات. غير أن الطبقة التي تقع أسفل سطح المقبرة تتألف من عدة غرف للدفن تم تأسيسها وفقا للتخطيط الخاص بالمقابر المصرية. وهذا المثال يعدُّ إلى حد كبير أكثر تجمع للدفنات تم العثور عليه في مدينة عمارة غرب.

وهناك نفق يبلغ عمقه حوالي 2.80 متر يصل إلى خمس غرف دفن (انظر الصورة اسفل)؛ حيث تقع ثلاثة غرف على الجانب الغربي وأخرتان تقع على الجانب الشرقي. وقد تم دفن 20 فردًا على الأقل سواء أكانوا نساءً أو رجالًا بالغين أو أطفال في (G244)، ومن بينهم ذلك الرجل الشاب الذي عانى في حياته من مرض السرطان (انظر للمزيد صـ 66). كانت الدفنات







الموجودة بالغرف الخلفية مدمرة تماما الى حد كبير، غير أن رياحًا رملية عاصفة قامت بالسماح للرمال بالدخول من خلال الأبواب المفتوحة في كلا الغرفتين المركزيتين، وغطت كل الجثامين في وقت قريب تلا عملية الدفن، حامية بذلك تلك الأجساد من مصادر التلف والضياع الأخرى.

تم انتشال حوالي 110 أنية فخارية، وهي بذلك أكثر المقابر التي تم العثور فيها على هذا الكم من الفخار في مدينة عمارة غرب؛ حيث تم وضعها داخل المقبرة ويرجح انتمائها إلى الأسرة العشرين. كانت أجساد الأفراد البالغين جميعا مغطاة بأقمشة وقد تم دفنهم جميعا في توابيت خشبية تمت زخرفتها بملاط ملون. وتم تجهيز كثير من تلك الأجساد بجعارين ومصوغات مثل حلقان من العقيق الأحمر أو دبابيس للشعر. كما تم تزويد جثامين الأطفال – بشكل خاص – بأدوات جيدة الصنع مثل مشط من العاج وأسوار لليد، بجانب عصيان من العاج ربما كانت تشكل جزءا من لعبة قديمة. هذه المقبرة هي الوحيدة التي تمثل فترة الدولة الحديثة في مدينة عمارة غرب التي يتم فيها دفن الأطفال بجانب البالغين. كما تواجدت عدة لقى هامة في هذه المقبرة مثل آنيتين مصنوعتين من الخزف الجيد، وإبَر من النحاس المخلوط، وعدة مساند للرأس، وبيضة نعامة تم ثقبها بحفرة لكي يتم استخدامها كإحدى الأواني.

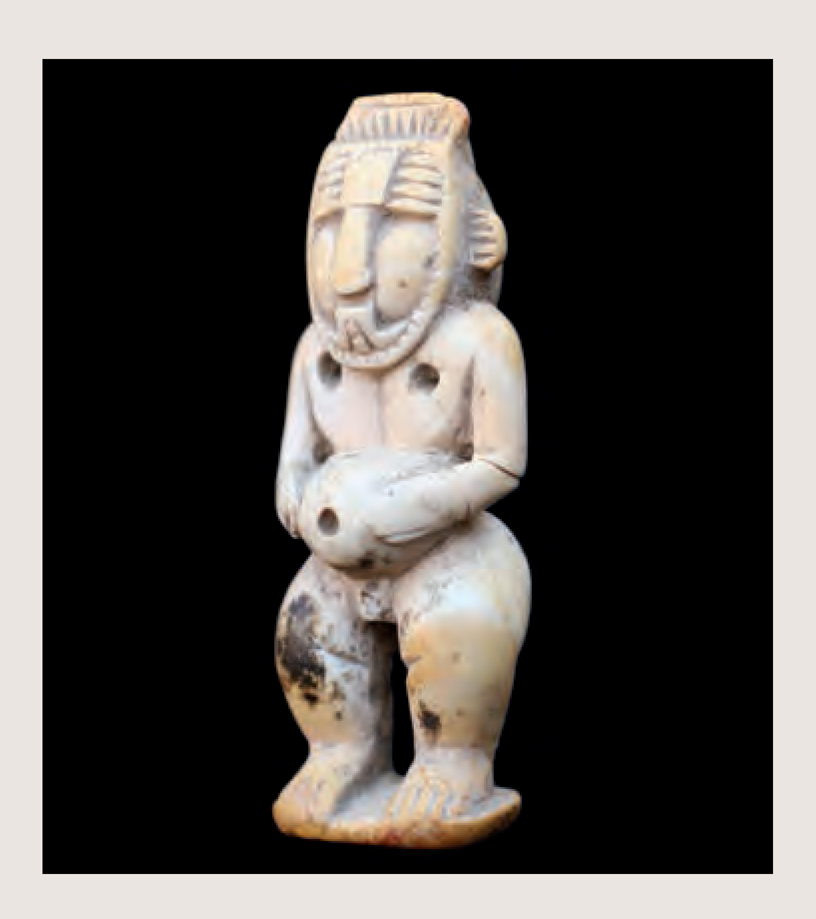
فيما يتعلق بحجم السلع الخاصة بالمقابر وكمياتها، فهي تتساوى مع نظرائها التي عثر عليهم في المقابر الهرمية ذات الطراز المصري الخاصة بعلية القوم في عمارة غرب. وعلى الرغم من الشخصية المصرية الطاغية على التخطيط الأساسي للمقبرة، فإن المصوغات المصنوعة من العاج، وأواني بيض النعام، وحتى وجود الأطفال داخل المقبرة يؤكد ذلك التأثير النوبي إلى حد كبير. أما أسلوب الدفن بإستخدام الكومة –الجزء الوحيد الذي يظهر للعيان من السطح– يوضح بشكل كبير أن هؤلاء الأفراد كانت لديهم الرغبة في أن يتم دفنهم بمقبرة تتخذ الشكل الخارجي للمقابر النوبية حتى تبقى ذكراهم كنوبيين، بينما من الداخل، تم استخدام كل الأساليب الجنائزية المصرية حتى يتم التأكد من الوصول إلى العالم الآخر سالما.

تميمة غير مألوفة

ميكالا بيندر

تـم استخدام التمائـم الخاصـة بالمعبـودات المصريـة التـي تـم العثـور عليهـا فـي مدينـة عمـارة غـرب والمواقع الأخـرى التي تنتمي إلى النوبـة في الدولـة الحديثة بغرض الحمايـة، ولكـي يتـم ضمـان المصيـر الجيد لمالكهـا، وهـو مـا يتوافـق بشـكل عـام مـع النمـاذج التصويريـة التقليدية المصريـة.

يعـدُّ العثـور علـى إحـدى التمائـم الصغيـرة المصنوعة مـن العـاج للمعبـود بـس (F9459)، فـي أحـد حفـرات الدفـن المؤرخـة بالفتـرة التـي تلـي الدولـة الحديثـة فـي الجبانـة (C)، اسـتثناءً ملحوظًـا مـن ذلـك الاتجـاه العـام. فقـد كان المعبـود «بـس» عـادة مـا يتـم اعتبـاره كأحـد حمـاة أفـراد المنـزل، والنسـاء، والأطفـال. وكانـت تمائـم المعبـودات تحتـل مسـاحة كبيـرة فـي نمـاذج الدفـن. ذلـك التمثـال الصغيـر الـذي يبلـغ ارتفاعـه 6 سـنتيمترات يحوي كل السـمات المألوفـة لتصويـر هـذا المعبـود المصـري الأصـل؛ مـن رأس وبطـن كبيـر غيـر متناسـبة مع الجسـم، وذيـل طويـل، ولسـان يتدلـى مـن فمـه، وعصابـة رأس او شـعر مسـتعار. غيـر أن أسـلوب تصويـر الوجـه يعكـس ملامـح إفريقيـة أكثـر مـن تلـك الملامـح المصريـة لهـذا المعبـود المتواجـد فـي مصـر، وهـو مـا يعـدُّ فـي حـد ذاتـه أمـرًا مبدعًـا ولا نظيـر لـه. فهـو يجسـم بذلـك كيـف اسـتطاع الفنـان النوبـي أن يطـوع ويعيـد تحويـر أحـد عناصـر الثقافـة المصريـة وفقـا للنمـط المحلـي وربمـا يعكـس التـذوق المحلـي للمعبـود المصـري. وإذا مـا كان هـذا التمثـال يعكـس أيضـا الالتـزام بنظـام المعتقـدات المصريـة أم لا فهـو أمـرٌ غيـر معـروف. وفـي وقـت مـا، تـم عمـل حفـرات صغيـرة فـي الجـزء السـفلي مـن جـذع التمثـال؛ حيـث تم تغييرهـا من مجرد تميمة يتـم ارتداؤها حـول العنـق باسـتخدام خيـط (خـلال حيـاة صاحبهـا؟) إلى تلـك التميمـة التـي يمكـن تخييطهـا فـي لبـاس المتوفـى.



خرز ملون من القاشانى استخدم لحراسه المتوفى.





المدينة القديمة أصبحت مجرد موقعا آثاريا

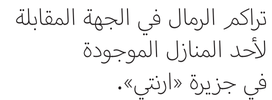
نيل سبنسر



الوصول إلى النهاية ...

الصفحة السابقة
عملية تسجيل المنزل رقم E13.5.

باستثناء مدينة بومباي (الايطالية)، فإن معظم مدن العصر القديم وقُراه عانت في نهايتها من الموت البطيء؛ فقد كان يُعتَقد في الماضي أن مدينة عمارة غرب قد تم هجرانها عندما فقدت مصر سيطرتها السياسية على كوش (النوبة العليا) حوالي 1070 قبل الميلاد. بني هذا الافتراض على الزعم بأن قاطني المدينة كانوا بشكل مرجح من المصريين وأرادوا الرجوع إلى مصر، وأن الغرض الأساسي من تأسيس هذه المدينة كان لكي تصبح جزءً من مؤسسات الدولة المصرية بالنوبة لا أكثر. غير أن المرجح الآن أن التغييرات المناخية كان لها دور كبير في هجران المدينة؛ حيث طغت الصحراء على معظم أراضي الجزيرة، وأصبح من الصعب فلاحة الأراضي الزراعية، وانتقل السكان إلى الضفة المقابلة التي أصبحت بحكم طبيعتها الملائمة للسكن أكثر جاذبية للسكان (انظر للمزيد صـ 90–91).



تراكم الرمال في الجهة المقابلة لأحد المنازل الموجودة في جزيرة «ارنتي».



هناك عجز واضح لدينا في فهم المراحل الأخيرة من عمر مدينة عمارة غرب؛ فقد أوضحت الجبانات أن السكان كان يتم دفنهم في مقابر عمارة غرب خلال القرن الثامن قبل الميلاد، وهناك قطع فخارية متناثرة على امتداد المسطح الخاص بالمدينة تنتمي لتلك الفترة. غير أنه لم يتبقى شيء من العمائر التى تنتمي لتلك الفترة فهل كان هؤلاء السكان يقطنون في منازل أسلافهم التي تم بناؤها من قبل؟ أم ان تلك المنازل التي انشئت قد تم جرفها تحت رمال العواصف الرملية إضافة للمخلفات التي تنتمي لتلك الفترة، تاركة ما صنعوه من فخار وأداوت حجرية تهبط إلى طبقات أقدم تاريخيا؟ هناك سلسلة من الجدران المبنية من الحجر الجاف تقع على الحافة الغربية من المكان، يُعتَقد أنها كل ما تبقت من أبنية تلك الفترة التي تميزت بمزج الحجر مع قوالب الطوب والطين، ولكن التأريخ الخاص بهذه الجدران ما زال يحيط به الشك.

نحن لسنا على يقين عما إذا كانت تلك المباني التي توجد مباشرة على السطح عند بداية الحفائر هي التي يمكن اعتبارها آخر المباني التي تم بناؤها واحتلالها من قبل قاطني المدينة القدماء أم لا. ولكننا نعلم أن قاطني المدينة كانوا يقاومون التزايد المستمر لعملية التصحر؛ حيث قاموا ببناء جدران واقية لكي يتم صد توغل الرمال على مداخل منازلهم (انظر للمزيد صـ 92–93). بعض المناطق في المدينة تم هجرها فعليا أو

إعادة توظيفها، او تم إغلاقها أو تقسيمها إلى أماكن بدون أبواب. وربما حتى يمكن استعمالها كمكان مخصص لحظائر الحيوانات. ويمكننا أن نتخيل تلك المنازل المهجورة بجانب تلك المأهولة وهو أمر يمكن ملاحظته بوضوح في القرى النوبية الآن.

تعتبر المباني التي تستخدم الطوب المصنوع من الطين – والذي عادة ما يتم تصنيعه من مواد متوافرة محليا – سهلةَ البناء، ويمكن تغيير تخطيطها بسهولة أيضا. غير أن تلك المنازل عادة ما تتدهور بسرعة إذا ما تم نبذها أو هجرانها؛ حيث تقوم القوارض والنمل الأبيض بالتغذي على المواد العضوية المتواجدة في الأسقف (كالحصير، والخشب، وعيدان النباتات) وهو ما يجعلها تسقط مبكرا، بينما تقوم الرياح والأمطار الموسمية باضعاف سطوح الجدران، وتقوم الزوابع بما تحمله من رمال بنخر أساسات الجدران. والنتيجة المتوقعة هو انهيار المبنى. عادة ما تتسبب أيضا الأنشطة الخاصة بالحيوانات وأعشاش الطيور ومساكن الحشرات في تآكل اللقى القديمة. عندما نبدأ الحفر عادة ما نقابل ذلك التتابع المعكوس، ففي البداية نعثر على الجدران المهدمة قبل أن نصل إلى مواد الأسقف والأرضية الأصلية للمنزل.

ويبدو أن تلك الرمال التي استمرت في التدفق والتراكم قد حافظت على المدينة للأجيال القادمة؛ فحين امتلأت الغرف والمباني حتى فوهتها بالرمال، حدثت عملية توازن. فالجدران أصبحت بذلك محمية من أي عوامل تعرية أخرى، ولا يوجد أي شيء يمكنه جذب رمال أكثر للمكان، وتسبب هذا في وجود مبانٍ كثيرة في حالة حفظ جيدة، تحتوي على جدران تقف جميعا على نفس الارتفاع، وتقع مباشرة تحت الطبقة السطحية الحديثة.

بالطبع يخبرنا هذا النموذج من تفاعل المباني مع الطبيعة بجزء صغير من الصورة الكاملة. فعادة ما يخلق التدخّل البشري نتائج مختلفة؛ فالمنازل يمكن أن يتم تنظيفها بالكامل من أي متعلقات ويتم نقلها إلى مقر الإقامة الجديد من قبل قاطني المنزل، تاركين خلفهم فقط ما اعتقدوا بكونه غير ذي قيمة أو أشياء مكسورة أو ثقيلة الحمل أو ربما تم نسيانها أو ضياعها منهم حينها؛ فقد قام شخص ما بتكديس كل العناصر المعمارية المهدمة الخاصة بالمنزل في فناء المنزل (E12.10). فهل هذا كان جزءًا من خطة لإعادة استخدامهم ولم يتح له القدر أن يفعل هذا؟

إحدى المناطق القديمة التي تم إجراء حفائر بها عام 2011، والآن أصبحت مملوءة بالكامل برمال العواصف الصحراوية.



عمارة غرب وانحسار النيل

جامي وودوارد ومارك ماكلين

يعد وجود عدد من القنوات النيلية القديمة في حالة حفظ جيدة إحدى الخصائص المميزة للملامح الطبيعية الخاصة بالأراضي المحيطة بعمارة غرب. تقع إحدى القنوات النيلية الجافة في شمال المدينة تماما، ويثير تواجدها العديد من التساؤلات الهامة التي بدورها تلعب دورا رئيسيا في تفهم طبيعة الحياة في عمارة غرب. متى أصبح توقف تدفق المياه في هذه القناة أمرًا دائمًا؟ هل تم تأسيس مدينة عمارة غرب على أنها جزيرة نيلية؟ هل ارتبط العزوف والهجرة عن المدينة بتوقف هذه القناة والذي أدى بدوره إلى تغيير أنماط المعيشة فيها؟

كشفت لنا حفرة دائرية عميقة قمنا بحفرها في تلك القناة النيلية الجافة في أحد الأماكن الواقعة في الجزء الشمالي الشرقي من بوابة المعبد، عدة ترسيبات جيدة الحفظ من رواسب الفيضانات النيلية. فقد كان ذلك الفيضان النهري عادة ما يحمل الغرين ورمال العواصف. وهذا التدرج عادة ما يمثل فترات متقطعة من الفيضان الخاص بتلك القناة الجافة خلال الفيضانات العالية. فتؤرخ أقدم طبقة من الرمال إلى عام 1270 قبل الميلاد 215، وفقا لقواعد التحفيز البصري للإشعاع الضوئي (OSL). تشير الرواسب إلى أن تلك القناة النهرية لم تكن مستمرة في ذلك الوقت. بعد ذلك قمنا بحفر أخدود على مسافة أطول وأعمق داخل تجويف القناة الجافة، وصولا إلى الحافة الخاصة بطبقة المدينة القديمة، وتحت طبقات من غرين الفيضان المخلوط بقطع الفخار ومواد عضوية متفحمة، كآثار ملقاة من المدينة المُخربة في النهر، قابلنا طبقات سميكة من طمي رمادي دقيق الحبيبات كانت تطفو على سطح الماء، ولم نعثر على أي مواد تنتمي للمدينة، تم ترسيبها عندما كانت القناة تفيض خلال العام.

وبتجميع التواريخ الناتجة عن تأريخ الكَرْبونُ المُشِعّ و (OSL) من المواد العضوية المتفحمة (انظرXXXXX)، يمكننا الآن إعادة بناء التاريخ المحلي الخاص بالنيل في تلك المدينة. عندما تم تأسيس مدينة عمارة غرب حوالي عام 1300 قبل الميلاد، كانت تقبع على جزيرة. عندما كانت القناة الشمالية تجري باستمرار. هذه القناة



توقف تدفق المياه فيها بعد فترة قصيرة قبل 1270 (215) قبل الميلاد؛ فيبدو أن المدينة قد تم تأسيسها في وقت يتميز بالتغيير في نظام التدفق المائي. كما يبدو أن نهاية جريان المياه وتدفقها في تلك القناة قد حدث في فترة مبكرة من تاريخ المدينة القصير. وقد عثرنا في موقع اخر في شمال السودان على دليل ثاني يؤكد أن نهر النيل قد بدأ في التقلّص عند حوالي 1500 قبل الميلاد وما بعدها.

فقد كشفت الدراسات الجِيُومُورْفُولُوجيّة التي أقيمت في الصحراء التي تقع في الجزء الشمالي من مدينة عمارة غرب – عن معلوماتٍ أكثر ساعدتنا على إعادة بناء البيئة القديمة الخاصة بمدينة عمارة غرب، وهو ما أنتج لنا بدوره صورة مختلفة جدا عما نراه اليوم في المدينة. ويفترض التأريخ الأولي المنبثق من إحدى الدراسات الكبيرة للنظام الخاص بتلك القنوات المائية الجافة، في الصحراء التي تبعد حوالي 2 كيلو متر من نهر النيل الحالي، أن جزيرة عمارة غرب كانت واحدة من عدة جزر نيلية صغيرة أخرى تواجدت على امتداد المسطح الواسع لوادي النيل الذي يحوي عدة قنوات نهرية داخله.

فقد بدأنا نتفهم كيف استطاعت الإمبراطورية المصرية خلال الدولة الحديثة (1550–1070 قبل الميلاد) بناء تلك المدينة مع تعارض النظام البيئي لنهر النيل بشكل سريع التغيّر. مساقط مائية وفيضانات خطيرة في عز الصيف وتقلص وانكماش لشبكة القنوات عند حوالي 1300 قبل الميلاد. وفي عدة أماكن عندما كان النهر يجري ويتدفق في عدة قنوات خلال سهول واسعة خصبة، انخفضت تلك الفيضانات بشكل دراماتيكي مفاجئ لكي تنحصر في قناة واحدة فقط. وكان لهذه المتغيرات تأثير واضح على استغلال الأراضي التي تقع على ضفتي النهر والأماكن المتاحة للاستقرار. وبنفاذ المياه من تلك القنوات أصبح من العسير زراعة مساحات واسعة من الأراضي، وغرقت المدينة تحت رمال العواصف الرملية (انظر للمزيد صـ 92–93).



الرمال تبتلع المدينة

مات دالتون

تـم بنـاء أحدث المنـازل التي عثرنا عليها في عمـارة غرب حوالـي 1160 قبـل الميـلاد، وقـد تميـزت بوجـود جـدران رفيعـة على شـكل المسـتطيل أو شـبه الدائرة فـي المحيط الخارجـي للأبـواب الأماميـة، وعـادة مـا كان يصاحـب تلـك الجـدران هبـوط فـي مسـتوى سـطح المنـزل الداخلـي بالمقارنـة بمسـتوى سـطح الشـارع مـن الخـارج، وكان السـكان بمثابـة خـط الدفـاع الأول ضـد الارتفـاع المتـدرج للرواسـب المتراكمـة خـارج المنـزل، والتي بدورهـا هددت بتغطيـة منازلهـم. ولا يبـدو أن تلـك الجـدران الأماميـة كانـت جـزءًا مـن التخطيـط الأساسـي للمنـازل. وأغلـب تلك الجـدران تعطـي الانطبـاع بأنـه قـد تـم بنائها علـى عجل، فعـادة مـا كان يتـم اسـتخدام أي مـن المـواد المتاحـة أمامهـم فـي صناعتها مثـل قوالب طوب مكسـورة أو قطع أحجـار كبيـرة يتـم اقتطاعهـا مـن عناصـر معماريـة أخـرى تخـص منـازل مهجـورة أو قديمـة.

وقـد كان يتـم اعتبار ارتفـاع مسـتوى سـطح الشـارع بمثابة الشـيء المألـوف داخـل تلـك التجمعـات ذات الكثافـة العاليـة مـن المبانـي المبنيـة مـن قوالـب الطـوب. فعـادة مـا يحـدث هـذا الأمـر عندمـا يتـم تـآكُل أحـد المنـازل أو هدمـه، وعندمـا يقـوم النـاس بإلقـاء المخلفـات فـي المسـاحات الخاليـة خـارج منازلهـم، أو حتـى عندما تقوم الحيوانـات بإلقـاء مخلفاتهـا علـى أرضيـة الشـوارع ولا يتـم التنظيـف خلفهـا. وهـو مـا أوضحتـه لنـا الحفائر من خـلال التحليـل المورفولوجـي الشـفاف الدقيـق والتحليل الخـاص بمقاطع صغيـرة الحجم باسـتخدام دقائق الليزر الخاصـة بالنمـاذج التـي تـم جمعهـا مـن ذلـك الممـر ذي العمـر الطويـل (E13.12) داخـل المدينـة المسـورة. كمـا كشـفت التحاليـل أيضـا عـن التأثيـرات الخاصـة بإحـدى التهديـدات الأكثـر خطـورة التي واجهت قاطنـي المدينة، والتـي قدمـت اليهـم نتيجـة للتغييـر المناخـي والتصحـر اللذيـن ضربـا المنطقـة خـلال فتـرة متأخـرة مـن تاريـخ المدينـة فـي عصـر الدولـة الحديثـة.

حيـث احتـوت رواسـب السـكن الاخيـرة فـي الممـرات، المعاصـرة لاسـتغلال تلـك المنـازل ذات التأريـخ المتأخـر نسـبيًا، بشـكل كبيـر علـى حبيبـات رمـال العواصـف الصحراويـة الناعمـة بشـكل أكبـر مـن الرواسـب الأقـدم

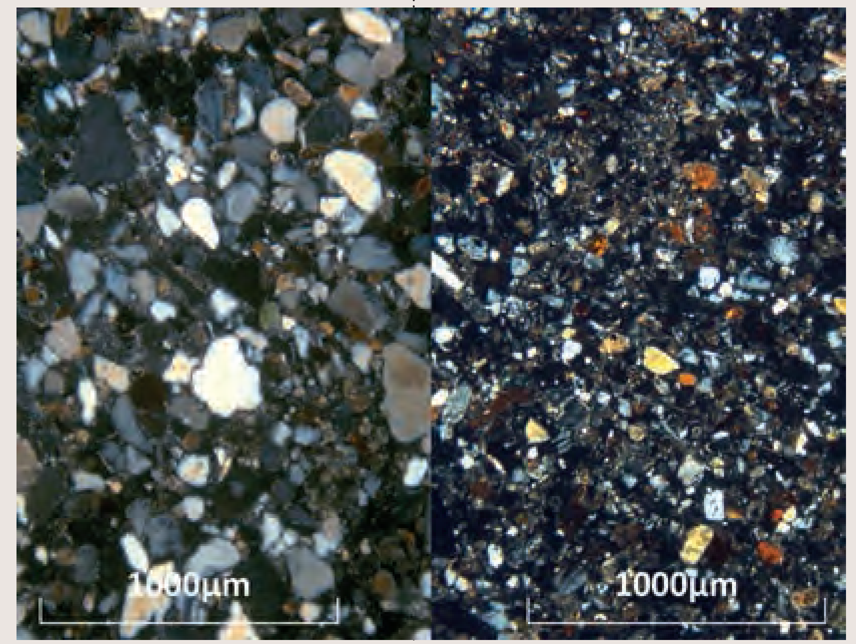


تأريخـا، تصاعديا مـن أحـدى المعـدلات الثابتـة التي تبلـغ 6% في الطبقـات السـفلى إلى 35% في المراحـل الأخيـرة المُتعاقِبـة. وبما أن الرمـال الناعمـة لـم تكـن أحد المكونـات المهمـة في مـواد البنـاء الخاصـة بمباني عمارة غـرب، فـإن مثـل تلـك الترسـيبات يبـدو وكأنهـا بالتأكيـد مـن نتـاج رواسـب الريـاح المحملـة بالرمـال والقادمـة مـن المناطـق الصحراويـة، والتـي مازالـت تضـرب وتجـرف الموقـع حتـى الآن.

يعـدُّ نهـر النيـل أحـد العوائـق الطبيعيـة لمعظـم الريـاح المحملـة بالرمـال؛ ولـذا فقـد كانـت هـذه الترسـيبات الرماليـة عـادة مـا تراكـم فـي المنطقـة التـي تقـع خلـف القنـاة النيليـة الشـمالية، والتـي عـادة مـا كان يصيبهـا الجفاف، سـواء بشـكل مُؤقَّـت أو بشـكل شـبه دائم. يشـير التمـاذج مـا بيـن الرمـال مـع المخلفـات إلـى أن السـكان كانـوا مازالـوا يسـتخدمون المدينـة للسـكن خـلال مراحـل مبكـرة مـن تدفـق كميـات كبيـرة مـن الرمـال نحـو المدينـة. وفـي الطبقـات اللاحقـة، تـم العثـور على رواسـب سـميكة متجانسـة مـن رمـال العواصـف الصفـراء، تقريبـا بـدون وجـود أي أثـر لمخلفـات المدينـة السـكنية مختلطـة مـع هـذه الرواسـب الرمليـة، وهـو مـا يتماثـل بشـكل كبيـر مـع الرواسـب الرمليـة التـي تمـلأ حفـر الخنـادق مـا بين مواسـم الحفائـر التـي نجريهـا فـي المنطقـة، وذلـك خـلال الأيـام التـي تزورنـا فيهـا الريـاح الرمليـة العاصفـة. كمـا تـم العثـور علـى هـذه الرمـال أيضـا فـوق وأسـفل طبقـات الجـدران والأسـقف المنهـارة فـي معظـم منـازل القـرن العشـرين المهجـورة فـي مدينـة عمـارة غـرب. والتـي مثلـت بدورهـا أخـر مراحـل الهجـرة عـن المدينـة. ويمكننـا القـول إن تلـك المبانـي لـم يتـم أبـدا إعـادة بنائهـا مـرة أخـرى بعـد التدميـر الأخيـر الـذي حـاق بهـا.

يعـدُّ هـذا التدفـق الرملـي أحـد تأثيـرات فتـرات الإجهـاد البيئـي والـذي بالطبـع كان لـه أثـر كبيـر علـى جعـل المعيشـة فـي تلـك المدينـة صعـب جـدا، ليـس فقـط فيمـا يتعلـق بأمـور الزراعـة، ولكـن فـي الحفـاظ علـى جعـل المنـازل صالحـة للسـكن. تحمـل هـذه الرواسـب شـاهدا علـى كلٍّ مـن مقدمـات هجـران المدينـة وفتـرة النبـذ الفعلـي للمدينـة خـلال فتـرة الدولـة الحديثـة. يدعـم هـذا الدليـل الـرأي الـذي يـرى أن تغييـر الظـروف المناخيـة هـو مـا سـاهم فـي اتخـاذ القـرار الأخيـر بهجـران عمـارة غـرب وليسـت الظـروف السياسـية المتقلبـة.





ففي حالات أخرى، فإن المخلفات والمواد التي تم التخلص منها – والتي أصبحت فيما بعد في حيازة متخصصي علم الآثار – ساعدت على اكتشاف طبقات تنتمي لقرون متأخرة. بعض تلك المواد تم التخلص منها عندما كان يتم استعمالها، والبعض الآخر أعيد استخدامها في فترات لاحقة. فمثل ذلك التدخل البشري اللاحق على اللقى الآثارية يسبب لنا الكثير من الغموض والتشابك في العصر الحديث. ويتضمن هذا التدخل البشري اقتطاع عناصر معمارية حجرية ذات قيمة من منزل أو غرفة مهجورة لكي يتم استعمالها في منزل آخر قريب، ولكن أيضا بغرض خلق مساحات جديدة داخل تلك المنازل المهجورة لإعادة توظيفها. ففي المنزل (E12.10) تم العثور على إناء فخاري ينتمي إلى العصور الوسطى على الأرضية التي تقع بجانب الدرج المبني خلال عصر الدولة الحديثة. هذا بالإضافة إلى الاستغلال الذي تم على نطاق واسع لجدران المنازل القديمة، وبشكل خاص في النهاية الجنوبية من المدينة، حيث يبدو أن المنقبين القدماء قد اقتطعوا أجزاء كبيرة من قطع الطوب القديمة المصنوعة من الطين لكي يتم تحطيمها واستغلالها في عمل قوالب طوب جديدة، حيث كان يُعتقد أنها بذلك تصبح أقوى من الطوب الذي يتم صناعته من الطين الجاف الحديث. بلا شك مثل تلك الأنشطة التي تعيد استخدام مواد أكثر قدما تلقي الكثير من التعقيدات على مهمتنا كمتخصصي حفريات. فعملية تأريخ هذه الأنشطة عادة ما تكون مستحيلة؛ حيث إنها تقوم بدمج القديم مع الحديث في آن واحد، فربما نجد فخارًا ينتمي إلى العصر القديم بجانب آخر ينتمي إلى العصور الوسطى أو حتى أوائل القرن العشرين.

على الشمال
صورة من أرشيف بعثة عالم المصريات الأمريكي «بريستيد» لنقوش الملك «رمسيس الثاني» في معبد عمارة غرب (فبراير 1907).
مصدر الصورة: المعهد الشرقي.

إعادة الاكتشاف

تم نقل أماكن المدن والجبانات والتجمعات الدينية بشكل كبير إلى الضفة المقابلة في الألفية الأولى قبل الميلاد. ويعتبر المعبد المروي الخاص بعمارة شرق أكبر مبنى أثري كان لا يزال قائما حتى انهار تماما في أواخر القرن التاسع عشر. وبقيت ذكرى عمارة غرب عالقة في أذهان قاطني المنطقة لعدة قرون حتى بعد أن دفنت



«جيمس هنري بريستيد» والعائلة يغادرون عمارة غرب في فبراير عام 1907.
مصدر الصورة: المعهد الشرقي.



تحـت الرمال؛ حيث كان يتـم زيارتها من قبل هـؤلاء الذين يبحثون عن كل ما غـلا ثمنه وقيمتـه. يؤكد الفخـار المؤرخ بالعصور الوسـيطة الذي تم العثور عليه بالقرب مـن ضفتي النيل في المنطقة الواقعة بالجزء الشـمالي الشـرقي من المدينـة التي ترجع إلـى عصر الدولة الحديثـة= تواجـدَ الناس فـي هـذه المنطقة وربمـا كانـوا على علم بتاريـخ المكان. ومع ذلك فربمـا أصبح فهم تاريـخ الجزيرة والوظيفة التـي كان منوطًا بها القيام بهـا ليس على درجة كبيـرة من الصحة؛ حيـث أصبحت عمارة غـرب متعـارف عليها تحت اسـم ابو كنيسـة، واستعمال المصطلح كنيسة في اسـمها قد يحوي ضمنيا أن الآثار المتبقيـة من العصـور القديمة في هـذه المدينة ترجع إلـى التاريخ المسـيحي. ولكن العناصـر المعماريـة الحجرية الموجـودة في هذه المدينة القديمة يجعلها تتساوى مع جزيرة أرنتي في التاريخ القديم المديد الخاص بكل منهما والتي تقع على بعد كيلومترات قليلة.

"إعادة الاكتشـاف" يبدو أنه كان يجب أن ينتظر أول تسجيل لآثـار المدينـة للمرة الأولى من قبل الزائريـن الأوربيين حتى أوائل القرن العشـرين. فقد تمت مشـاهدة آثار النوبة وتوصيفهـا –مـن معابد فرعونية، وأهـرام الحضارة المروية وغير ذلك – بواسـطة الرحالة من أواخـر القرن الثامن عشـر، تدفع الرغبة بداخلهم تلك الرِوَايَات الكلاسيكية المسـتوحاة من النوبة وأثيوبيا. لم تجتذب مدينة عمارة غـرب التي تم هجرانها ودُفنت معظم أجزائها تحت الرمال انتباهَ أيٍّ من الرحالة المعروفين مثل "جوهان لودفيج بورخاردت" الذي مرَّ عليها في مارس عام 1811 مُتَنَكّرا تحت اسـم الشيخ إبراهيم. ومثلما فعلت البعثة الملكية الروسـية الخاصـة بـ "كارل ريتشـارد ليبسـيوس" قام "بورخـاردت" بوصف المعبـد المروي فقـط المتواجد على الضفة المقابلة للمدينة.

شـهدت العشـر سـنوات الأولى من القرن العشـرين زيارات مهمة لمدينة عمـارة غرب من قبـل ثلاثة علماء مصريات مرموقين، قاموا بتسجيل ووصف كل ما شـاهدوه. "والس بدج" كان أول من يصل إلى مدينة عمارة غرب في ربيع عـام 1905، وهو أحد أمناء الآثار المصرية فـي المتحف البريطاني. وقد قام بوصف الطريق الذي سـلكه كالآتي: "ضفة النهر كانـت منحدرة جدا، والمسـاحة التي كانت تفصـل ما بين قمتهـا وحافة المياه كانـت مليئة بكميات هائلة مـن الرمال التي كانـت أقدامنا تغرس فيها حتـى مفاصلنا عند كل خطـوة فيها. المواقع الأثاريـة كانت تبعد حوالي نصف ميل عـن النهر، وكانت الأرض مغطاة بطبقة سـميكة مـن الرمل الأصفر اللامـع. المنظر جميل لكن السـير فيه غير مريح وعسـير...". وبعـد أن قام بوصف أجـزاء من المعبـد رجع "بدج" فـي اليوم التالـي ومعه العمال والأدوات وقام بالكشـف عن إحدى اللوحات الخاصة بالملك رمسـيس الثاني فـي الفناء الأمامـي للمعبد. وقام بعد ذلك "بعمل عدة تجارب للحفر في عدد من المواقع، ولكـن لم نعثر على أي شـيء ذي قيمة لأخذه معنا" وهو ما يعكس بشكل كبير الغرض الأساسي من معظم تلك البعثات الآثارية المبكرة، وهو البحث عن آثار للمتاحف الغربية.

وفـي فبراير عام 1907 خلال زيارتـه الثانية للنوبة قـام العالم الأمريكي "جيمس هنري بريسـتيد" بالمرور علـى عمارة غرب فـي طريق عودته إلـى مصر، ملاحظًا أن قاربه لا يسـتطيع أن يسـافر أبعد من ذلك في الشـمال وبشـكل مرجح بسـبب النتوءات الصخرية المتناثـرة على طول النهر. وقـد اعترف "بريسـتيد" بضعف إمكانات المـكان، بينما حرص علـى رؤية نفس اللوحة التـي وصفها بدج من قبـل: "فقد قمنا بتصويرها في شـكل أجزاء منفصلة، وتم عمل تفريغ يدوي للنصوص والرسـوم الخاصة بها. فإذا ما حدث أي تلف مفترض لهذه اللوحة فإن الكثير من تلك النقوش سوف يتم تدميرها بشكل كبير الاحتمال، ويبدو أن مثل هذا التسجيل الذي قمنا بعمله سـيصبح بعد ذلك المصدر الوحيد لمعرفة الأثر كما تم العثور عليه" كما أفرد مسـاحة لكـي ينتقد تفسـيرات صِنْوه "بدج" فيما يتعلق بقراءة نص اللوحة. وبعد زيارة قصيرة للمعبد المروي قام "بريسـتيد" ومرافقيه بالانتقال إلى إحدى قوافل الجِمال لاستكمال رحلته مع تيار النيل نحو مصر.

بينما عسـكر عالم المصريات الويلزي "جرين" في عمارة غرب خلال رحلته با للنوبه في السـابع عشر من

عالم المصريات «واليس بادج» الأمين السابق للآثار في المتحف البريطاني. الصورة ترجع إلى عام 1906, بعد عام من زيارته السريعة لعمارة غرب.
مصدر الصورة: المتحف البريطاني.





«فايرمان» خارج منزل بعثة الحفائر الخاصة بالجمعية المصرية للاستكشاف (عمارة شرق) خلال موسم 1938–1939. مصدر الصورة: الجمعية المصرية للاستكشاف.

ديسمبر عام 1909. وفي مذكراته اليومية قام بوصف المعبد وذكر أن أعمدته تحمل خراطيش الملك رمسيس الثاني وقام بانتقاد حرفيّة أو مهارة العمل بكونها سيئة جدا كحال الأعمال التي تنتمي إلى عصره. وقد افترض "جرين" أن المعبد قد يحتاج على الأقل إلى أسبوعين حتى يتم تنظيفه، وهو بالطبع أقل بكثير من الوقت الفعلي الذي اتخذه تنظيف المعبد بعد زيارته بعشرات السنين!

الثلاثينيات والأربعينيات من القرن الماضي

من المعروف أن عملية التنقيب المنظمة للمدينة القديمة قد بدأت في عام 1938 عندما نقل فايرمان حفريات الجمعية المصرية للاستكشاف من سيسبي إلى عمارة غرب. كما انضم "إيستين إدواردز" الذي أصبح فيما بعد أمين قسم الآثار المصرية في المتحف البريطاني إلى فريق العمل منذ الموسم الأول من الحفريات. فعندما وصلوا إلى اليوم الرابع عشر من فبراير، قام فريق الحفريات بالكشف عن أجزاء المعبد وفتحوا عدة خنادق في الأكوام المتراكمة بالمدينة، متضمنة بذلك احدى الحفرات التي استطاعت الوصول إلى المسطح الطبيعي القديم للجزيرة.

رجع "فايرمان" وفريقه في شتاء 1938–1939 قبل أن تبدأ الحرب العالمية الثانية في تأجيل أي حفريات أخرى في المنطقة. فقد تم تنظيف المعبد بشكل كامل خلال هذا الموسم، وتم إرسال عمال لكي ينقبوا عن المقابر في الجبانات الملحقة بالمدينة. ولم يتم تسجيل مواقع تلك المقابر بسبب العجلة التي انتابت الفريق في نهاية الموسم، ولكن تم إعادة اكتشاف هذه المواقع مرة أخرى بواسطة مشروع الحفائر الخاص بالمتحف البريطاني في عام 2009. وقد شهدت نهاية الأربعينيات ثلاثة مواسم الحفريات، كانت الاثنتان الأخيرتان تحت قيادة "بيتر شيني"، وقد شهدتا حفائر منظمة في موقعين منفصلين داخل المدينة، إحداهما حول مقر إقامة النائب، والأخرى في الجزء الجنوبي من المعبد. لم يكن الدافع للحفريات بالمدينة يتعلق بالمناطق السكنية والعمائر المتبقية منها بقدر الاهتمام بالاستفادة من مخلفات الحفريات في تغطية المعبد للحفاظ عليه. ورغم أن هذا الاتجاه يستحق الإشادة إلا أن المعبد الآن مازال يقبع تحت الانقاض محميا من هبوب الرياح العاصفة وعوامل التدمير الأخرى.

كانت الحفريات الخاصة بكل من "فايرمان" و "شـيني" تعبِّر عن الوقت الذي تمت فيه؛ فقد كان التركيز عـادة مـا ينصب علـى المباني والآثار مـع الرغبـة الحثيثة في ربـط خصائصها بحـوادث تاريخية وفتـرات الملك الحاكم حينها. ولم تضع على عاتقها الاهتمام بدراسـة الأرضيات ومخلفات المنازل بشـكل مفصل. وبالتأكيد فـإن العديـد مـن أسـاليب التحليل العلمي لـم يكن قد تـم تطويرها بعـد. كانت حفريـات الجمعيـة المصرية للاستكشـاف (EES) ممولة من مؤسسات مكتتبة، أغلبها متاحف؛ ولذلك فقد كانت هناك عدة آمال معقودة علـى نوعية الآثار التي يمكن الكشـف عنها. وللأسـف لم تسـتطع عمارة غرب أن تلبـي تطلعاتهم؛ حيث كتب "فايرمان": "فيما يتعلق بأمر المواد التي تم العثور عليها من الحفريات فإن النتيجة كانت مخيبة للآمال جدا".

اعتمـد كل مـن "فايرمان" و "شـيني" على عدد كبير مـن العمال المحليين، تحت إشـراف رئيس للعمال مـن بلدة "قفط" الواقعة بجنوب مصر. وكان منزلهما يقع علـى الضفة المقابلة، ولكن كثيرًا من العمال كانوا ينامـون فـي أماكن تـم إعدادها للإقامة المؤقتـة بجانب الموقع. أحـد الصبيان الذين تـم توظيفهم للعمل مع البعثة برئاسـة "شـيني" مازال يعيـش بالقرب من منزل البعثـة الان (انظر للمزيد صـ 108–109). اكثر الاشـياء التي ارهقت فريق البعثة هو ايجاد مشـرف على العمال بينما يقوم الآثاريين بتسـجيل المقنيات القديمة؛ فقد اشـتكى "فايرمان" عند نهاية موسم 1938–1939 "أن بيتر فيل قد عثر على اكتشافين، وجنَّ جنونه بسبب ذلك الاكتشـاف.. أحدهما لوحة مكسـورة لا تحوي أي مناظر ولكن بها نقش مكتوب بحبر أسـود باهت جدا، ولم يكن لديه الوقت أو النية للعمل عليها قبل أن نذهب من الموقع". وفي نهاية الموسم، كان يتم وضع القطع الأثارية داخل صناديق ويتم شـحنها بالقطار إلى الخرطوم قبل أن يتواجد أي طريق أسفلتي بفترة طويلة أو يتم شحنها بالسفن إلى إنجلترا؛ لكي يتم توزيعها على المتاحف بعد ذلك.

برغم القيود التي تميز بها علم الآثار والتنقيب في منتصف القرن العشرين، فإن عمل كلٍّ من "فايرمان" و "شيني" قد عكس الآمال التي يمكن للموقع أن يقدمها لدراسات إضافية، عن طريق الكشف والحفظ الجيد لعمائر قاطني المدينة حينها، مـع الوضع في الاعتبار البيئة المحيطة بهم. فقد أدرك "فايرمان" أن عمارة غرب تقبع على أنقاض مدينة قديمة، وقام بوصفها كالآتي: مدينة فريدة من نوعها تقدم لنا حفريات ذات هيئة وحالة لم يسبق لأي موقع حفريات مصري آخر أن قدم مثلها".

وفـي اليـوم الأول من عام 1950 قام بيتر شـيني بمغادرة عمـارة غرب، وتم بيع عربات السـكك الحديدية الصغيـرة التـي كانت تسـتخدم في رفع الأنقـاض وإزاحتها مـن الموقع الآثاري إلى المشـروع الفرنسـي القائم فـي مدينـة صاي، ويمكن رؤيتهـا حتى اليوم هناك مهجـورة ويملؤها الصـدأ. ولم يتم أبدا نشـر حفائر الجمعية



أحد العمال يدخن سيجارة أثناء فترة الراحة في الجبانة D بعمارة غرب خلال موسم الحفائر 1947–1948. مصدر الصورة: الجمعية المصرية للاستكشاف.

المصريـة للاسـتكشـاف (EES)، إلا مجـرد مسـودات أوليـة قـام القائمـون علـى الحفريـات حينهـا بعملها. الا ان "باتريشـيا سبنسـر" ما بين عامـي 1997–2002 قامت بنشـر عمائر المدينـة والمعبد بجانـب بعض الفخار والمعلومـات عن الجبانـات المتواجدة هناك في مجلدين، معتمدة بذلك على أرشـيف الحفريـات (انظر للمزيد صـفحة 110–111).

وفي أوائل السـبعينات تحت إشـراف مصلحة الآثار السـودانية، قام "أندريا فيلا" بالإشراف على سلسلة من مواسـم لمعاينة وفحص المنطقة الجنوبية من شـلال دال، كاشـفًا بذلك عن معلومات هامة تخص نظام الاسـتقرار السـكاني في المنطقة قبل وخلال فترة الدولة الحديثة. وقد تم تخصيـص أحد المجلدات لمنطقة عمـارة غـرب الذي قدم بـدوره 53 مكانًا من تلك المواقـع التي قام بمسـحها (انظر للمزيد صـ22–23). كما تم القيـام بعمل حفريات في بعـض المواقع، متضمنـا بذلك كلا الجبانتين فـي عمارة غرب. وقد قـام "فيلا" لاحقا بإعـادة تأريخ المقابر ونسـبتها إلى فترة نباتـا (القرنين الثامن والسـابع قبل الميلاد)، ولكـن حفرياتنا كشـفت أن العديد منها قد تم حفرها واسـتعمالها للدفنات في فترة متأخرة من عصر الدولة الحديثة.

الدراسات الحالية وتعدد التخصصات في عمارة غرب

تم اسـتئناف العمـل الآثاري في عمارة غرب فـي اليوم التاسـع من شـهر يناير عـام 2008. كان الموقع الأثري يبدو مجمَّدا منـذ اليوم الأول من عام 1950 ولم يتغير فيه الكثير؛ فمازال باسـتطاعتنا رؤية أكـوام مخلفات الحفائر، والمناطق التي تم حفرهـا امتلأت برمال العواصف الرملية النظيفة. وبالطبع فـإن الكثير من المتغيرات حدثت فـي أسـاليب الحفـر المتبعة فـي الموقع؛ فنحـن نذهب إلـى الموقع الآن باسـتخدام قـارب مجهـز بمحرك، تم اسـتقدامه للمنطقة خـلال فترة الثمانينات فقط. غيـر ان كثير من مفردات العصر الحديث قد سـهلت عملية التنقيـب مثـل الاعتماد علـى الهواتف المحمولة للاتصـال ما بين الموقع ومنـزل البعثة، والتواصل باسـتخدام البريد الإلكتروني، ونشـر أرشـيف يومي يسـجل ما يتم العثـور عليه في الحفريـات وعمليات التنقيـب، واهتمام المشـاركين فـي الحفريات بالحفـاظ على الموقع ورعايـة ما يتم اسـتخراجة من التنقيب، فقـد انصب إهتمام مصادر التمويل والمؤسسـات المشاركة على أمور معرفية بحتية فقط وليس الاستحواذ على قطع أثرية ثمينة للمتاحف. غير أن هناك بعض الأشياء التي لم يصبها أي تغيير كهبوب الرياح العاصفة، وتحديات العثور على آثار في حالة حفظ جيدة، والكميات الهائلة من قطع الفخار المتفرقة التي تحتاج إلى معالجة.

غربلة المخلفات الآثارية من المنطقة E13.



عـادة ما يسـتغرق موسـم الحفريـات الخاص بنـا ما بين السـتة والاثني عشر أسبوعًا في وقت مبكر من بداية العام، تفاديا لقيظ الصيف ودرجة الحرارة العالية. ونحن نعمل سـتة أيام في الأسبوع، ونتخذ من يوم الجمعة إجازة من العمل للراحة، ويبـدأ العمل في الموقع مع العمال من الساعة السابعة صباحا حتى الساعة الثانية مساءً، ويتواصل العمل في التسـجيل بعد ذلك اما في الموقع أو في منزل البعثة. وبالنسـبة للعمل الأثاري، فـإن يوم العمل يبدو وكأنـه يوم منتظم الروتين بشـكل ممل في بعـض الأحيان، ولكن كثيرا مـا تتخلله الإثارة عند العثور على اكتشـافات جديـدة. فعملية الحفـر تبدو لنا وكأنها رحلة سـفاري تمر بهـا مرتين كل أسـبوع قوافل الجمال في طريقها إلى مصر، ولكننا نرى التماسـيح على ضفتي النهر عند العبور مـن الموقع نحو مقر إقامتنا. كما أود أن أبرز ذلك الإفطـار الرائـع الذي كنا نتشـاركه مع العمـال النوبيين كل يـوم، كقطع الباذنجان المحمرة، "جُورَاسّـا" قراصة (خبز مسـطح مـن القمح)، تركين او ملوحة (سـمكًا محفوظًا)، الزبادي المصنوع في المنزل، والخبز الرقيق جـدا الذي يسـمى "كسـرة"، مـع طماطم وسـلطة حـارة، وبالطبـع فول مطبوخ بعدة طرق متنوعة.

يعتبـر علـم الآثـار الآن فـي القـرن الواحـد والعشـرين مزيجًا من الأسـاليب القديمة والحديثة؛ فقد تشـكّلت مواسم الحفريات من نسق مدهـش مـن مختلـف التخصصـات. ففـي عـام 2014 تـم اسـتخدام 31 متخصصًـا ينتمـون إلى 12 دولة فـي البحث عـن المنازل ودراسـة البقايا النباتيـة (انظـر للمزيـد صـ 100–101) أو عمل نمـاذج مجسـمة ثلاثية الأبعـاد للمباني التي تم العثـور عليها (انظر للمزيد صـ 102–103). وبلا شـك فإن هضـم واسـتيعاب ذلك الكـم الهائل مـن المعلومات عـادة ما يسـتغرق سـنوات؛ فموسـم الحفريات في 2014 أنتج 126 جيجابايت من المعلومـات، و2,489 صورة للسـجل الأثـاري، و2,233 صورة لما تم العثـور عليه، و24,391 صورة تم اسـتخدامها لعمل النماذج المجسمة ثلاثية الأبعاد، و4,156 صورة تم التقاطها بواسطة الطائرة الورقية.



حوائط وأرضيات مصنوعة من الطين ومغطاه بالملاط وتحوي مواضع لطحن الحبوب وتجفيف البلح داخل أحد المنازل التقليدية الموجودة في جزيرة «ارنتي».

وليس كل ما عدنا به إلى لندن من السـودان ينتمي إلى التكنولوجيا الحديثة، فقد أهدت الهيئة العامة للآثار والمتاحف بالسـودان –مشـكورة – مجموعةَ هياكل عظمية من حفائر الجبانات إلـى المتحف البريطاني (انظـر للمزيـد صـ 58 و 66 و صـ 104–105) حيث سـيصبح مـن المتاح للباحثيـن تقديم دراسـات مفصلة عن البيواركيولوجـي (وهـو علـم دراسـة الإنسـان وتاريخ تطـوره) في منطقـة وادي النيل. كما شـهد موسـم 2014 عودتنـا بـ 589 عينات أثاريـة مختلفة، و176عينـة نباتية للدراسـة والتحليل، والتي بلا شـك سـتعمل على إثراء تفهمنـا لطبيعة الحيـاة في المدينـة (انظر للمزيد صـ 44–45 وصـ 52–53) هـذا بالإضافة إلى كـم هائل من الرسومات الأثارية.

المعيشة في مدينة ارنتى

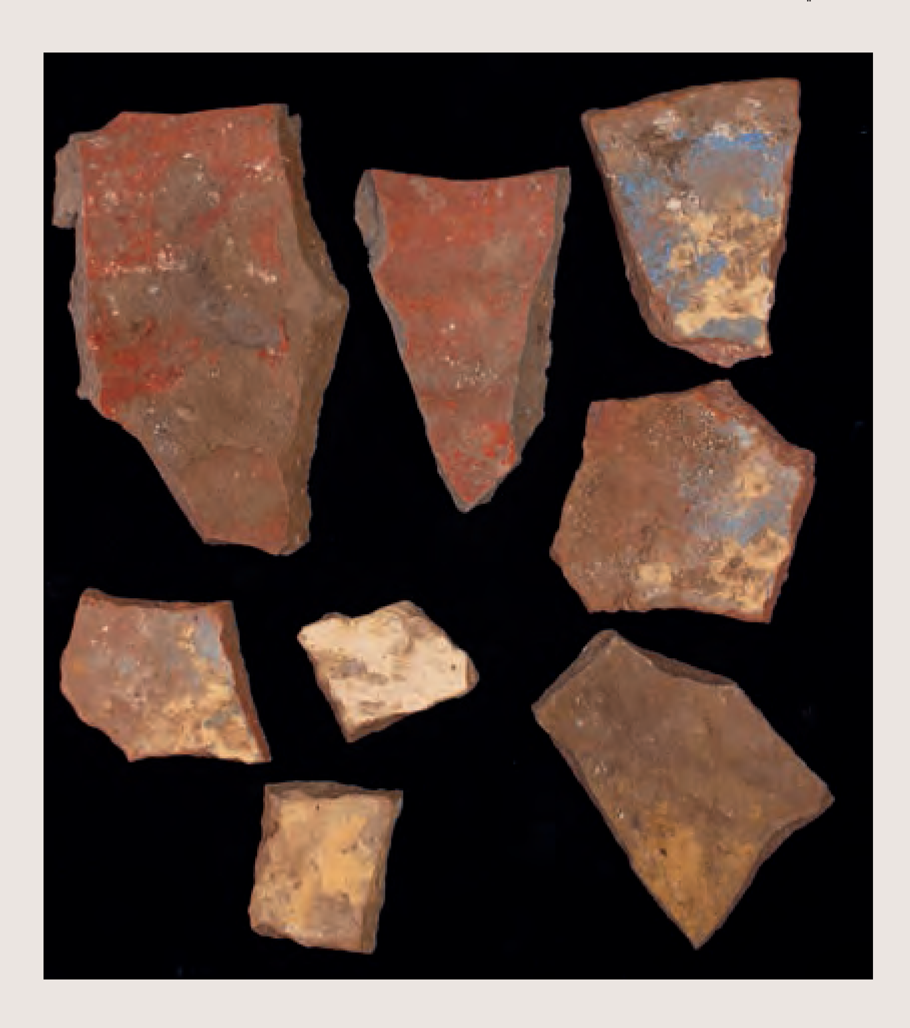
تمازجـت خبـرات العمل الخاصة بنا في عمارة غرب مع أسـلوب الحياة والمعيشـة في ارنتى، التـي تقع على بعد كيلو متر مـن المنطقة العليا للموقع القديم. وقد قام عالم المصريات "واليـس بدج" بزيارتها عام 1950، ولكنه عبـر عن خيبة أمله في عدم العثور علـى أي آثار بالمنطقة. وعاش فريق العمل الخاص بنـا على هذه الجزيرة منذ 2008، وبدايـة من العام التالي كنا نعيش في منـزل كبير، كان في الأصل عبارة عن عدة منازل متجاورة تم ضمهم

علم الألوان

كيت فولشر

يعدُّ إنتاج اللون من أجل استخدامه في زخرفة المنازل والمتعلقات الشخصية أحد الأنشطة الهامة التي استمرت ما بين سكان مدينة عمارة غرب، والتي عادة ما كانت تتطلب المعالجة باستخدام درجة حرارة عالية، هذا إلى جانب الطحن والخلط. أما أساليب معالجة اللون في ورش العمل القديمة فلم تحظَ بالقدر الكافي من الدراسات والاهتمام؛ فهي يمكن أن تخبرنا أيضا عن التفاعل التجاري بين المدن والبلاد بعضها البعض. وكل الألوان التي تم استعمالها على جدران المباني في مصر القديمة والنوبة كانت مركبات غير عضوية تم طحنها وتحويلها إلى مسحوق ناعم ثم تم تحويلها إلى الشكل السائل. والألوان التي تم العثور عليها في عمارة غرب هي اللون الأبيض، والأسود، والأصفر، والأحمر، والأزرق، والأخضر. كما قام قاطنو مدينة عمارة غرب بخلط مواد التلوين مع بعضها البعض لعمل اللون الرصاصي والبرتقالي، سواء الفاتح أو الغامق؛ وذلك بإضافة قليل من الأبيض والأسود.

معظم الألوان كان يتم إستخراجها من الصخور التي يتم طحنها وتحويلها إلى مسحوق باستخدام المطارق الحجرية أو أحجار الطحن، وقد تم العثور في المدينة على عدة أمثلة من تلك الأدوات التي كانت لازالت تحمل بقايا الألوان عليها. بعد ذلك كان يتم خلط المسحوق بأحد السوائل، مثل المياه أو بياض البيض الطبيعي لكي يتم تشكيل اللون الذي يمكن فرشه على الحوائط والأدوات الأخرى. وتم استعمال مواد التلوين



المصنعـة أيضـا فـي مصـر القديمـة؛ كالأزرق المصـري والأخضـر المصفـر، والتـي تـم صنعهـا باسـتخدام المكونـات نفسـها ولكـن بنسـب مختلفـة؛ فقـد كان يتـم خلـط الرمـال (سـيليكا والجيـر) بـبرادة النحـاس ورمـاد نباتي مـع بعضهـم البعـض، ويتـم تسـخينهم فـي درجـة حرارة عاليـة – حوالـي 1000 درجـة – وعنـد تلـك النقطة تتشـكل بلـورات نقيـة مـن الأزرق أو الأخضـر يتـم تشـكيلها فـي طـور زجاجـي غير مُتبلوِر الشـكل. وتـم العثور على اللون الأزرق المصـري فـي كسـرات تـم اسـتعمالها كلوحـات لخلـط الألـوان مـع بعضهـا البعـض فـي مدينـة عمـارة غـرب. ونأمـل أن تكون هناك دراسـة مسـتقبلية تكشـف لنا عمـا إذا كانـت بقايـا هـذه الالـوان قـد تـم تصنيعهـا فـي المدينـة أو تـم اسـتيرادها مـن مصـر.

ولكـي يتـم تحديـد مـواد التلويـن فنحـن نسـتخدم إحدى الطـرق الناجعـة، ألا وهـي عيوننـا. فبعـض الألـوان تـبدو شـاحبة وباهتـة والأخـرى تـبدو لامعـة ومُتوهِّجـة، حتـى درجـة اللـون يمكـن أن تسـاعدنا فـي معرفـة أي مـن المواد قـد تـم اسـتعمالها فـي صناعتـه. فعلـى سـبيل المثـال مـواد التلويـن الخاصـة باللـون الأصفـر المصنـوع مـن حجـر «جاروسـيت – jarosite النـادر تعتبـر أكثـر بهتانـا مـن الأصفـر الشـائع المسـتعمل فيـه الـتراب الصلصالي.

والوسـيلة الثانيـة هـو أن يتـم اختبـار مـواد التلويـن تحـت الميكروسـكوب المجهـري. وهـو مـا يمكـن بـدوره أن يكشـف الكثيـر مـن صفاتهـا وكيـف تـم إعدادهـا. فقـد تـم تشـكيل بعـض مـواد التلويـن مثـل الأزرق المصـري مـن البلـورات، والتـي يمكـن رؤيتهـا جيـدا تحـت الميكروسـكوب. وفـي المقابـل فـإن الصخـور المطحونـة تبـدو مثـل مسـحوق ناعـم جـدا.

كمـا تـم اسـتخدام عـدة أسـاليب تحليليـة؛ ففـي الموقـع تـم اسـتعمال مطيـاف الإصـدار الفلـوري للأشـعة السـينية (pXRF) المحمـول باليـد؛ لقصـف عينـات مصحوبـة بإشـاعات وتحليـل الأشـعة المنبثقـة التـي تسـتجيب لهـا. فمسـتويات الطاقـة الخاصـة بهـذه الإشـعاعات تحـدِّد العناصـر الموجـودة فـي هـذه العينـة. وقـد احتـوت بعـض مـواد التلويـن علـى عناصـر تأهيليـة لـم يكـن مـن المتوقـع تواجدهـا مثـل العناصـر الكيميائيـة الخاصـة بمعـدن النحـاس (الأزرق المصـري) أو الزرنيـخ (ثانـي كبريتيـد الزرنيـخ الطبيعـي وزرنيـخ أحمـر وثالـث كبريتيـد الزرنيـخ الطبيعـي وزرنيـخ أصفـر). كمـا تـم إجـراء تحاليـل إضافيـة باسـتخدام المسـح الميكروسـكوبي الإلِكترُونـيّ بمعامـل لنـدن.



عمارة غرب بشكل ثلاثي الأبعاد

سوزي جرين

تعتبر الحفريات الآثارية بمثابة العملية المُهْلِكَة، اذ لا يمكن تفهم الطبقات الأقدم إلا عندما نقوم بإزالة الطبقات المتأخرة عنها. مؤخرا تم توظيف أحدث تكنولوجيا متاحة لعمل نموذج مفصل ثلاثي الأبعاد للمباني في هيئتها عندما تم العثور عليها؛وذلك من أجل الحفاظ على أكثر كم ممكن من المعلومات الناتجة عن تلك الحفريات بطبقاتها المختلفة.

يعتبر المسح بالليزر والتصوير المساحي الضوئي من أكثر الأساليب شائعة الاستخدام بواسطة الآثاريين لعملية التسجيل ثلاثي الأبعاد. غير أن الغبار الناعم الناتج عن العواصف الرملية والتعقيدات المعمارية جعلت استخدام معدات المسح بالليزر الكبيرة الحجم والباهظة التكاليف أمرًا غير عملي في مدينة عمارة غرب؛ ولذلك فقد قمنا باستعمال نوع من التصوير المساحي الضوئي والمعروف باسم « التخطيط من العلامة» – ('Structure from Motion') حيث تم أخذ العديد من الصور الفوتوغرافية لوحدة الدراسة نفسها من زوايا مختلفة، كما تم إستعمال أسلوب تثليت مجسم لكي يتم تقدير وضع الكاميرات في مساحة ثلاثية الأبعاد (من أقصى اليمين). والنتيجة تكون أحد الأشكال التي تقيم نقاطا مكثفة في كل الزوايا – 'pointcloud' لإعادة بناء السطح الخاص بوحدة الدراسة. وتتم معالجة تلك النقاط مع بعضها البعض باستخدام أحد البرامج لكي يتم عمل نموذج مجسم مرئي كامل التفاصيل بناءًا على الصور الضوئية التي تم تغذيته بها، والتي تمكننا بذلك أن نعيد بناء شكل مطابق للشكل الخارجي للمسطح كما كان وقت بنائه.

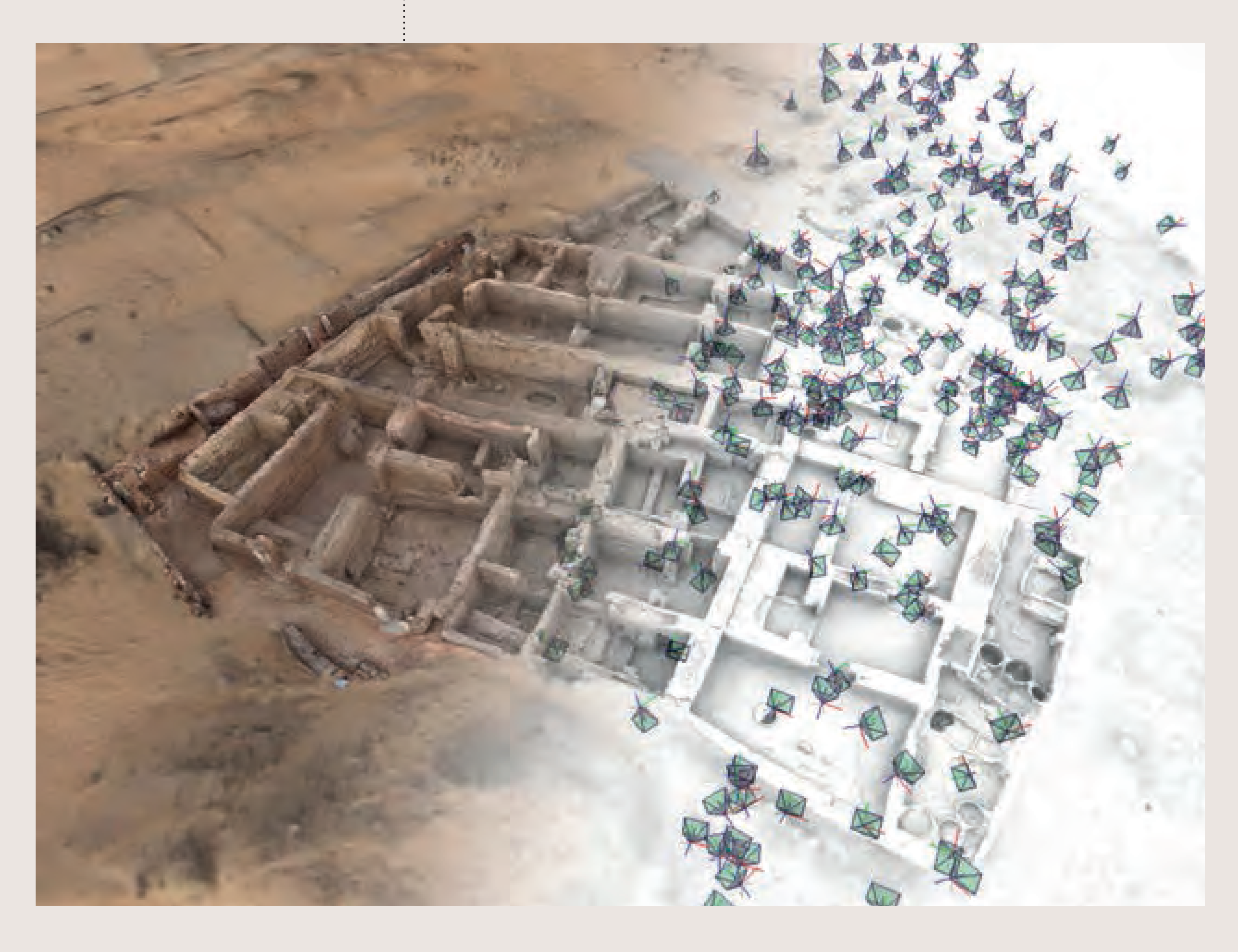
تم أخذ العديد من الصور الفوتوغرافية باستخدام كاميرا رقمية محمولة باليد، والتي عادة ما تسمح للآثاريين بالتحرك سريعا، وتوفر لهم المرونة في اقتناص صور جيدة للزوايا والأشكال الأكثر صعوبة، مثل أركان غرف الدفن الخاصة بأحد المقابر. وعادة ما تغطي الرياح سريعا الغرف التي تم اكتشافها في الحفائر بالرمال، ولذا فالسرعة هنا مطلوبة. أما أوقات الشمس الساطعة والظلال الشديدة في السودان فهي ليست بالأوقات الملائمة التي يتم فيها اقتناص صور توضح لون المسطح؛ ولذا يجب أن يتم أخذ كل الصور الفوتوغرافية قبل شروق الشمس، أو في ظلال أحد الخيمات أو المظلات أو في يوم نادر مليء بالغيوم.

وقد تم أخذ ما بين 200 و 500 صورة فوتوغرافية لكل غرفة، بلغت سعة الصور الخاصة بالضاحية E13 فقط حوالي 180 جيجابايت. هذا إلى جانب صور النموذج الأولي، التي تم فيها استعمال أحد الكاميرات المحمولة بواسطة طائرة ورقية لكي يتم



أخـذ صـور لمدينـة عمـارة غـرب مـن أعلـى (فـي الأسـفل شـمالا، انظـر صـ 11، 35). فهـذا الأسـلوب يسـمح لنـا بأخـذ صـور متعامـدة عاليـة الجـودة والتـي يمكـن استعمالها في عمـل نمـوذج مجسـم للمنطقـة المحيطة، ثـم يتـم مسـح نقـاط التحكـم ونقـوم باسـتعمالها فـي عمـل إسـناد جغرافـي للنمـوذج ثلاثـي الأبعـاد؛ حتـى يصبـح بذلـك ذا مقاييـس صحيحـة مطابقـا لمحيطـه الواقعي. والنتيجـة تكـون تصويـرًا مجسـمًا ثلاثـيّ الأبعـاد لمدينـة عمـارة غـرب والمنطقـة المحيطـة. تلـك النمـاذج تحمـل مـن التفاصيـل التي تجعلهـا كافيـة أن توضـح لنـا هيئـة كل قالـب طـوب، والألـوان الخاصـة بالمسـطحات المختلفـة، حتـى القطـع الصغيـرة مـن الفخـار التـي توجـد أحيانـا بيـن الجـدران.

نحـن نأمـل أن يسـمح مثـل هـذا الأسـلوب فـي التخيُّـل البصـري للآثارييـن، ليـس فقـط باسـتكمال دراسـة المدينـة عندمـا يكونـوا فـي الموقـع نفسـه، ولكن أيضا يسـمح للذين لا يسـتطيعون زيارتهـا بالانتقـال إلـى ذلـك الفضـاء المكاني الخـاص بتلك المدينة القديمة، بإسـتعمال مثـل تلك البرامج المسـتخدمة فـي الألعـاب الإلكترونيـة، والتـي تسـمح لنا بأن نتجـول داخـل النمـوذج، أو رؤيتهـا مـن أعلـى. وفـي نهايـة المطـاف، فـإن ذلـك النمـوذج ثلاثي الأبعـاد يقـدم لنـا بيئة جديـدة يمكـن فيهـا تجميـع معلومـات كثيـرة عـن وحـدات الدراسـة مـن مبانى وفخـار ومراحـل السـكن المختلفـة مـع بعضهـا البعض حسـبما نريد؛ حتـى يتم إعـادة تعمير مدينة عمـارة غـرب بالأنشـطة والأشـياء التي جعلـت منها فـي يوم مـن الأيـام أحـد أهـم المـدن النشـطة فـي النوبـة السـفلى.



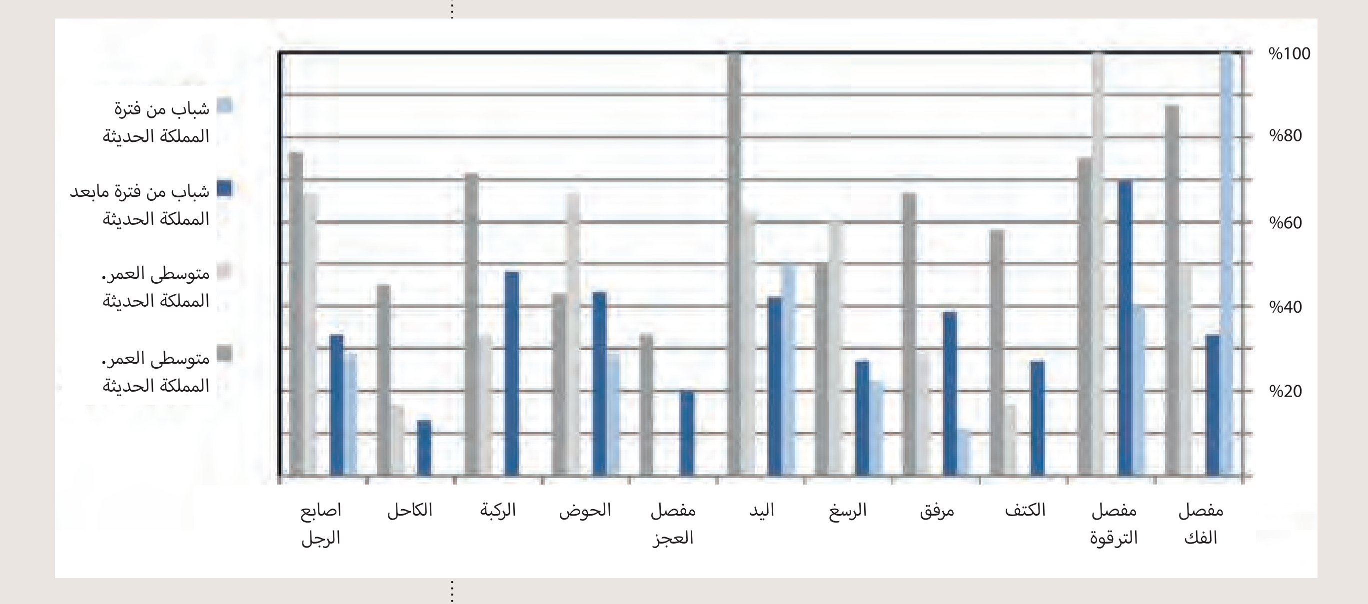
تدهور الصحة العام في الألفية الأولى قبل الميلاد

ميكالا بيندر

من احدى العلامات الواضحة والمتعارف عليها كتأثيرات التغير المناخي: المجاعة التي تنشأ عن نقص المحصول، وزيادة حاملي الأمراض المعدية، وزيادة أمراض الجهاز التنفسي. ويتراوح تأريخ بقايا الهياكل العظمية التي عثر عليها في عمارة غرب من وقت تأسيس المدينة عام 1300 قبل الميلاد حتى هجران المنطقة في القرن الثامن قبل الميلاد. وهي بدورها تسمح لنا أن نتفحص كيف أثرت عوامل تغير المناخ على صحة قاطني المدينة وأسلوب حياتهم على مر الزمان. ورغم أن الهياكل العظمية المستخرجة من عمارة غرب توضح بشكل قوي أن الحياة هناك لم تكن أبدا سهلة (انظر للمزيد صـ 58 و 66)، إلا أن تغير المناخ قد أضاف طبقة جديدة من الصعوبات التي يواجهها قاطنو تلك المنطقة خلال فترة مبكرة من الألفية الأولى قبل الميلاد. فقد تم رصد عدة تغييرات في الهياكل العظمية محل الدراسة الآن.

أصبحت أمراض الجهاز التنفسي من أكثر الأمراض شيوعا خلال القرن العاشر قبل الميلاد وما بعده، وبشكل محتمل نتيجة تزايد مستويات تلوث الهواء الناتجة عن الرياح الرملية العاصفة، وهو ما تم العثور على دلائل تواجدها في الطبقات المتأخرة من حفائر الدولة الحديثة (انظر للمزيد صـ 92–93). كما أن ازدياد تكرار الإصابة بداء المفاصل التنكُّسِية خلال الفترة التي تلت مرحلة الدولة الحديثة يوضح إستنفاذ النشاط الجسدي بدرجة أعلى. وربما يمكن تبرير ذلك بتغيير نمط المعيشة؛ نظام غذائي مختلف أو تزايد كثافة العمل. فبوجود مناخ يتزايد جفافه الى جانب جفاف القناة النيلية الشمالية والذي تتبعه تدفق الرمال فيها





بغـزارة، أصبحـت الحقـول تتطلـب جهـدًا بدنيًّا أكبر حتى تبقى مسـتمرة فـي الإنتـاج. وربما يعكـس تزايد مسـتويات المصابيـن بأمـراض المفاصـل بشـكل جيـد ذلـك الإجهـاد.

يمكـن لبقايـا الهيـاكل العظميـة ان تصبـح مصـدر رئيسـي للمعلومـات الخاصـة بظـروف تغيـر المنـاخ مـن خـلال تحليـل نظائـر الأوكسـجين الثابتـة فـي العظـام والأسـنان. فمتوسـط نظائـر الأكسـجين مـن 160 الـى 180 فـي الهيـكل العظمـي البشـري والأنسـجة يعكـس مكونـات النظائـر الممتصـة مـن الميـاه التـي كان يشـربها النـاس، والتـي بدورهـا تتنوع وفقـا لمقدار ميـاه الأمطـار، والارتفاع العمـودي فـوق سـطح البحـر، وخطـوط العـرض، والمناخ المحلـي. عـادة مـا تقـود درجـة الحـرارة العاليـة الـى تزايـد عمليـة التبخيـر الخاصـة بالنظيـر الأخـف 160 والـذي بـدوره يؤدي الـى ارتفاع مسـتويات معـدلات النظيـر. وقد

كان نهـر النيـل المصـدر الشـائع لشـرب الميـاه العذبـة لسـكان مدينـة عمـارة غـرب؛ فقـد تـم تحليـل معـدلات النظائـر في طبقـة المينـا بالأسـنان لــ 36 فـردًا ممـن كانوا يعيشـون فـي الموقـع خلال فتـرة الدولـة الحديثـة والفترة التـي تلتهـا. وقـد أظهـرت النتائـج اختلافـات ذات دلالـة بشـكل إحصائـي، بوجـود ارتفـاع فـي معـدلات النظائـر خـلال الفتـرات المتاخرة. هـذا التغييـر ربما يعكـس تغييرًا مناخيًّـا مصاحبًـا حـدث بشـكل واسـع فـي الإقليـم، مـع إنخفـاض معـدلات المطـر فـي الأقاليـم الخاصـة بمنابـع النيـل، وربمـا توافـق مـع تزايد البخر بسـبب درجـة الحرارة العاليـة التـي حدثـت علـى طـول النهـر. وبذلـك قامـت عظـام وأسـنان قاطنـي مدينـة عمـارة غـرب بإضافـة دلائـل جديـدة عـن الصـورة الناشـئة الخاصـة بتغييـرات كبرى فـي المنـاخ البيئـي حدثـت فـي المنطقـة فـي أواخـر الألفيـة الثانيـة وأوائـل الألفيـة الأولـى قبـل الميـلاد.



العمال عائدون إلى منازلهم بعد يوم طويل من الحفريات في عمارة غرب، فبراير عام 2014.

إلــى بعضهــم البعض ليشــكلوا بذلك منزلًا كبيــرًا يعيش ويعمــل فيه كل أفــراد البعثة. وكنا نرتحــل كل صباح باستعمال النيل حتى نصل إلى الموقع. وكانت تقدم لنا المدينة المحلية عبري كل شيء نحتاج إليه من السوق التجاري الذي يتم إقامته ثلاث مرات بالأسبوع من معدات وتجهيزات نحتاجها تتطلب نجارين وحدادين.

العمــال الذيــن تم توظيفهم في الموقــع جميعا من الجزيــرة. متضمنا ذلك الكهربائييــن وعاملي البناء والممرضين وأفراد الشــرطة وحتى خريجي الجامعة من تخصص الهندســة المدنية وغيرها. ولم يكن أحد لديه أي خبــرة آثاريــة قبل أن يبدأ المشــروع ولــذا فقد تــم تدريبهم أثناء القيــام بالعمل. وعــادة ما يتــم التواصل بيننا بالإنجليزية والعربية ولكن تعتبر اللغة النوبية هي اللغة الرئيسة التي يستعملها العمال والقرويين.

وبشــكل غير متعمد فإن اختيار جزيرة ارنتى للعيش بها قد أفادنا كثيرا في تفهم طبيعة الموقع القديم والخبــرات المعيشــية المتاحــة والممكنة فــي المنطقــة. وأي محاولة تحاول أن تعقــد مقارنــات أو موازنات بين مجتمعــات تفصلهــا حقب كبيرة من الزمــان لابد أن يتم التعامل مــع نتائجها بحذر. فالتخطيــط العام الخاص بالمنازل التقليدية على الجزيرة يعتبر مختلف جدا عن تلك المنازل التي كشفت عنها الحفريات في عمارة غرب؛ فقد تم بناء هذه المنازل حول فناء واســع فســيح ولا تحتوي على أي ســلالم صاعدة للأسطح أو أدوار علوية. ومع ذلك فكلٌّ منهما قد اســتعملا نفس خامات البناء كالطين والنباتات، وهو ما أتاح بدوره مصدرا كبيرا للمعلومات للقائميــن على الحفائر، رغم أن الحديد والأســمنت أصبحا بشــكل كبير الآن من ضروريات البنــاء في المنطقة. ومــن خلال المعيشــة في نفس الأماكن لعدة أشــهر، والرجــوع كل عام في نفــس الوقت، اكتســبنا فهمًا أعمق لكيــف أن الجدران – وبخاصــة الأرضيات – تتآكل وتبلى مع مــرور الوقت، وكيف أن الحصير الذي يتم فرشــه علــى الأرضيــات المصنوعة من الطين عادة ما يترك أثرا خلال أيام قليلة، أو نشــوء طبقــات ناعمة من الصلصال بفعل المياه المتناثرة، والتي تقوم بعمل طبقات قشرية داعمة على السطح الخارجي حول مواضع ازيار الماء.

كمــا نبهتنا الحياة داخــل القرية أيضا إلى أســلوب تَجَاوُب الســكان فــي التعامل مع مفــردات الطبيعة المحليــة. فعــادة لا يتــرك الأهالي الحصير فــوق الأرضيات، وانمــا يقومون برفعهــا بعد الاســتعمال؛ لأن العقارب تفضــل الاختبــاء تحتها. وقد كنا نقضــي معظم أوقات اليــوم داخل أماكن مُعْتِمة أو مظللة، بســبب الشــمس بشــكل جزئي، ولكن أيضا للاحتماء من الرياح وبشكل أخص من موسم حشرة "نيمتي" القارص، والذي يضرب أو يجتاح المنطقة لمدة ســتة أســابيع كل عام. بعض من الغرف نادرا ما يتم اســتغلالها بشكل كامل، فقط عند ضيافــة الزائريــن. وكثير من الغرف لــم تكن تحتوي علــى نوافذ، فالنوافذ الصغيــرة كانت دائما مــا تبقى مغلقة. ويصبح المصدر الوحيد للإضاءة هو الآتي من المدخل.

وفيما يتعلق بالموقع الجغرافــي؛ فقد أفادتنا جزيرة ارنتى بأحوال مجاري النيل القديمة، الأماكن الزراعية المتاحــة على الجــزر النيلية، والتي عــادة ما يتم اختيارهــا بعيدا عن مقاصد الرياح الشــمالية التــي تحمل رمال الصحــاري. ورغم أن مســاحة ارنتــى تبدو أكبــر حجما من الجزيــرة القديمة عمــارة غرب إلا أن عملية تشــكيلهم وتكوينهــم تبدو متشــابهة، فكلٌّ منهمــا عبارة عن جزيرة من رواســب طمييــة مفصولة عن الضفة الشــمالية بواسطة أحد الفروع النهرية الصغيرة، والذي يمكن أن يصبح مجرد مجرى سيل خلال فترات انخفاض المياه.

كما توجد إحدى نقــاط التوازي ما بين الجزيرتين تتعلق بالاهتمام الزائد بالمجتمعات الداخلية وأســلوب معيشــتهم الحياتية لمواجهة تلك التحولات المناخية الخطيرة. غيــر أن التقلبات في أحوال النيل ومجاريه في جزيرة عمارة غرب أمــر قد حدث من جراء الطبيعة (انظر و للمزيد صـ 90–91)، وظلت الطبيعة تلعب الدور الأكبر فــي إحــداث مثل تلك التغييــرات، إلا أن قاطنــي جزيرة ارنتــى يواجهون اليوم تغييــرات مختلفة فــي طبيعة النهر بســبب بناء ســد مروي بالقرب من الشــلال الرابع. فخلال عدة ســنوات قليلة، زادت عمليات التآكل والتعرية علــى امتــداد الحواف الغرينية للجزيرة بســبب ذلك التغيير، وهو مــا دفع القرويين إلى تغيير أنــواع المحاصيل المتاحة التي يتم تفضيلها.

إن دراســة وفهم آثــار عمارة غرب قد تم تشــكيلها بعد الاســتفادة الهائلــة التي إكتســبناها من العمل والمعيشــة ما بين القرويين في جزيرة ارنتى.

عمارة غرب ما بين 1947–1950: في ذاكرة النوبيين

نيل سبنسر و شادية عبد ربه

’كان يغمرنا شعور بالحزن عند غروب شمس اليوم الأخير من الحفائر هكذا قال لنا العم محمد سعيد وهو يعود بذاكرتة الي الزمن الجميل، فإلى جانب عثمان داود ومحمد عبداللة صالح، كان محمد سعيد واحدًا من ثلاثة ينتمون إلى جزيرة «أرنتى» شاركوا في حفائر الجمعية المصرية للاستكشاف (EES) في موقع عمارة غرب تحت قيادة «فايرمان» (1947–1948) ومن بعده بيتر شيني (1948–1949، 1949–1950). وهناك شخص آخر وهو علي محمد علي الذي كان يقطن في عمارة شرق، بجانب الموقع الخاص بالمعبد المروي. ومن حسن الحظ أن محمد سعيد الذي يقطن بجوار مقر إقامتنا قد وافق – متفضلا – على مشاركتنا ذكرياته في العمل مع البعثات الأجنبية، مقدما بذلك نظرة مختلفة جدا عن تلك التي تم تسجيلها بواسطة البعثات البريطانية ومتخصصي علوم المصريات بها.

ولد محمد في عام 1939 في جزيرة أرنتى التي مازال يعيش فيها حتى الان. في عمر العاشرة انضم محمد إلى عدد من العمال السودانيين الذين قدموا من أنحاء متفرقة من المدن والقرى النوبية، وصولا إلى أقصى الشمال عند وادي حلفا (170 كيلومتر من عمارة غرب) لكي يقوموا بالحفر في المدن القديمة. وقد تم تسكين هؤلاء الرجال في خيم مصنوعة من الخشب والخيزران، بجانب مواقع الحفر في المدينةالقديمة. ولكن هؤلاء الذين ينتمون ويعيشون في المنطقة نفسها، مثل محمد، كانوا يعودون الي منازلهم كل ليلة على أن يبحروا في السادسة من كل صباح باستخدام قارب نيلي صغير، من النهاية الشرقية لجزيرة «أرنتى». ويحكي محمد كيف كانت الرياح العالية تعمل على تأخير عملية العبور؛ اما الآثاريون البريطانيون فقد كانو يتنقلون بواسطة قارب تجديف من عمارة شرق. وفي بعض الأيام كانت الرياح العالية توقف العمل تماما في الموقع، ولكن مع ذلك كان يتم دفع أجرة العمال.

كان محمد يحمل السلال من مخلفات الحفر إلى عربات خط السكك الحديدية الضيقة التي تم استعمالها لنقل تلك المخلفات خارج أسوار المدينة، ويتذكر محمد رؤية العديد من الأحجار المنقوشة والأسرَّة الجنائزية والخرز والتمائم التي خرجت من جوف الأرض. وقد كان يتم مكافأة الرجال بدفع مبلغ بسيط «بقشيش» إذا ما عثروا على قطع مميزة. أما الفخار الذي لا يتم اختياره للدراسة فقد كان يتم رميه في الكثبان الرملية





اوبيـن أشـجار الطرفـة التي تقـع بجانب نهـر النيـل. نحن قلقـون الآن مـن ذبـاب النيمتـي، ولكـن محمـدًا يذكـر أنهـم كانـوا أكثـر سـوءا خـلال فتـرة الأربعينيـات. وأكـد أن ذلـك الراتـب الـذي كان يحصـل عليـه كان يمثـل دخـلًا معقـولًا لأسـرته، وقد عمـل أيضا مـع بعثـات أخـرى متضمنة بذلك موقعـي بوهيـن وصـاي.

كان محمـد يقـوم بمسـاعدة عائلتـه فـي زراعـة الحقـول بجزيـرة «أرنتـى» فيمـا تبقـى مـن العـام. وفـي عـام 1972 كان زواجـه مـن فاطمـة أحـد العوامـل التـي دفعتـه الـى تقليـص عـدد البعثـات التـي كان يعمـل معهـا. وبالانتقال إلـى منـزل جديـد بالقـرب مـن منزل والـده، أصبـح اهتمام محمـد منصبـا علـى أعمـال الزراعـة، وهـو المنـزل الـذى يعيـش فيـة الان مـع اثنتيـن من بناتـه وأحـد الأبنـاء وثلاثة بنـات أخريـات كما لديـه أربعـة أبناء تركـوا جزيـرة «ارنتي» للعيـش فـي، أماكـن أخـرى بالسـودان والسـعودية، وهـو مـازال يعيـش فـي هـذا المنـزل حتـى الآن، ورحلـت فاطمة عـن الدنيـا مؤخـرا، ولكـن الزوجـة الثانيـة لمحمـد عائشـة مازالـت تعيـش بجـواره. ومازالـت لديه روابـط عائلية تربطه بمدينـة عمـارة غـرب؛ فقـد عمـل ابنـه أمجـد معنـا فـي الجبانـة (C) فـي عـام 2009، وأحـد أفـراد شـرطة الموقـع ويدعـى رامـي هـو ابـن أخ محمـد أو ابـن أختـه.

ونحـن نـراة باسـتمرار اثنـاء تجوالنـا حـول الجزيـرة متجهـا نحـو حقـول الفـول والشـعير والقمـح والحلبـة والحمـص. وعـادة مـا يقـوم بإلقـاء التحيـة علينـا ويسـرد لنـا ذكريـات شـبابه مـع بعثـات الحفريـات.

زيارة مدينة عمارة غرب

لمـن يرغب فـي زيارة مدينـة عمارة غـرب، يمكـنه الحصول علـى تصريح من رئاسـة الهيئـة العامة الاثار والمتاحف بالسـودان سواء من الخرطوم بجانب متحف السـودان القومي أو من مكتب وادي حلفا. يمكن العبور بسـهولة إلى الموقـع عن طريق مركـب ذي محرك من مدينة "عبـري"، ويمكن العثور على مرسـي ذلك المركب عند السـوق. ويبعد الموقع حوالي أربعة كيلو متر مع التيار، ويتم الوصول إليه بعد تسلُّق مُجهد لمنحدرات رملية. وقد تم تسوير الأماكن الأثارية للمدينة والجبانتين، غير انه يُسمح للزوار برؤية سور المدينة والبوابة الغربية و أجزاء من منازل المدينة القديمة، بالاضافة لبعض الأجزاء المعماريـة المتناثرة على السـطح. ولكن لا يمكن رؤيـة المعبد في الوقت الحالـي؛ حيث يقبع تحت عدة أمتار من الركام. امـا الجبانات فالمتاح للرؤية ينحصر في المخطـط الخارجي والمقصورات الجنائزيـة داخل الجبانة (D) و الجزء الادنى من الكومة الترابية في الجبانة (C).

يتميز مركز خدمة الشـرطة في الموقع بوجود شـرفة مسـقوفة، وضعت عليهـا ملصقات تحـوي العديد مـن المعلومات عـن تاريخ عمارة غرب ونتائج الابحاث الجارية. ونحن عادة ما نطلب من الزائرين توخي الحذر خلال زيارتهم؛ حيث إن المباني المبنيـة من قوالب الطوب المصنوعة من الطين في المدينة القديمة من السـهل جدا أن يتـم تدميرها بأي تصرف غير مسؤول.

يمكــن أيضا رؤية العديد القطع الأثاريـة الخاصة بعمارة غرب في المتاحـف العالمية، وفقا للتوزيـع الذي تبع الحفريـات القديمة لجمعية استكشـاف مصـر، ويتضمـن ذلـك متحـف الفـن ببروكليـن، المتحـف البريطاني، ومتحف اللوفر. الي جانب متحف السـودان القومي بالخرطوم الذى يحتوي العرض فيـة على مجموعة من القطع التي تم العثور عليها خلال حفريات المتحف البريطاني والجمعية المصرية للاستكشاف.

لمزيد من المعلومات عن المتحف البريطاني يرجى زيارة:
www.britishmuseum.org
يمكن العثور على مقتنيات المتحف البريطاني على الموقع:
www.britishmuseum.org/collection

الصور الإيضاحية
(الصفحة رقم 8) قالب مصبوب من الملاط لأحد المناظر الموجودة في معبد بيت الوالي، المتحف البريطاني، حقوق الطبع محفوظة لأمناء المتحف البريطاني.
(الصفحة رقم 10) تمثال أوشابتي من الخزف، المتحف البريطاني EA 22818، حقوق الطبع محفوظة لأمناء المتحف البريطاني.
(الصفحات رقم 14–15، 17، 96–97، 108)حقوق الطبع محفوظة لجمعية الأستكشاف المصرية
(الصفحات رقم 94، 95 الصور العلوية) حقوق الطبع محفوظة لمعهد الدراسات الشرقية بشيكاغو
(كل الصور الأخرى) حقوق الطبع الخاصة بها محفوظة لمشروع عمارة غرب بالمتحف البريطاني.

تم طبع الكتاب للمرة الاولى في عام 2014 بواسطة أمناء المتحف البريطاني
شارع جريت روسّيل، لندن WC1B 3DG

الكتاب مسجل في سجلات المطبوعات الخاص بالمكتبة البريطانية بلندن
وأرقام التسجيل متاحة عند الطلب من المكتبة البريطانية

الرقم الدولي للكتاب (ISBN): 3 9126 7141 0 978

تم تصميم الكتاب بواسطة شركة تورشيني للتصميمات
تم النشر بواسطة لاتيمر تريند & كومباني ليمتيد

معلومات إضافية

يمكــن العثور علــى أحـدث المعلومات الخاصـة بحفريات وأبحـاث عمارة غرب من خلال الرابط التالــي: **www.britishmuseum.org/AmaraWest** يتـم عمـل تحديـث للمعلومـات بشـكـل متصـل علـى موقع المشـروع: خـلال مواسـم الحفريـات، عـادة من شـهر ينايـر إلى مـارس مـن كل عام **http://blog.amarawest.britishmuseum.org**

النشر العلمي لمشروع عمارة غرب:

Binder, M. 2011. 'The 10th–9th century BC – New Evidence from Cemetery C of Amara West', *Sudan & Nubia* 15: 39–53. http://issuu.com/sudarchrs/docs/s_n15_binder

Binder, M. and Roberts, C. 2014. 'Calcified structures associated with human skeletal remains: Possible atherosclerosis affecting the population buried at Amara West, Sudan (1300–800BC)', *International Journal of Paleopathology* 6: 20–9.

Binder, M., and Spencer, N. 2014. 'The bioarchaeology of Amara West in Nubia: Investigating the impacts of political, cultural and environmental change on health and diet', in A. Fletcher, D. Antoine, and J.D. Hill (eds), *Regarding the Dead. Human Remains in the British Museum*. London: 123–36.

Binder M., Spencer, N., and Millet, M. 2011. 'Cemetery D at Amara West: The Ramesside Period and its aftermath', *British Museum Studies in Ancient Egypt and Sudan* 16: 47–99. www.britishmuseum.org/research/publications/online_journals/bmsaes/issue_16/binder_spencer_millet.aspx

Binder, M., Roberts, C., Spencer, N., Antoine, D., and Cartwright, C. 2014. 'On the antiquity of cancer: Evidence for metastatic carcinoma in a young man from ancient Nubia (c. 1200 BC)'. *PLOS One*. www.plosone.org/article/info%3Adoi%2F10.1371%2Fjournal.pone.0090924

Spencer, N. 2009. 'Cemeteries and a late Ramesside suburb at Amara West', *Sudan & Nubia* 13: 47–61. http://issuu.com/sudarchrs/docs/s_n13_spencer

Spencer, N. 2010. 'Nubian architecture in an Egyptian town? Building E12.11 at Amara West', *Sudan & Nubia* 14: 15–24. http://issuu.com/sudarchrs/docs/s_n14_spencer

Spencer, N. 2014. 'Amara West: Considerations on urban life in occupied Kush', in J.R. Anderson and D.A. Welsby (eds), *Proceedings of the 12th International Conference for Nubian Studies. 1–6 August 2012, London*. British Museum Publications on Egypt and Sudan 1. Leuven: 457–85.

Spencer, N. 2014. 'Creating a neighbourhood within a changing town: Household and other agencies at Amara West in Nubia', in M. Müller (ed), *Household Studies in Complex Societies: (Micro)-Archaeological and Textual Approaches*. OIS 10. Chicago.

Spencer, N., Macklin, M. and Woodward, J. 2012. 'Re-assessing the abandonment of Amara West: The impact of a changing Nile?', *Sudan & Nubia* 16: 37–47.

كما قامت الجمعية المصرية للاستكشاف (EES) بنشر أجزاء من حفائرها على الرابط التالي: (www.ees.ac.uk)

Spencer, P. 1997. *Amara West*, I: *The Architectural Report*. Excavation Memoir 63. London.

Spencer, P. 2002. *Amara West*, II: *The Cemetery and the Pottery Corpus*. Excavation Memoir 69. London.

المراجع المذكورة أدناه يمكن أن تقدم نظرة عامة عن المحتوى التاريخي والثقافي لكلا الحضارتين:

Edwards, D.N. 2004. *The Nubian Past. An Archaeology of the Sudan*. London.

Smith, S.T. 2003. *Wretched Kush*. London, New York.

شكر خاص

يتم العمل الميداني في مدينة عمارة غرب تحت إشراف الهيئة العامة للاثار والمتاحف، ونتقدم بشكر خاص لمفتشة الآثار شادية عبد ربه والمشاركين في العمل الميداني من مدرسة (البيواركايولوجي) علم الاثار الحيوي مفتشي الاثار محمد سعد ومرتضى بشارة. كما يجب الاعتراف بالدعم الذي قُدِّم لنا من الخرطوم د. عبد الرحمن علي مدير عام الهيئة، الاستاذ حسن حسين إدريس المدير الاسبق و د. صلاح الدين محمد أحمد مدير المشروع القطري والحسن أحمد محمد، امين امانة الكشف الاثري. ومن جزيرة ارنتي، يجب الاعتراف بفضل كل من منير علي صالح واصحاب المنزل الذي نقيم فيه كوثر محمد علي ومحمد عز الدين والذين كان لهم دور جوهري في استمرار العمل الميداني. في الخرطوم نقدم الشكر لجورج باجولاتوس وعائلته وفريقه في فندق "أكروبول" والذين قدموا لنا كل سبل الراحة والمساعدة الممكنة. كما نشكر وليد عرفات "شركة ليندي للسفر والسياحة" على ما قدمه لنا من عون كبير في تسهيل التجهيزات والإمدادات عند بداية ونهاية كل موسم للحفريات.

لم نكن لنتمكن من عمل تلك الحفريات بدون التمويل السخي من جمعية لفرهولم (2010–2014)، الأكاديمية البريطانية (2009)، ومؤسسة ميخائيلا شيف جيورجيني (2010، 2013، 2014) وجمعية وادي التيمز لمصر القديمة. يعدُّ المشروع الآن جزءًا من المشروع الآثاري بين قطر والسودان، والذي يجب الاعتراف بأن الدعم المقدم منه قد قام بتحويل مجرى البحث بشكل كامل.

وقد شارك في الحفريات والأبحاث المتعلقة بها عدد كبير من المتخصصين الذين ينتمون إلى مؤسسات علمية مختلفة؛ فبخلاف محرري هذا الكتاب نتوجه بالشكر الخاص لماري ميلت التي قامت بالبحث في الخزف (تعمل الأن في متحف اللوفر)، وميخائيلا بوذون التي قامت بتحليل معدلات الاسترونشيوم ونشاطه الإشعاعي (جامعة بوردو)، وشارلوت روبرتس في (البيواركايولوجي) علم الاثار الحيوي (جامعة دورهام)، وشارلز فرينش (ميكروفولوجي – جامعة كامبريدج)، وريتشارد باركينسون للعمل على تعاليم أمون ام حات (جامعة أكسفورد)، وإين فريستون (تحليل مخلفات الطلاء – جامعة لندن)، وجون ميدوس (التؤريخ باستخدام كربون 14c جامعة كيل) وهانز مومسين (تحليلات NAA – جامعة بون). كما قام جيرمي كلوتربونك بعمل تحليل أولي لمخلفات الحيوانات. أما المسح الجيوفيزيائي فقامت به المدرسة البريطانية بروما بالمشاركة مع قسم التنقيب الآثاري بجامعة ساويث هامبتون. وأبحاث الجيومورفولوجي تمت بواسطة جامعتي مانشيستر وابريستويث. كما لا ننسى أن نتقدم بالشكر إلى الجمعية المصرية للاستكشاف (كريس ناونتن، وكارل جرافيس، وباتريشيا سبنسر) للسماح لنا باستخدام الصور الأرشيفية للحفريات القديمة.

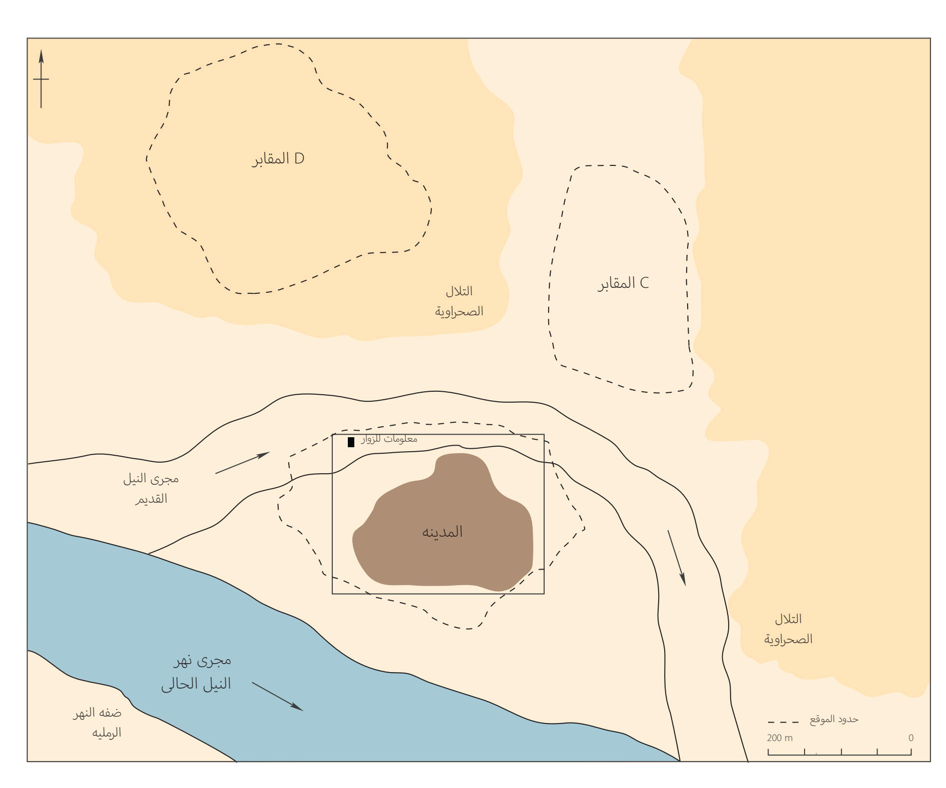
من داخل المتحف البريطاني، فإن جزيل الشكر نتقدم به لكل من ميكالا سباتارو، وثيباوت دافيس، وجانيت امبريز، وماري هاك، وريبكا ستاسي (من قسم الترميم والبحث العملي). كما نتقدم بجزيل الشكر لكل من كلير ماسنجر، وتانيا واتكنيس، وايفان يورك، وبشكل خاص لفيفيان دافيس لتقديمه لنا يوميات الحفريات الخاصة بالآثاري جريين، وديرك ويلسبي، وجولي أندرسون، ودانيل انتوان، وشذى رشوان، ودانيل بومار (من قسم مصر القديمة والسودان). أما كارولين جونز فهي من قامت بمراجعة النص الإنجليزي، وكارلا تورشيني (تورشيني للتصميمات) هي من قامت بتصميم الكتاب، وتمت الترجمة إلى العربية بواسطة كل من شذى رشوان وهاني رشوان، وقامت بمراجعة النسخة العربية شادية عبده ربه وتصيحيح النصوص محمد سعد والكتاب منشور بواسطة ورلد إكسنت.

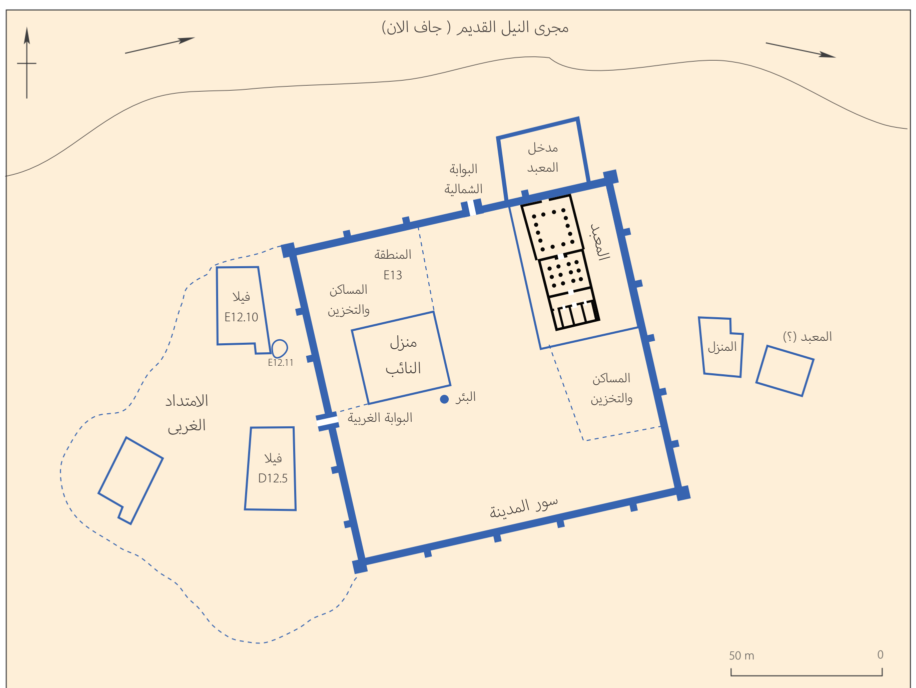
على الصورة التاليه
إستمرار الحفريات احياناً حتى المغيب فى موقع عمارة غرب.

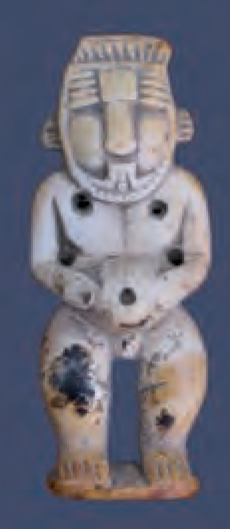


خريطة توضح مدينه عمارة غرب والمقابر

رسم توضيحى للمدينه









مدينة عمارة غرب

المعيشة في النوبة الفرعونية

في عام 1300 قبل الميلاد قامت مصر الفرعونية بإنشاء احدى المدن الجديدة على أحد ضفتي النيل في الجزء الشمالي من السودان، تُعرف هذه المدينة الأن بعمارة غرب والتي عادة ما تذروها الرياح الرملية من وقت لآخر. ومن الواضح انه قد تم تصميمها بعناية لكي تصبح أحد مراكز الأشراف المصرية على النوبة العليا وانها قد اِزْدَهَرَت وتنامت لأكثر من مائتي عام متواصلة. ولأهمية هذه المدينة قام المتحف البريطاني بتوظيف عدة تخصصات علمية في مشروع بحثي ضخم للعمل في الموقع منذ عام 2008، محاولين بذلك الكشف عن أساليب المعيشة في النوبة المصرية والتعرف على كيفية تفاعل سكان المدينة مع المعتقدات الدينية والروحية والأدوات التي كانوا يستخدمونها في حياتهم اليومية, وكيف كانوا يقومون بتحضير وطهي الطعام، وكيف كانت الحالة الصحية للسكان, وكيف تغيرت معالم المدينة المعمارية بمرور قرنين من الزمان منذ نشأتها، وكيف لعبت الثقافة النوبية دورا كبيرا في تشكيل الحياة داخل تلك المدينة المصرية، والتعرف على أسباب هجران المدينة. يحاول الكتاب بالأجابة عن تلك التساؤلات ان يقدم لمحة عن تشابك الثقافتين النوبية والمصرية في مظاهر الحياة اليومية عندما كانت النوبة تشكل جزءً أصيلا من عوامل تشكيل الأمبراطورية الثقافية الفرعونية.



